



٥٢

ترجمات عبرية

- صورة العربى فى الأدب العبرى
- الدين والقومية والليبرالية فى إسرائيل
- لماذا تتسلح مصر؟

كتابات عربية

- المأزق الإسرائيلى فى الجنوب اللبنانى



APRIL. 1999 السنة الخامسة ـ أبريل ١٩٩٩

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
السنة الخامسة ـ العدد الثانى والخمسين ـ أبريل ١٩٩٩



مختارات إسرائيلية

Israeli Digest

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠
فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مقدمة

في الوقت الذى تتواصل فيه الجهود العربية والدولية من أجل مواصلة عملية التسوية على كافة المسارات والدفع فى اتجاه التوصل إلى حلول شاملة وعادلة لقضايا الصراع العربى - الإسرائيلى، حلول تحظى برضا الأطراف المختلفة وتتسق مع قرارات الشرعية الدولية وفى مقدمتها عدم جواز احتلال أراضى الغير بقوة السلاح وحق الشعوب فى تقرير مصيرها.. وذلك وصولا إلى « شرق أوسط جديد » تتمكن شعوبه من التفرغ لقضية التنمية والتطور.. فإن النخبة الحاكمة فى إسرائيل بتعريفها الواسع لا تؤمن بهذه الرؤية، وترى أن أمنها يتحقق عبر التخندق وراء ترسانات هائلة من أسلحة الدمار الشامل وأحدث منتجات تكنولوجيات السلاح، وترفض فى الوقت نفسه مواصلة تنفيذ ما تم توقيعه من اتفاقات على المسار الفلسطينى، وتعطى لما تتصوره من اعتبارات « أمنية » الأولوية على « السلام » على المسارين السورى واللبنانى. ومن المنطقى أن تكون محصلة ذلك تصاعد منحنى التوتر فى المنطقة وتراجع الآمال بحلول السلام.

وفى الوقت الذى تبذل مصر جهودها المخلصة من أجل دفع الأطراف المختلفة لمواصلة التفاوض وتسوية ما بينها من خلافات وصراعات على مائدة المفاوضات، تخرج بعض الأصوات الرسرائيلية

عقلية "الجيتو" والأمن عبر السلاح

محذرة من مخاطر تحديث مصر لقواتها المسلحة. وتستخدم هذه الأصوات الحجج التقليدية المؤكدة على أن مصر تتسلح فقط من أجل الدخول فى حرب مع إسرائيل (انظر مقال يهوشع بورات.. لماذا تتسلح مصر) ومن ثم تطالب الحكومة الإسرائيلية بطرق أبواب « أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس الأمريكى » ومناشدتهم رفض التصديق على صفقة الأسلحة الأمريكية لمصر حتى لا يتقلص التفوق العسكرى الإسرائيلى!!

والواقع أن هذه الرؤية القاصرة تمثل امتدادا للتفكير بعقلية « الجيتو »، تلك العقلية التى تخاف من كل شئ طوال الوقت حتى أصبح الخوف ظاهرة مرضية، عكست نفسها فى سكنى اليهود لحارات خاصة بهم ومغلقة عليهم، وواصلت التحكم فى عقلية النخبة الإسرائيلية عبر التخندق وراء ترسانات الأسلحة والاستمرار فى تخزين كافة أنواع السلاح، وفى نفس الوقت الشعور بالهلع من مجرد قيام الدول المجاورة بتطوير قواتها المسلحة وفق منوال طبيعى، ولا تتوقف عند رؤية هذه الدول للذات والدور وكونها تجعل من السلام خيارها الاستراتيجى وأن تطوير القوات المسلحة يهدف إلى صيانة أمنها القومى.

والمؤكد أن استمرار هذه العقلية سيقود إلى مواصلة الانعزال والعمل على التحصن ضد البيئة الاقليمية على نحو يؤكد عدم قدرة إسرائيل على تجاوز عقلية « الجيتو » إلى الاندماج فى المنطقة والتعايش مع دولها ومن ثم تظل ككيان معزول ثم تشكو بعد ذلك من غياب العلاقات الطبيعية.

د. عماد جاد

ترجمات عبرية

دراسة «١»

١

الدين والقومية والديمقراطية فى إسرائيل

باروخ كيمرلينج ـ دورية زمانيم (الازمنة) ـ خريف ١٩٩٤.

تكتسب السيادة الصهيونية، دلالتها من طبيعة التجانس بين الدين والأمة اليهودية، وهى الميزة الأساسية للنظام الاجتماعى فى إسرائيل. فدولة إسرائيل بخلاف الديموقراطيات الليبرالية الغربية لا يتم تعريفها باعتبارها منتمية لمواطنيها بل بانتمائها إلى كل الشعب اليهودى. والديموقراطية الإسرائيلية لا تعترف بوجود أقليات، كما لو انهم جميعا كانوا يهوداً. ومن لم يكن كذلك، يبقى خارج النظام. إن قاعدة الانتماء ومعيار التمتع بالحقوق فى الدولة تتمثل فى الانتماء العرقى الدينى. وهكذا، توجد فى إسرائيل بالفعل ديموقراطية طبقا لغالبية المعايير المتعارف عليها، و لكن فقط فى اطار المكونات التى تحدد السيادة الصهيونية، والواقع أنه يمكن توصيفها باعتبارها ديموقراطية يهودية أو ديموقراطية مزدوجة.

عندما ننظر إلى الصهيونية نظرة ميكروسكوبية، يمكن أن نكتشف مهمتين اساسيتين كان عليها أن تنجزهما: الأولى، إعادة بناء اليهودية من دين أو من حضارة إلى حركة قومية حديثة وعلمانية فى جوهرها. أو بدلا من ذلك، توصيف «المشكلة اليهودية» بمصطلحات سياسية، وقومية وعلمانية، والثانية تعبئة وتجميع أفضل لليهود داخل اطار اقليمى، يسمح بإنشاء كيان سياسى مستقل فيه لهذه الأمة كلما امكن ذلك. كما سنطرحه للحوار فى هذا المقال. ومنذ البداية كانت هناك تناقضات وتوترات بين هذين الهدفين. لقد أدت تلك التناقضات والتوترات إلى تسمية نظام اجتماعى على نمط أو فى قالب المجتمع والدولة، ثقافة سياسية وثقافة إسرائيل العامة. كما هو معروف لنا اليوم ـ والذى يمكن تشخيصه وتحليله بواسطة مصطلح «الديموقراطية المزدوجة»، أى وجود متوازِ لنظام قومى ـ دينى ونظام ديموقراطى ـ ليبرالى ـ علمانى ـ وهما نظامان لا يجتمعان، ولكن فى وقت ما يتفق هذا مع ذاك، فليس لأحدهما وجود بدون الآخر.

(أ) إن معظم مُبشرى وبُناة الحركة القومية اليهودية كفكرة وكحركة سياسية واجتماعية كانوا أناساً علمانيين، مثل بينسكر، هيرتزل، نورداو، كلشكين أو برديشفسكى، ولأن هؤلاء فقط تمكنوا من التفكير فى مفاهيم قومية حديثة، فإن قوميتهم لم تقم فى ظل نقاء تام بصورة عامة، بل كانت تنويرا للعلاقة الأساسية للغاية تجاه العالم: القومية، الليبرالية الكلاسيكية أو الاشتراكية بأنواعها. والجدير بالذكر أيضا، أن بداية التفكير والنشاطات القومية اليهودية قد تشكلت فى أخريات العصر الاستعمارى، عندما كانت الهجرة اليهودية مجدولة فى حركات سكانية واسعة المدى بين القارات، وبينما كانت تتخلق وتُبنى وتستقر أمم مهاجرة كانت القومية اليهودية مازالت تتشكل، وكان المد الاستعمارى الأوروبى هو النمط السائد فى العالم، وكان النموذج الأوروبى هو الواقع الثقافى المهيمن.

القومية اليهودية الدينية، أو الأشخاص الذين توصلوا اليها من خلال رؤية دينية كانوا قلة هامشية بين الجماعة اليهودية الدينية، ومن الناحية المبدئية، فإن الدين لن يمكنه «التعجيل

بالنهاية» أو تحقيق خلاص جماعي دون تحقق نبوءة آخر الايام (أي زمن طوباوي فيه كل إسرائيل «ابرياء» أو «مذنبون»، مع كل ما يعنيه ذلك)، وفي نفس الوقت كانت الرؤية الدينية ايجابية تجاه «الهجرة» إلى الأرض المقدسة. لكن بناء قومية دينية كان ظاهرة هامشية نسبيا تتطلب جهدا تفسيريا وفكريا هائلا. وحتى اليوم فإن الوضع اللاهوتي لهذا البناء داخل اليهودية ضعيف للغاية. وهكذا فإن الحاخام الأول الذي سمح بتصنيفه كصهيوني، شموئيل موهيلفر، كان منشغلا بإقناع علمانيين من طراز بينسكر للبحث والالتفات إلى مشاعر حفظة الواجبات الدينية الورعين، أكثر مما كان مهتما ومشغولا بقضايا لاهوتية تمس العودة إلى أرض صهيون في أوانه. والواقع أن موهيلفر فشل في مهمته لتحقيق تفاهم ما بين مؤسسي الصهيونية، وكان له دور في الانشقاق الذي حدث في حركة «احباء صهيون» بين مكوناتها العلمانية وتلك الدينية. بذلك وُضعت في الواقع الأسس لبدء حركة «المزراحي» اختصار «مركز روحاني»، والتي انضم اليها في عام ١٩٠١ جماعة الحاخام راينز. إن ظهور الصهيونية كحركة سياسية اجبر أيضا المعسكر الارثوذكسي اليهودي على التنظيم من الناحية السياسية. وقد بدأ ذلك يتبلور في أوروبا الشرقية وأيضا الغربية (خاصة في ألمانيا) كحزب سياسي، استطاع المنافسة في المجال الاجتماعي السياسي الشامل مقابل الصهيونية والعلمنة. وبذلك تأسست «أجودات يسرائيل» أو (جمعية إسرائيل) عام ١٩١٢ في فلسطين وفي ألمانيا، لكي تقدم للعالم بالوسائل الحديثة والديموقراطية اليهودي الحقيقي الذي وُجد التحرر من أجله. ولكي لا تُترك الساحة السياسية للمندسين والمتعولين والصهيونيين والأسوأ من ذلك المؤمنين بالرسالة الكاذبة بمجيئ المخلص كأتباع شفتاي وفرانك.

كانت أجودات يسرائيل هي القوة السياسية اليهودية الأكبر والأكثر تنظيما في أوروبا حتى وقعت الابادة، وهي التي قدمت أيضا يهودا لم يكونوا ارثوذوكسيين تماما، لكنها أيضا لم تنقطع عن الدين والتقاليد. وكانت لديهم الرغبة في اثبات اخلاصهم الوطني للدول التي تأويهم. هكذا تطور نمط الحياة لدى المثقفين العلمانيين على غرار موسى مندلسون، كأي الماني (أو بولندي) على دين موسى.

ولكن عندما سعى مفكرو ونشطاء الحركة القومية اليهودية إلى تحديد الهدف والاطار الاقليمي لتسمية الجماعة القومية، فقد اضطروا إلى اختيار «صهيون» و«ارض إسرائيل» كهدف اقليمي للحركة القومية رغم البدائل المتاحة التي كانت امامهم، ورغم كونهم علمانيين لامعين. والواقع أن الهدف الاقليمي المتعلق بالأرض لم يكن قد تحدد في هذه المرحلة الانتقالية سياسيا للحركة القومية اليهودية، كما كانت في فترة احباء صهيون، ولم تكن قد تبلورت في شكلها كحركة قومية حديثة. ولم يكن هذا الخيار مفهوما من تلقاء نفسه في البداية، لكنه أيضا لم يأت مصادفة. والواقع أن الهدف الاقليمي قد فُرض فرضا. نظرا لأن أرض إسرائيل كانت الحيز الاقليمي الوحيد الذي كان منذ البداية ذا صبغة معنوية وعاطفية وسط مأساة اليهود المروعة. هذه الصبغة أو الرباط تجاه «أرض إسرائيل»، أو «الأرض المقدسة» نشأت اساسا وسط الرموز التقليدية الدينية التي كانت كامنة في قلب التداعيات والمشاعر المُستثارة.

ولقد اتضح سريعا لاصحاب فكرة القومية اليهودية، أنه فقط إلى «أرض إسرائيل» وهي «الأرض المقدسة»، سيكون من الممكن تعبئة يهود وتهجيرهم باعتبارها أرض الميعاد وبالتالي التمكن من تحقيق خلاص جماعي، لو أنه مازال موجودا داخل أطر التخيل اليهودية. وقد وضعت النظريات العالمية للمشاركة في الحركات المماثلة تحديا أمام هذه الرؤية، تلك النظريات التي كانت من الممكن أن تؤدي إلى خلاص شامل للعالم عن طريق التحرر والديموقراطية وثورات صناعية أو اجتماعية - سياسية، والتي في اعقابها، كنتيجة لأمنيات التغيير الذي يحدث، سيأتي دور المشكلة اليهودية. ومع ذلك فقد كان هنالك منذ البداية بين المجتمع اليهودي تفضيل البحث عن الخلاص الفردي، في صورة هجرة إلى امريكا الشمالية، ولم تكن الهجرة إلى امريكا تتطلب قرارات ترجيحية على المستوى الايديولوجي أو اللاهوتي. وقد كان في ذلك أيضا تكلفة شخصية أقل، كما انها اخفت بداخلها عدة خيارات منها:

(أ) إن الهجرة إلى امريكا الشمالية سمحت لليهود بالحفاظ على نمط حياة ديني أرثوذكسي، والانضواء من جديد في جمهور تقليدي محلي مؤيد، والاكتمال كحركة سياسية يهودية لها خصائصها على أساس افكار عالمية، والخروج إلى النور أي إلى التنوير والحداثة أو حتى الخروج تماما من حدود اليهودية والولوج نهائيا ضمن مجتمع غير يهودي وتغيير الهوية الذي يعتبر أمرا مطلوباً اثناء عمليات الهجرة.

(ب) الجدير بالذكر أيضا، أن الدين اليهودي ومنذ أمد بعيد، في نصوصه ونسخه المختلفة، قد اشتمل بالفعل على أسس واضحة تحمل طابع القومية. لكنها لم يكن لها أن تتحقق وتقاوم بحد ذاتها دون التحول إلى حركات مصنوعة على طريقة مذهب شفتاي أو فرانك وأن تتطور إلى «الايمان الكاذب بالمسيح المنتظر»، في محاولة للتوحيد بين زمن ومكان واقعيين وآنيين وزمن ومكان غيبيين - بين المقدس والدنيوي. وكانت محاولة موشيه هس لمحو الحدود تماما بين الدين اليهودي كوحدة متكاملة وبين القومية هي الأكثر أهمية وخصوصية. فقد ادعى هس أن الدين اليهودي منذ منحة التوراة وحتى الفترة الحاخامية في عهده كان هو التعبير الموثوق فيه عن روح الشعب، والذي على عكس بقية الأديان وخاصة المسيحية، تطلع دائما إلى خلاص جماعي. وهكذا كان الدين اليهودي، وفي الواقع أي «انكشاف يهودي» (بما في ذلك المسيح وسبينوزا)، يتصل بدلالات قومية عالمية، وربما منذ بدايات الثقافة الانسانية، وهكذا أيضا ارتبط كل ذلك بالرؤية الاشتراكية لهس: عندما تتحقق أهداف اليهودية - بمعنى: عندما يأتي خلاص جماعي يتمثل في عودة صهيون، ولو مسيحي (يرى فيه روح الانسان تتجسد من اجل الارتقاء) - وحسب نظرية هس، فالمساواة والتحرر بالنسبة للفرد يتحققان من خلال مشاركته في جماعات قومية متساوية فيما بينها، في عالم ليس فيه أمة أكثر سيادة وسطوة من أخرى. وقرر هس إن «شعب إسرائيل كان حتى الثورة الفرنسية هو الشعب الوحيد في العالم الذي كانت لديه ديانة قومية أو

ديانة انسانية (عالمية)». إلا أن تأثير هس على الفكر والفعل الصهيونيين كان ضئيلا بسبب آرائه بعيدة المدى وانتمائه منذ البداية إلى جماعات اشتراكية غير يهودية (مثل مرافقته لماركس وإنجلز)، وبسبب لا يقل عن ذلك هو أسلوب كتابته الثقيل وغير المفهوم.

وحتى يتم فهم اليهودية كقومية، بإعطاء عمق تاريخي وتحليلي طبقا لمفاهيم القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر، فلابد من التعامل بصورة خاصة مع هاينريش جيرتس وفى فترة لاحقة مع شمعون دوفندوف. فالمشاريع التأريخية لهذين المؤرخين كان لها تأثير بالغ فى بناء وعى جماعى وبناء ذاكرة جماعية متراكمة، كشرط حتمى للتفكير فى مفاهيم القومية والعمل بها، على الرغم من أنه سواء جيرتس أو دوفندوف قد اعتبرا اليهودية فى الأصل «حضارات» وليست كيانات قومية. وعلى سبيل المثال، فالدافع الرئيسى فى تاريخ اليهود، حسب جيرتس، كان الصراع المتواصل مع ثقافات أخرى لكى تؤدى «رسالة» عالمية، ورغم ذلك شن المؤرخ الالمانى هاينزيش ترياتسكيه هجوما على جيرتس، الذى كان بشكل ما تلميذه، بسبب اللهجة القومية (اليهودية) فى مؤلفاته. والمؤرخان جيرتس ودوفندوف، اللذان استخدما مصادر ونصوص يهودية (وخاصة الدينية) وغير يهودية على السواء، افترضا من تلقاء نفسهما بالطبع كون اليهودية قومية، وضمنا فى اطروحاتها القومية تلك الدين الذى كان فى رأيهما هو التركيبة الحافظة للقومية فى حالة ازدواجية الانتماء المحلى وغياب السيادة. غير أن دوفندوف ذكر أن اليهود تحولوا إلى شعب أوروبى، وأن عليهم المطالبة بوضع أقلية قومية داخل دول القوميات الأوروبية أو الأمريكية.

ويعود فضل المساهمة، ولو غير المباشرة، فى بلورة الشعور القومى اليهودى لبعض كُتاب التنوير، وبخاصة إفرهام مابو والذى نجح من خلال كتابه الأكثر رواجا «محبة صهيون» (١٨٤٥)، فى خلق اسلوب تفكير فى حياة يومية يهودية يلفها اطار رسمى يهودى توراتى فى الأرض المقدسة، على غرار الطريقة الرومانسية الفرنسية.

لقد حاولت الصهيونية إذن استخلاص عدة مكونات اساسية من اليهودية على أن تمنحها دلالات مختلفة وعلاقات أخرى:
١ - تعريف حدود الجماعة نفسه بأنهم عموم اليهود فى العالم.
٢ - المنطقة المستهدفة، من خلال نظرية تقضى بأن الهجرة من أوروبا وتسمية مجتمع فى قارة أخرى ووسط شعوب أخرى، تعد تطبيقا مقبولاً وشرعيا فى سياق النظام العالمى الاستعمارى. ٣ - إنتقاء اجزاء هامة، من رموز اليهودية كديانة، بما فى ذلك اللغة المقدسة - العبرية، ومحاولة علمنتها وتحويلها إلى لغة حديثة. وبالذات اللغة اليومية اليهودية (الأوروبية) العلمانية، اللغة اليديشية، وثقافتها الثرية المتنوعة التى أبعدت وتحولت إلى رمز لنفس الأسس داخل اليهودية كحضارة، والتى لا يجب التعامل معها بل ورفضها. ولكن ليست هناك ثورية أيضا فى تشجيع لغة التوراة (أو اللغة المقدسة) والرموز الدينية، لأن جيلاً سابقا من تيار التنوير (الهاسكالاه) أوجد مسارا للمعرفة ومسارا للثقافة، صحيح أنه استقى الكثير من تنوعه وثرائه من الثقافة اليديشية، لكنه استطاع أن يقدم مزيجا من القداسة والعلمنة، كانت الصهيونية فى حاجة ماسة اليه. ٤ - إن اليهودية كدين وكحضارة، حسب تطورها فى المنفى، ابتعدت عن النصوص التوراتية وركزت على ايجاد عناصر معرفية وبنود ثقافية مختلفة، خاصة تلك المنتمية للتلمود (البابلى وليس الإسرائيلى) ولأدب التساؤلات والاجابات والأحكام.

أما المثقفون - فى اطار تجديد اليهودية - فقد كانوا هم المصدر الرئيسى لخلق وعى معرفى من نوع جديد، سمح بالموامة التامة مع مكان وأوان وعلاقة وجود يهودى ما ضمن أطر سيادة غير يهودية وأيضا وسط كراهية لليهود واليهودية. وهكذا وُجدت ثقافة جديدة، صبت قانونا ونظاما داخل وعى الجمهور. وبرزت تفسيرات جديدة سواء لليهودية أو للنظام الكونى ككل، من خلال تأكيد على الطائفة المحلية ومؤسساتها، فبينما انتقلت اليهودية إلى مستوى تجريدى، إستمدت الغالبية صلاحيتها بالفعل من المعرفة العامة الموسعة بعلم اللاهوت وأحيانا من التصوف أيضا، لكن مصدر قوتها كان منجذبا إلى الطائفة المحلية بصفة عامة، والتى كانت بمثابة المرشد والدليل.

لقد احتلت التوراة، التى وُلدت ونشأت فى البلاد التى نُفى اليهود منها، مكانا هامشيا فى الثقافة الحاخامية واللاهوت الدينى، ولم يكن ذلك مصادفة، إذ أن موضوعيتها بالنسبة لحياة اليهود كانت ضئيلة، رغم كونها أيضا نصا دينيا اخلاقيا. وإذا كنا نستخدمه، فقد كان استخداما عارضا، وانتقائيا، وبالأخص ككتاب تعليمى للمبتدئين، فلا عجب إذن أن تتبنى الصهيونية التوراة، وتعيد توصيفها باعتبارها نصا تاريخيا قوميا، وتحاول تحويلها إلى اساس لاعادة تأريخ اليهودية كقومية. ولكن رغم علمانيتها مازالت التوراة نصا أخلاقيا دينيا، يتأسس على قيمة «الذين يعملون الطيبات يثابون من قبل يهوه، والذين يعملون السيئات يعاقبون من قبل يهوه».

وفى بداية الستينيات اشار د. جورج تارين إلى احدى نتائج تعليم التاناخ (التوراة) فى المدارس الحكومية فى إسرائيل. ويتضح مما خلص اليه تامرين تولد ميول يهودية متطرفة وسط الشباب. ومن ذلك، أنه بعد عمليات التعليم لا تنتقل التوراة إلى «الوعى اليهودى» (فى فترة وزير التعليم زلمان آرن).

تارين، وهو عالم نفسانى اجتماعى، استخلص استنتاجاته من وجهة نظر بياجيه التى تعاملت مع تطور الاحكام الاخلاقية فى مراحل النضوج المختلفة. وقد اعتمد على فقرة فى التوراة تصف احتلال أرض إسرائيل على ايدى يهوشع بن نون عن طريق العمليات التطبيقية المعروفة للاحتلال. هذه العمليات، عندما عُرفت بأنها فى سبيل احتلال أرض إسرائيل بواسطة القبائل اليهودية، حظيت بقبول تام من غالبية التلاميذ (كان ذلك هو الأسلوب المتبع فى تلك الفترة)، ولم يوصف ذلك بأى ادانة اخلاقية تقريبا. مقابل هذا، فإن ذات الأعمال والافعال عندما تعلقت بسياق بناء الامبراطورية الصينية القديمة، ونسبت إلى قائد صينى، وصفها أغلبية التلاميذ بأنها مذبحة، على الرغم من أن هذه العمليات جرت فى نفس التوقيت التاريخى تقريبا.

(جـ) كان مهاجرو الموجة الأولى فى معظمهم أناسا مخلصين للغاية، أورثوذوكس بالمعنى المتطور، كانت الوحدة

الاجتماعية الهامة لديهم، بجانب «المستوطنة» (أي مستعمرة) هي الأسرة التقليدية. وكانوا يعتزمون انشاء طوائف دينية تقليدية في «أرض إسرائيل» و«عبادة الله» إلى جانب استصلاح الأرض. وقد حرصت معظم الجماعات أن تشتمل على ثلاث مهن ـ خاتن حاخامي، واعظ، وخبير زراعي. وقبل أن يقيموا منازلهم الخاصة ويؤسسوا مرافقهم، أنشأوا كنيسا ومطهرا للجميع. أما مهاجرو الموجة الثانية والثالثة فقد كانوا مختلفين من أوجه كثيرة. كانوا من المهاجرين الشباب الذين يتحملون أعباء عائلية، ليس لديهم رأس مال خاص، لكن لديهم رؤية متبلورة إلى حد ما. كانت وجهة نظرهم سياسية، ونظرتهم الاجتماعية مادية. وقد اعتبروا أنفسهم من البداية منتقمين ذاهبين للتخندق في المعسكر وأنهم صفوة اجتماعية، فأنشأوا احزاب وجماعات كوميونية، واعتبر جزء منهم على الأقل أنفسهم مرتبطين بالثورة العالمية الوشيكة. وأعلنوا التمرد على آبائهم، وانعكس قدر من هذا التمرد في دنيوية الأعمال لدرجة الالحاد والزندقة. وفي نفس الوقت، وامتدادا لفعل الهجرة إلى أرض إسرائيل، اعتبرت غالبيتهم أنهم وقبل أي شئ آخر يهوداً، ونظروا إلى كل ما يأتونه من افعال كثورة قومية، تبوأت احيانا مكانة أكثر أهمية من السياق الأشتراكي العالمي لهذا العمل. لقد كانوا متعلمين، ولكنهم لم يكونوا بالضرورة ذوي مستوى فكري كاف ليتضح أمام اعينهم جوهر يهوديتهم العلمانية القومية الاشتراكية أمام اليهودية الدينية لجيل آبائهم. وهكذا تساءل اڤرهام دڤيد جوردون عام ١٩٢١: «هل يكفي أن نختار ونعي بمجرد الرأي، هل يكفي أن نؤسس في فكر ونفس الانسان اعتمادا على الفكرة السائدة، أنه في غياب الأساس للاخلاص والايمان الأعمى، يغيب أيضا اساس الدين، وما يحمله من قيم؟» واقترح التمييز بين «اخلاص اعمى» وإخلاص ديني مطاط، وانتقائي وانتقادي، والحفاظ على يوم الغفران (كيبوريم) (في مقابلة دعا برل كتسنلسون إلى الحفاظ على عيد الفصح وإلى تحديد التاسع من آب كيوم للاحتفال بذكراه).

وعندما نتأمل جيدا في المفاهيم والمضامين الثقافية والحمل الثقافي الذي كان يحمله أفراد موجة الهجرة الثانية والثالثة ويحاولون من خلاله أن يخلقوا ويفرضوا علاقتهم بالدين اليهودي، تتبدى امامنا صورة مركبة هي محاسبة الدين والتحجر والتشويه الذي قام به أمامهم المتعلمون (هكذا رأى بياليك، وجوردون، وبيرتس سمولنسكين، وثلاثتهم خافوا من ازدياد تطرف تيار التنوير الذي كان يمكن أن يجر إلى اندماج كامل. وأيضا المفكر هس الذي ظل يثني على أدب التنوير، كان يخشى من جانبه الاصلاحي، الذي من شأنه أن يحول اليهودية من قومية إلى دين). وقد كانت طلائع المهاجرين انفسهم والمستوطنون على الأرض نواة لجيل سوسيولوجي بعد عملية محاسبة الدين المشار اليها. والمثير أن غالبية أول جيل من الفارين من الجيتو، بدا عبء الميلاد والطفولة لديهم كما لو كان مشدودا إلى ركن مظلم، فإذا كان الأب أو ربما الجد على الأقل ليسوا يهودا، فربما بفصاحة ايامنا هذه كنا صنفناهم باعتبارهم اورثوذوكس. هذه الازدواجية في التقييم يعبر عنها بصورة لاذعة وحادة ميخا يوسف

برديتشفسكي الذي لكي ينكر تماما عنها التقاليد والدين ويؤكد الفردية النيتشية، عاني وتحمل الكثير، ووصل إلى النشوة أو الفيض الصوفي باقترابه من الأساطير التلمودية وساحة التقوى. ربما من الصعب اعتبار برديتشفسكي «صهونيا»، لكنه أحسن النظر في مشكلات عصره، كما أن شهرته وشهرة افكاره كانت محل اطلاع واهتمام واسع بين أوساط «المهاجرون إلى صهيون» أيضا.

(د) إن مشكلة الطابع المحدد لنظام الحكم في الجماعة الصهيونية ومؤسساتها، يتبلور من خلال كيان يتمتع بحكم ذاتي (وربما سيادة كاملة أيضا، بعد ذلك)، لم تكن هذه المشكلة تمثل عنصرا اساسيا أو هاما في حوار وأيديولوجية الصهيونية تقريبا حتى موعد اقامة دولة إسرائيل ذات السيادة. ومن الممكن تعيين عدة أسباب رئيسية كتبرير لهذا الغياب: أولا، بينما تكدست مشكلات سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية كبرى أمام احتمال اقامة هذا الكيان، بدا النقاش حول سمات نظام الحكم وخصائصه كوضع الجياد أمام العربة. ثانيا، بالنسبة لمعظم مفكري وسياسيي ومنفذي الفعل الصهيوني، كان هناك بالفعل تصور أولي للسمات والخصائص المطلوبة لادارة الشئون الداخلية، واتخاذ قرارات باختصاصات الأجهزة وتنظيم الصراعات الداخلية المستقبلية. هكذا فإن الجناح الليبرالي للصهيونية، مثال هرتزل أو نورداو، كان تصوره لنظام الحكم ارستقراطيا مستنيرا يقوده الموهوبون المثقفون، متسامحا وعلمانيا. وكان ذلك في أوساط الاشتراكيين وأقرانهم يُعد حكما عادلا تحت قيادة التيار التقدمي وصفوة الشخصيات الذين يقدمون مزيجا من مصالح طبقية قطاعية، وهي مصالح من شأنها أن تكون متطابقة تقريبا مع مجمل الصالح القومي العام. وقد حظي بناء المؤسسات (وخاصة العسكرية منها) والاساطير القومية بالأولوية بين التيارات القومية المختلفة. وعندما انقسمت القوى السياسية داخل الاستيطان اليهودي في البلاد وداخل الحركة الصهيونية، اثيرت مشكلة «الديموقراطية»، أي: أسلوب إشراكهم ليس فقط في عمليات اتخاذ القرارات وبناء الأمة، بل أيضا في تخصيص الموارد الطبيعية وكيفية استغلالها من قبل الجماعة. وبالنسبة للتيار الصهيوني الديني، ففيما عدا انشاء أجهزة تخصيص وتقنين الموارد بصورة «عادلة»، فليس هناك اهتمام كبير بالحكم العلماني لأن الهدف النهائي ـ وإن كان خياليا ـ كان بناء مجتمع تدار شئونه طبقا للشريعة اليهودية بقدر الامكان. والسبب الثالث لغياب أو انعدام الاهتمام بخصائص النظام السياسي الحاكم بين الجماعة اليهودية، يتمثل في أن النقاش حول ذلك يثير صراعات داخلية ويزيد من حدة الخلافات والتوترات، التي كانت قائمة اصلا داخل هذه الجماعة. فيما عدا ذلك، فإن القليل جدا فقط من بين الزعامة والسكان الصهيونيين اليهود كانت لهم محاولة ما للمشاركة في حكم ديموقراطي أيا كان. ومتأخرا عن ذلك، بدا العامل المشترك اليهودي ـ باعتباره ضمانا لبناء مجتمع يتمتع بتفاهم واتفاق واسع يتميز فيه اليهود ـ غير موضوعي.

أضف إلى ذلك، أنه رغم أن الهجرة اليهودية إلى الأرض في الفترة الاستعمارية كانت متدنية (نسبيا مع المتوقع والمأمول

من وجهة النظر اليهودية)، فإن غالبيتها كانت بحاجة إلى اعانة مباشرة أو غير مباشرة من «رؤوس الأموال القومية». لذلك ونظرا لارتباط المؤسسات شبه التطوعية بالجماعة، كانت هناك ضرورة لبناء وإنشاء اجهزة لتوزيع الموارد وتحديد قواعد التخصيص، تحظى تقريبا بالقبول بين المكونات المختلفة للنظام العام، خاصة على مستوى الصفوة التي ترأست الشرائح المختلفة. ولكى تتحقق شرعية لقواعد اللعبة وإطار من الثقة لتخصيص وتقنين الموارد، كانت من بين الوسائل التي استخدمها النظام السياسي اسلوب الانتخابات للمؤسسات القومية وانتخابات ذات صبغة طبقية وداخل المنظمات. ففي انتخابات الهستدروت عام ١٩٢٧ حصل «اتحاد العمل» على اغلبية ساحقة. وفي عام ١٩٣٠ اتحد مع «العامل الصغير» وتحولا إلى «حزب عمال أرض إسرائيل»، الذي خسر هذه الاغلبية في الهستدروت في انتخابات ١٩٩٤ فقط. وفي عام ١٩٣٣ حصل ماباي على الاغلبية في انتخابات الكونجرس الصهيوني، واصبح الحزب المسيطر على الهستدروت الصهيوني العالمي. مقابل ذلك جرت ابتداء من ١٩٢٠ وحتى ١٩٤٤ انتخابات لجميع اعضاء «برلمان إسرائيل». وبرعاية بريطانيا جرت انتخابات بلدية ومحلية بين السكان العرب واليهود فيما بين ١٩٢٤ إلى ١٩٣٥. أما محاولات سلطة الانتداب البريطاني لاجراء انتخابات قطرية عامة شاملة لانتخاب مجلس استشاري، فقد اصطدمت في البداية بمعارضة العرب وبعد ذلك بمعارضة الجانب اليهودي.

هذه الانتخابات منحت النظام اليهودي رؤية جزئية وبعضا من القشور الخارجية للديموقراطية. تلك التي كانت من نوع الديمقراطية الاجرائية، واختفت تقريبا من غالبية الحريات السائدة في الديموقراطية الليبرالية. وكانت هذه الانتخابات بمثابة ترتيبات امتيازية، إذ بجانب المشاركة في الوصول إلى الموارد المادية، منحت أيضا استقلالية داخل الطائفة اليهودية لتقسيمها، هذه الاستقلالية التي وجد فيها الفرد لنفسه حصنا وتأييدا في اطار جماعات اجتماعية سياسية مختلفة، ارتدت احيانا قناع الاحزاب. وهكذا زين إطار الاستقلالية الداخلية الوضع الوسيط الواقع ما بين الحضري والقروي ألا وهم (المواطنون)، وتمتعت به جماعات دينية مختلفة المشارب وبالطبع منح هذا الوضع ايضا «لمجتمع العمال». لكن الديموقراطية بمفهوم غربي ليبرالي بحد ذاتها لم تكن سائدة في سياق حكم استعماري (حتى ولو في صورة «انتداب») ومجتمع استيطاني - مهاجر ومجند على الأقل في جزء منه (لادارة الصراع ضد السكان العرب المحليين)، له طباع شرقية جماعية، بزعامة من وصفهم عالم الاجتماع يوناثان شبيرا بطلائع المراحل المختلفة للثورة البلشفية الناجحة في روسيا. ولكن مثل هذا الاطار (الاستيطان المنظم، لكي تتلمس حدوده)، يحتاج الأمر بالطبع إلى «جماعات خارجية»، فيما عدا هؤلاء الذين كانوا بحد ذاتهم خارج المجتمع اليهودي (العرب، والبريطانيون وبقية الجماعات الأخرى)، وهم كانوا منقسمين على انفسهم، أو كأولئك الذين وصفوا بذلك (مثل الارثوذكسية غير الصهيونية، والشيوعيين، وفيما بعد التنقيحيين. وكانت الحالة المحددة هي جماعات «الاستيطان القديم» السفاردي، أو ارستقراط اليهودية من الفترة العثمانية، الذين غرقوا مع تبدل الحكم. لقد استطاعوا أن يكونوا في الداخل وفي الخارج تقريبا على نقائهم).

وعلى هذه الشاكلة، تمخضت طوائف استجابت تقريبا لاحتياجات غالبية ابناء الطائفة. إن مرجعية «اليهودي» ومرجعية «الصهيوني» - حتى داخل فلسطين الانتدابية (على عكس مهاجر) تشوهت الحدود بينهما - لم يكن ذلك فقط من ناحية الهوية الجمعية، بل أيضا كمبدأ ينظم الدفاع عن حقوق ابناء الطائفة. تلك لم تكن حقوق مدنية عامة، بل حقوق طائفية ليست بالضرورة متساوية لقد توافرت حقوق معينة تختلف من جماعة إلى أخرى، لكنها شملت جماعيا التمثيل والظهور تجاه ما هو خارج منها (السلطة الأجنبية والأغلبية العربية)، ومنحت الرعاية في مواجهة أي ضرر بالجسد وبالممتلكات. وعلى مستوى ما ضمت هذه الحقوق الطائفية عملا، وتأييدا، وحدا أدنى من الاعانة، وخدمات الصحة والتعليم (بصورة مستقلة لكل جماعة داخل الطائفة). ولم يكن المبرر لبناء هذه الحقوق ومنحها كخدمات هو مجرد الاهتمام بأبناء الطائفة، بل تطلع الطائفة اليهودية إلى الوصول لأقصى استقلال وعدم ارتباط بالدولة الانتدابية، وإلى بناء دولة داخل الدولة داخل سياق العلاقات الثلاثي البريطاني - العربي - اليهودي، ونظرا لأن الحركة الصهيونية لم تنجح في خلق اغلبية يهودية داخل فلسطين أرض إسرائيل، فكان عليها أن تخلق أجهزة ومؤسسات موازية (الدولة القادمة)، والتي مع مرور الوقت يمكن أن تحل محل أجهزة ومؤسسات الدولة الاستعمارية الانتدابية. أما الطائفة العربية الفلسطينية فلم تكن مضطرة إلى ذلك، لأنها باعتبارها أغلبية كان من المقرر أن «ترث» أجهزة الدولة الاستعمارية، كما حدث في غالبية الدول الجديدة التي تحررت من الحكم الاستعماري. وجوهر اليهودية، بين الدين والقومية، لم يكن بالضرورة حاسما في تلك المرحلة التاريخية.

ولم تكن الأمور كذلك بالنسبة لانشاء دولة إسرائيل ذات السيادة، والتي استهدفت لنفسها أن تصبح دولة قومية لجميع اليهود في العالم. ففي ١٩ يونيو عام ١٩٤٧، وفي سبيل اقامة الدولة، بعثت الوكالة اليهودية خطابا إلى «أجودات يسرائيل» غير الصهيونية طلبت فيها الحصول على تأييدها ومشاركتها التامة في عملية إعلان الدولة اليهودية (سبق ارسال الخطاب مساومة غير رسمية لم تتسم بالمرونة). في هذا الخطاب، الذي يمكن اعتباره إلى الآن هو الأساس لحالة «الوضع الراهن»، الذي يعد من اركان الثقافة السياسية في إسرائيل، نقول في هذا الخطاب التزم رؤساء الوكالة (وقع على الخطاب دڤيد بن جوريون، والحاخامان بيشمان ويتسحاق جرينبويم)، بأن يكون يوم السبت هو يوم العطلة القانونية للدولة، وأن تحظى بالاهلية كل المرافق العامة والرسمية الحكومية، وأن تتم شئون الزواج، «بقدر الامكان طبقا لقواعد الدين السليمة، وذلك لمنع أي انقسام والعياذ بالله، داخل البيت الإسرائيلي.» كذلك يضمن الخطاب استقلالا تاما لأي تيار تعليمي. وفي نفس الوقت رفض الخطاب المطالبة - والتي اثيرت من وراء الكواليس - بتحديد الشريعة اليهودية دستورا للدولة. وكان مبرر رفض هذا المطلب هو الحاجة إلى اطار شكلي ووهمي، ألا وهو «إن اقامة الدولة يحتاج إلى موافقة

الأمم المتحدة، ولن يحدث ذلك بدون ضمان حرية الضمير الانسانى فى الدولة لكافة مواطنيها ، ولن يكون ذلك متاحا إذا كانت النية تتجه لانشاء دولة دينية ثيوقراطية » - والمغزى، أنه فقط بسبب ضغوط خارجية والخوف من رفض الأمم المتحدة، يمنع انشاء دولة دينية، ويسود الانطباع بأنه لولا هذه الضغوط لكان المجتمع اليهودى مستعدا لتلقى عذابات ملكوت السماوات مع انشاء الدولة. وبالمناسبة فالوارد أن تضم الدولة ايضا مواطنين غير يهود. وأنه من الواجب والمحتم أن تكون مساواتهم فى الحقوق مضمونة، وهو أمر يبرز كمبرر أيضا لعدم تطبيق الشريعة كدستور، أى: ضغط خارجى آخر. وقد رحبت أجودات إسرائيل بالخطاب واعتبرته « وثيقة هامة » ، لكنها ذكرت أنه لم يتضمن ما يلبى مطالبها بما يكفى. واقترحت مواصلة المفاوضات وجها لوجه.

(هـ) فى مرحلة صياغة وثيقة الاستقلال أيضا نشأت مشكلة، لكن برز معها الحل: « فى أرض إسرائيل قام الشعب اليهودى، وتشكل فيها اطاره الروحانى والدينى وطابع دولته [...] وفيها أنتج ثروات ثقافية قومية وإنسانية وأورث العالم كله الكتاب الأبدى التوراة ». فالدولة نفسها أعلنت بدافع « حق طبيعى وتاريخى » وعلى اساس قرار عصبة الأمم المتحدة. ومن المقرر أن تتأسس « على أسس الحرية والعدل والسلام ». وفى ضوء رؤية انبياء إسرائيل، والتى تعد رؤاهم - كما هو معروف - دينية فى الأسس. والدولة « ستقيم مساواة فى الحقوق الاجتماعية والسياسية بين جميع مواطنيها دون تفرقة فى الدين أو العنصر أو الجنس » (وليس القومية!) . وتم التوقيع على كل ذلك فى اطار أمن حصين لإسرائيل. وكانت المشكلة فى تعريف وتحديد هوية الدولة ومصدر شرعيتها ، وفى التوتر الكامن بين مؤسساتها الدينية المدرجة فى الاعلان وبين التطلع إلى منحها صلاحية علمانية شاملة، دون ذكر بعض من الحقوق والحريات العلمانية لمواطنيها ، على طريقة الثورة الفرنسية. وكان الحل الذى ظهر آنذاك هو محو وإزالة الحدود بين المؤسسات الدينية والعلمانية، بين الدين والقومية. ولكن يجدر بنا أن نضيف هنا أيضا ، أنه حتى عند ولادة فكرة الفصل بين الدين والدولة - فى الولايات المتحدة الأمريكية طبقا لدستورها - فإن هذا الفصل لم ينجح ابدا ولم يخرج إلى حيز التنفيذ بصورة كاملة.

إن آجلا أو عاجلا وصل موضوع فصل الدين عن القومية إلى مختبر محكمة العدل العليا ، وذلك بعدة احكام غير مسبوقة، لم تحدد فقط مبدأ أو قاعدة قانونية، بل أيضا كشفت عن الوضع الثقافى، والاجتماعى السياسى الغامض. ففى الحكم المشهور بشأن تسجيل ابناء بنيامين شليط (محكمة عدل عليا ٥٨/٦٨) كتب كبير القضاة برنزون فتواه بأسلوب الليبرالى المعتدل: « يجب اعطاء تعبير « قومية » المدلول الذى يتلاءم مع روح العصر ويكشف الوعى السائد بالجزء المستنير من سكان البلاد ». لكن القاضى برنزون لم يحاول مثلا ، تعريف من هو المستنير وأى اجزاء من السكان هم المستنيرون. وأضاف: « لا يجب أن نفرض على تعبير قومية، والذى تعتبره الغالبية منفصلا عن الدين، اختبارات الشريعة اليهودية.. (وطبقا لذلك) فإن نظرة الشريعة الدينية فيما يتعلق بقومية ساكن هذه البلاد لا يمكنها أن تكون أساسا لأحكام وفتاوى المحاكم المدنية فى دولة إسرائيل ». ومقابل ذلك قرر القاضى زيلبرج بفهم أقل: « لا يمكن قطع القومية اليهودية عن جذورها الدينية. فالانتماء الدينى اليهودى ضرورة وواجب للقومية اليهودية. ولا توجد حتى الآن قومية يهودية إسرائيلية، وإن وجدت، فإنها ليست بالضرورة قومية علمانية ».

ويضيف القاضى اجرنط: « فى تاريخ الشعب اليهودى اندمج العامل العنصرى - القومى (هكذا) فى الوحدة الدينية، وتربط بين هذين العاملين رابطة لا يمكن فصلها عنهما. وعلى مدى التاريخ الطويل للشعب اليهودى، على الاقل حتى العصر الحديث، فإنه يحمل طابعا قوميا دينيا [...] طبقا لنظرة اليهودية التاريخية. إن أسس القومية والدين مرتبط كل منهما بالآخر، ولا يمكن فصلهما ».

والأكثر من ذلك غرابة هو موقف المحكمة من مطالبة « الأخ دنيال » (هو اوسفيلد روفايزن) بتسجيل قوميته كيهودى، رغم أنه غير ديانته إلى النصرانية (محكمة العدل العليا ٧٢/٦٢) . والقضية التى طرحها هذا الموقف كانت مدلول كلمة « يهودى » ، كما ينص عليه قانون العودة. هنا وبصورة تنطوى على تناقض، مع رفض مبادئ الشريعة اليهودية التى تنص على أن من وُلد يهوديا (أى لأم يهودية) يجوز اعتباره يهوديا حتى لو غير دينه برغبته، رفضت المحكمة هذا الطلب، وفرقت بين المعنى العلمانى لكون المرء « يهوديا » طبقا لقانون العودة وأى قانون مدنى آخر، وبين معناه حسب قوانين الزواج السائدة طبقا للشريعة. ولم يتطرق هذا الحكم لمناقشة وجود أو عدم وجود قومية يهودية منفصلة عن الدين، بل حدد الأمر مهتديا « بالعقل المباشر » ، وأنه « على ضوء المدلول العادى لتسمية « يهودى » ، فإن اليهودى الذى تنصّر لا يسمى يهوديا ». وهكذا وجد، ربما بما لا يتفق مع حكم المحكمة، تعريف « يهودى » طبقا للشريعة، مقابل « يهودى » كما هو مألوف (ربما علمانى؟) . وهنا جاء تحديد آخر محسوم لمحكمة العدل العليا: « إن إسرائيل ليست دولة دينية ثيوقراطية، لأن الدين فيها لا ينظم حياة المواطن، بل القانون ».

هذا التحديد يثير الغموض والمشاكل حتى فى اطار الحكم نفسه، والغريب أن قوانين الزواج فى إسرائيل خاضعة لقضاء المحاكم الحاخامية والتى لا تصدر أحكامها طبقا لما يتفق مع قوانين الدولة، وما قبلوا به من الهيئة التشريعية للدولة، بل تأتى هذه الاحكام طبقا لقوانين الشريعة والتفسيرات التى يتوصل اليها القضاة المتدينين. بمعنى، أنه طبقا لقانون المحاكم الحاخامية « الزواج والطلاق عام ١٩٥٣ » و« قانون القضاة المتدينين ١٩٥٥ » ، تخرج الدولة بذلك من أحد المجالات القضائية المؤثرة فى حياة مواطنيها - مجالات الزواج - وتتركها لسلطة تقيم خارج اطار الدولة، تمارس عملها طبقا لمبادئ الشريعة اليهودية.

إن التغاضى عن مجالات قضائية لصالح المحاكم الحاخامية - التى تستقى أصلا صلاحيتها من تشريعات الدولة وكذلك فتواهم تخضع لدراسة هيئات الدولة، لكن القوانين والقواعد التى يضعونها لا تمر بالقنوات التشريعية لبرلمان الدولة، بل تنبع من هيئات تشريعية دينية خالصة - هذا التغاضى يخلق وضعا شاذا بين دول تدعى انها دول ذات قومية ودول

ديموقراطية قانونية وليبرالية ولكنها غربية. ومع مر السنين اتجهت بالفعل محاكم الدولة (العلمانية) أكثر فأكثر إلى التدخل في بعض الفتاوى في شئون الزواج، ولكن دستوريا بقي الوضع على ما هو عليه. (ويرى بعض المفكرين الدينيين، وأبرزهم يشعياهو ليفوفيتش: لقد اصبح الأمر بذلك بيروقراطية دينية، لقد فقد الدين استقلاليته، وفقد العاملون في قداسته مصدر صلاحيتهم الدينية وأصبحوا موظفين في الدولة. وهذا الرأي يتطلب دراسة متعمقة، لكن ذلك لن يغير واقع وجود المحاكم الحاخامية والتشريعات القطرية والمحلية المستمدة من الشريعة، والتي تفرض نظرياتها على كافة مواطني الدولة اليهود.)

(و) في غضون تسمية دولة إسرائيل، وبينما بدأت تترسم على الساحة الدولية الحدود بين الكتلتين، وأخذت الحرب الباردة بينهما تلوح، كان على إسرائيل أن تقرر لأية كتلة ستنتمي. إذ بمنظور استعادة الماضي في ذلك الوقت لم يكن واضحا بأي حال ما سيكون عليه طابع الدولة وماهو التوجه الدولي لها. وهما الأمران اللذان لم يكن احدهما بمعزل عن الآخر. وقد اسفرت القوى السياسية والاجتماعية السائدة في الدولة عن نفسها «الاشتراكيين» بعضهم (مثل مابام، وبالطبع الحزب الشيوعي الذي أعيد تنظيمه فور قيام الدولة وكانت له جذور تاريخية متينة في الاستيطان) كان له توجه واضح تجاه الاتحاد السوفيتي، وإن لم يقبلوا تماما بالنظرية الشيوعية ولم ينصاعوا بكليتهم للقيادة السياسية السوفيتية. وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت الشيوعية والاتحاد السوفيتي في نظر كثيرين «عالم الغد» (حتى المانفستو في الصين تأسس على أيدي ثوريين شيوعيين. وكذلك اعتبروه في فرنسا وإيطاليا الربان إلى حكم شيوعي)، في حين كانت الاستعمارية والرأسمالية الغربية (ونظمها الليبرالية) تبدو «كعالم يغرق»، سبق أن حاربت ضده الحركات السرية اليهودية للاستيطان.

حتى بعد كارثة الابادة كانت أوروبا الشرقية ماتزال تمثل مخزون القوى البشرية الاكبر لهجرة اليهود. وعلى الجانب المعاكس، ابدت الادارة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، مع بداية دخولهما الدائرة المناهضة للشيوعية، تشككا ومعاملة متحفظة تجاه الدولة اليهودية «الاشتراكية»، والتي كان شعارها «التجاري» كومونات زراعية (أي. الكيبوتسات). وأثناء حرب ١٩٤٨ المريرة فرضت الادارة الأمريكية وحلفاؤها حظرا على شحنات السلاح إلى الشرق الأوسط. وكان المتضررون الاساسيون هم اليهود. مقابل ذلك اصبحت دول أوروبا الشرقية مصدرا رئيسيا لامدادات السلاح وأيضا مكانا لتدريب القوات اليهودية المقاتلة في فلسطين. والمفترض أنه في المرحلة الأولى تعلق الاتحاد السوفيتي بأمل أن تصبح الدولة اليهودية حليفته في المنطقة، واعتبر السوفيت أن الاحتمال كبير في أن تبقى هذه الدولة تحت رعايتهم.

وكما هو معروف تحدد توجه الدولة الجديدة تجاه «الكتلة الغربية» وكان وراء ذلك عدة اسباب:

(أ) كان واضحا أن اليهودية الامريكية المنظمة ستصبح السند السياسي والاقتصادي الراسخ على المدى الطويل بالنسبة للدولة، وفي نهاية الأمر، ستكون الطائفة المنظمة تلك في جيل منها، ذات تأثير على الادارة الامريكية نفسها. فثمن انشقاق مع اليهودية الأمريكية يعتبر أكبر بكثير مما تستطيع الدولة اليهودية أو ترغب في تحمله، ذلك على الاقل التصور الذي كانت عليه الأمور آنذاك.

(ب) منذ زيارته للولايات المتحدة من أجل مؤتمر بلتيمور (مايو ١٩٤٢) تأثر بن جوريون بشدة من المجتمع الأمريكي، المتعاظم والمتنوع، ولم يشارك من اعتبروا أنه مجتمع يغرق في رأيهم.

(جـ) على الرغم من ابرام اتفاقات وقف اطلاق النار في نهاية الحرب ثارت توقعات لانهاء النزاع اليهودي العربي، واتضح أن عدم اسراع العرب للاعتراف بإسرائيل، وزيادة مشاعر الحصار على الدولة، يأتي في مصلحة القيادة السياسية والثقافية للدولة ـ على ما يبدو. فلم ترد الصفوة الحاكمة في إسرائيل أن يتم استيعابها في شرق أوسط متخلف، خاصة بعد أن اضطُرت لاستيعاب ـ لاعتبارات أيديولوجية ـ عددا ضخما من مهاجري الشرق الأوسط وشمال افريقيا. على أية حال، ارادت إسرائيل أن تنتسب إلى الجماعة الأوروبية، التي بدأ مفكروها يلتفتون اليها بحماس كبير، عندما كان هدفهم النهائي اقامة الولايات المتحدة الأوروبية (الغربية). من الناحية الجغرافية ـ السياسية، والاقتصادية والثقافية رأت النخبة الحاكمة في إسرائيل نفسها جزءاً من أوروبا، وليس من الشرق الأوسط.

(د) أنه كلما بقي النزاع مع المحيط العربي بلا حل وازدادت حدة رفض إسرائيل أيضا، لعودة جماعات اللاجئين العرب بينما هي تستوعب موجات المهاجرين مع نهاية العهد الاستعماري، كلما ازدادت نموا وتطورا بذور مشكلة شرعية قيام دولة يهودية في المنطقة. واحتدمت هذه المشكلة أكثر بعد حرب ١٩٦٧. وبصورة تنطوي على التناقض، كان الرد على مشكلة شرعية دولة يهودية داخل «منطقة عربية» في مرحلة ما بعد الاستعمارية، موجودا في طبيعة الدولة كدولة يهودية بالمفهوم الديني للكلمة. فملاحقة اليهود، وكارثة الابادة، وجسارة المشروع الصهيوني، ونتائج حرب ١٩٤٨ بانتصار «الاقلية على الاغلبية» ـ كلها كانت بالفعل ردودا مقبولة (لدى اليهود وغير اليهود الذين أرّقهم ضميرهم) على مسألة شرعية بناء مجتمع على حساب مجتمع آخر. وفي هذا التفسير للماضي القريب والبعيد، الذي كان مقبولا لدى غالبية الشعب اليهودي التي بقيت بعد كارثة الابادة، كان يكمن ايضا النجاح السياسي والثقافي ـ وبمفاهيم معينة، الديني أيضا ـ للصهيونية كحركة اجتماعية وكفكرة سياسية واجتماعية. غير أن الرد النهائي كان منغمسا في رموز وقيم اصيلة، بواسطتها نجحت الحركة الصهيونية في تعبئة بعض الجماهير اليهودية وحشد التأييد السياسي من البعض الآخر. وتلك كانت رموزا وقيما وأحاسيس دينية ساطعة. والدولة اليهودية ومجتمعها ما كانوا ولا استطاعوا أن يكونوا دولة كهنوتية دينية، لكنهم كانوا في حاجة لليهودية ولكل هؤلاء الذين قدموا أو تباهوا بتقديم اليهودية من الشرعية التامة للصهيونية. وبناء على ذلك لم تستطع الصهيونية التنازل عن مشاركة الدينيين الفعالة (وكلما كانوا أكثر تدينا، كان ذلك أفضل) في المشروع القومي اليهودي. هذه المشاركة لم تكن

لتخرج إلى حيز التنفيذ من خلال توجه للكتلة الشيوعية الملحدة فى جوهرها.

(هـ) كان من شأن التوجه نحو الكتلة الشرقية أن يغير فورا من علاقات القوى داخل البنية السياسية الداخلية لمصلحة مابام - المنافس الرئيسى لـ ماباى للسيطرة على المعسكر العمالى - وربما تمخض عن ذلك أيضا خلق قاعدة للتحالف بين مابام والفروع اليهودية للحزب الشيوعى. وموجات المهاجرين التى وصلت دون انتقاد من أوروبا الشرقية كان أعضاؤها وكأنهم متهمين فى نظر النخبة الماباية بميولهم الشيوعية وتعاطفهم أكثر مع الاتحاد السوفيتى، الذى انقذهم من الابادة على أيدى النازيين، وبنفس الطريقة اتهم مهاجرو بلاد الشرق وشمال افريقيا بأنهم طاقة مختزنة للتعبئة عن طريق التنقيحيين (حيروت).

غير أن الترجيح للتوجه تجاه الغرب كان مرتبطا بالترجيح تجاه نظام الحكم الداخلى داخل الجماعة، وخاصة فى الالتزام تجاه حكم ديموقراطى متعدد الاحزاب، على الاقل على المستوى الشكلى والاعلانى، على النقيض من نموذج «الديموقراطية الشعبية» التى تبلوت فى أوروبا الشرقية. ومن الناحية المؤسسية - وجود احزاب، تشكيل برلمان، اقامة انتخابات حرة ونظامى قضاء مستقلان - فالوسائل لتسمية ديموقراطية ليبرالية حرة كانت موجودة أو جرى بناؤها فى زمن قصير. ولكن بالاضافة إلى هذا التبلور المؤسسى، كان من الضرورى ايجاد أجهزة وبنية أيديولوجية تمنح توازنا للديموقراطية وتضمن استمرار سيطرة النخبة السياسية والثقافية لماباى وحلفائه. من أجل ذلك طالبت جميع شرائح المجتمع بموقف «رسمى».

هذا الموقف سعى إلى تكريس افضلية الدولة كمؤسسة وكرمز والاخلاص لها ولممثليها عن الأخلاص لأى تنظيم سياسى أو كيان آخر فى المجتمع المدنى طالما كانت تلك دولة القومية اليهودية، ولتحقيق الحلم الصهيونى خالصا. لقد أممت الدولة فورا ليس فقط القوات المسلحة والشرطة، بل أيضا التعليم (التخلص من الاستقلال الذى تمتع به سواء التعليم الرسمى الدينى أو التعليم الحريدى)، ومكاتب العمل وجزءاً كبيراً من البناء (مع عودة سيطرتها على ٩٠٪ من الاراض - سواء اراضى كانت فى السابق ملك الهستدروت الصهيونى، أو الأراضى المهجورة العربية الفلسطينية، دون أن نذكر أراضى دولة بريطانيا الانتدابية. لقد تحملت الدولة مراقبة «استيعاب الهجرة»: السيطرة على السكان العرب الذين يوصفون «بالعداء» (بواسطة ادارة عسكرية حازمة وإبعاد هؤلاء السكان من سوق العمل)، بناء جيش نظامى، جيش عامل ومنظومة احتياط، تشجيع المشروعات الاقتصادية من خلال دعمها، توفير خدمات معاونة، توزيع السكان من خلال خلق نوع من التمييز الواسع بين غالبية المهاجرين الجدد وبين السكان القدامى باستخدام نظام المفرزة لايجاد اقلية ثقافية متميزة قوية، وآخرين لهم الشرعية. بذلك اصبحت الدولة المحرك الرئيسى والوحيد تقريبا، والعنصر صاحب القوة الأكبر فى المنظومة برمتها. والديموقراطية الإسرائيلية لم تعترف بوجود الأقليات، التى يجوز أن جميعها كانوا يهوداً. ومن لم يكن كذلك، يعتبر موجودا خارج المنظومة.

لكن قوة الدولة تقلص مستواها خاصة كلما نجحت سياستها. فأدى ذلك إلى وجود طبقة متوسطة جديدة، قلّ ارتباطها بالدولة مع الزمن، وأزهرت هذه الطبقة مجتمعا مدنيا حول جماعات اقتصادية وبيروقراطية جديدة، ونخب محترفة مثقفة ومستنيرة، نجحت فى خلق شفافية عامة وخاصة، حيث كان من الصعب على الدولة اختراقهم. كذلك اكتسبت العائلة قوة متجددة أدت إلى نمو الفردية التى لم تكن معروفة سابقا بين هذه الجماعة لم يحصل ابناء الجيل الثانى لمهاجرى الشرق على ما أرادوه من مناصرة وتميز، خاصة أنهم وعلى خلفية العامل المشترك ليهوديتهم طلبوا المشاركة والاعتراف وقبل كل ذلك، الاعتراض والاحتجاج ثأرا للمذلة التى عاناها الجيل الأول. ونجح حزب «حيروت» القومى (اليهودية: يهودية جرى تفسيرها من جديد ليس فقط كدين وتقاليد، بل أيضا كموقف معاد وفعال للعرب) فى استغلال هذه المشاعر جيدا عندما صعدَ إلى السلطة بين أعوام ١٩٧٧ - ١٩٩٢. كذلك نجح العرب الفلسطينيون مواطنو إسرائيل شيئا فشيئا فى ترجمة أعدادهم إلى قوة سياسية وبواسطة سياسة ذكية باستخدام قواعد اللعبة المعلنة للدولة اليهودية وأن يصبحوا اقلية قومية ذات وعى مستقل. وربما تكون الجماعة الوحيدة التى نجحت فى تحدى ما فرض عليها باستمرار السيادة الصهيونية للدولة.

غير أنه حتى عام ١٩٩٢ على الاقل عرف الشباب المتدين - القومى كيف يستخلص كل الفائدة من كون إسرائيل دولة قومية يهودية، يدخل الدين أيضا فى تشكيل وجودها. وهذه الحركة استغلت أزمة الهوية والفراغ الايديولوجى الذى ساد كل المجتمع الإسرائيلى منذ الانتصار العسكرى فى حرب ١٩٦٧ والصدمة النفسية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، وتحولت طبقة اشكنازية متوسطة من جماعة هامشية تماما إلى عنصر اساسى رائد أيديولوجياً وسياسياً. فى أعقاب حرب ١٩٦٧ باتت دولة القومية اليهودية، دولة مزدوجة واقعيا من ناحية التركيب السكانى. وأدت الحرب إلى عودة التعبير المتصل بالأرض (الاقليمى)، والدينى على وجه الخصوص، تعبير «أرض إسرائيل». لم يكن هناك فى تاريخ الصهيونية تطابق كبير بين مشاعر قومية وعسكرية من ناحية وبين احاسيس دينية ذات صلة بالمخلص المنتظر من ناحية أخرى. كما تفجرت بعد احتلال «أرض إسرائيل» (وكل ما تم احتلاله تقريبا جرى تعريفه مجددا باعتباره أرض إسرائيل). ولم يكن بحوزة المجتمع الذى يصف نفسه بأنه «غير دينى» (ولكن يهودى) وسائل وأدوات ليتعامل مع الواقع المركب الذى تشكل. فمن جهة، هناك نصر عسكرى يعتبر إلى حد كبير بمثابة معجزة (سواء بالنسبة للعلمانيين أو بالنسبة للحريديم غير الصهيونيين)، مع تحقق التطلعات القومية - الاقليمية التى كانت مكبوتة على مدى سنوات طويلة. ومن جهة أخرى، استمرار ما بدا أنه رفض العرب للاعتراف بحق وجود إسرائيل فى المنطقة حتى مقابل اعادة الأراضى التى احتلت. وعلاوة على ذلك: فالسكان منصاعون، وأضعف من أن يتعاونوا (على الأقل فى تلك المرحلة) مع المحتل مقابل قطعة خبز، وتحولت خبرة الاستيطان شيئا فشيئا إلى الأيديولوجيا الرئيسية للصهيونية. وباتت «جوش ايمونيم» هى بؤرة

الصهيونية، ذات قومية قاسية تتجاهل تماما حقوق أي جماعة أخرى تعيش على نفس الأرض.
ولكن رغم مركزية «جوش ايمونيم»، وخاصة مع تشوه المنظومة السياسية الإسرائيلية في اعقاب حرب ١٩٧٣ (حرب يوم الغفران،)، فإنه لم يستطع الامساك بالخريطة الاجتماعية السياسية كاملة. بسبب قلة خبرته وتجاهله التام لاحتياجات مجتمع مركب كإسرائيل، وبسبب تركيزه على الاستحواذ على المناطق المحتلة وبسبب اختلال التوازن الدقيق بين المكونات الدينية والمكونات العلمانية الشاملة الكامنة في «اليهودية الإسرائيلية». وعندما اقتنع اعضاء «جوش ايمونيم» أنه رغم هيمنتهم القيمية السياسية، لم يعد في مقدورهم تعبئة الشعب في تأييد فعال (على سبيل المثال، رغم أن الحكم كان في صورة حزب قومي متعصب كالليكود، لم يكن ممكنا تحقيق ضم رسمي للضفة الغربية واتخاذ خطوات عملية تؤدي إلى تقليل متواصل ومؤثر للسكان الفلسطينيين بالمناطق المحتلة)، انغلقوا على أنفسهم اكثر واكثر داخل مساحة من الأرض خارج حدود الدولة في محاولة لبناء طائفة متدينة خاصة بهم، تتم إدارة شئونها طبقا لأحكام الشريعة. وهذه العملية أدت إلى خلق مصالح خاصة «لجوش» بمعنى: ليس فقط «روتينية التحول»، بل الحفاظ على أسلوب الحياة، السكن، البيئة، الملكية والعمل من أجل المجتمع الذي وجد في المستوطنات. أن الأمل في أن تفرض أرض إسرائيل قيمها على كامل سكانها اليهود في دولة إسرائيل، بدا كأمل كاذب، لأنه كان بمثابة تهديد أكثر منه ضمانا وأمنا بالنسبة لغالبية سكان الدولة.
(ز) في منافسة مستترة لـ «جوش ايمونيم» أخذت تتبلور بسرعة حركة قومية شعبية، يمكن اعتبارها فوق صهيونية. وهي شعبية لأنها ترعرعت من القاعدة ولم تمر بتصور أيديولوجي تنظيمي للنخبة. كما أن الحدود بينها وبين الصهيونية مشوشة. وهي فوق صهيونية نظرا لأنها لا تبالي اطلاقا بالاهداف السياسية المعقدة للصهيونية، وأساسها ديني تراثي مشابه لمثيله في جوش ايمونيم. وقد ارتبطت هذه الحركة القومية بظاهرة جديدة أخرى، وهي ظهور قومية (أو شوفينية) يهودية حريدية مناهضة للصهيونية من الأساس. وقد عبرت هذه القومية عن نفسها في بعدين مرتبطين ببعضهما:
(أ) مصدر الاعتراف واقعيا بوجود دولة يهودية في أعقاب الحشد السكاني والمكاني الضخم لليهود في مداخل «أرض إسرائيل» وخلق وسائل الدولة المؤهلة لذلك (جيش، شرطة، روتين العمل، وموارد)، وهذه الدولة قد ارتكبت أثماً من الأساس، لأنها لا تدار طبقا لفتاوى وأحكام الشريعة (الهالاخا) ولأنها تشجع توجهات العلمنة الدنيوية. كما أنها لم تولد حسب الطريقة السماوية للخلاص. ولكن على اعتبار انها موجودة، فإن لها نصيب من القداسة واحتمال أن يأتي الآوان ليحولها سكانها اليهود إلى دولة شريعة تامة.
(ب) من خلال الصراع مع «الصهيونية الدينية» من مدرسة الحاخام كوك وحلقات الصراع المتعلق بالأرض بين اليهود والعرب، أزدادت حدة توتر مشكلة «قداسة أرض إسرائيل». إذ هناك حاخامات كبار في التوراة، يقيمون في الولايات المتحدة وفي إسرائيل أيضا. مثل زلمان شنيرسون، يوآل تيا تليوم، أهرون سولوفياشك أو الحاخام اليعازر مناحم شخ، رغم عدائهم للثيولوجيا (الاساطير الدينية)، فإنهم متحدون في «رأي التوراة» بعدم التنازل عن أي جزء من الأرض المقدسة لصالح سيطرة الأغيار (الجوييم) أو الغرباء عموما والمسلمين خاصة.
ورغم ذلك، عندما ندرس مواقف السكان اليهود بالنسبة لقضايا الايمان والدين والتصورات الاساسية، كما فعل غير مرة معهد جوتمان للأبحاث الاجتماعية التطبيقية، نكشف بالفعل عن صورة مجتمع تقليدي ديني، لكنه في وقت ما أيضا صهيوني ذي توجه متداخل من ذلك مثلا تصنيف عينة السكان محل البحث على النحو التالي: ٢٪ حريديم غير صهيونيين، ٣٪ حريديم صهيونيين، ٩٪ دينيين قوميين، ٣٦٪ تقليديين، ٤٪ محافظين أو اصلاحيين، ٤٥٪ لا ينتمون لأي تيار ديني. هناك ٩٠٪ من سكان إسرائيل اليهود يعتبرون انفسهم صهيونيين، و٩٤٪ فخورون لكونهم يهود. ويعتقد ٧٥٪ أن ولادتهم كيهود أثرت كثيرا على مشاعرهم كجزء من الشعب اليهودي، و٧٢٪ يبدون تأثيرا مشابها بالنسبة للتاريخ اليهودي، و٨٤٪ مثلهم بالنسبة لتاريخ الاستيطان اليهودي في البلاد. و٩٥٪ ينسبون شعور انتمائهم للشعب اليهودي إلى إعلان دولة إسرائيل. بينما ينسب ٩٤٪ شعورهم كجزء من الشعب اليهودي لمجرد وجودهم في إسرائيل.
وبالنسبة لتنفيذ الأوامر: ٦٩٪ يعترفون با لحفاظ على استقامة صارمة في المنزل و٦٠٪ خارج المنزل، و٦٨٪ منهم يرون الاستقامة مبدأ توجيهيا هاما في حياتهم، ٤٨٪ لديهم في البيت أدوات مستقلة لأكل اللحم واللبن، ٢٦٪ يعلنون أنهم لا يسافرون إطلاقا يوم السبت، ٤٢٪ يمتنعون عن أي عمل فيه، و٢٢٪ لا يستخدمون اجهزة كهربائية يوم السبت، ٧١٪ يصومون دوما في عيد الغفران (يوم كيبور)، ٨٪ يؤدون صلاتهم يوميا في المعبد (الكنيس)، ولكن ١٩٪ فقط قلما يتحركون من هناك، ١٤٪ يؤدون صلاة الشكر ويحتفلون في عيد الاستقلال، وهم الذين يحولون يوم الاستقلال إلى مغزى ديني، ١٩٪ يصلون فجرا في الكنيس أو في بيوتهم، ٧٨٪ يشاركون في الاحتفال التقليدي بعيد الفصح و٦٨٪ يمتنعون تماما عن أكل أي طعام مختمر في الفصح. هناك ٢٪ فقط من السكان اليهود كافة لا يضعون عضادة الباب (تعويذة) على مدخل منزلهم (٧٢٪ يثبتون التعويذة على كل باب في البيت!)، ٨٣٪ يعتقدون أو يأملون أن التعويذة ستحمي منزلهم (لا يذكر تحميه من ماذا أو مَن)، ٢٠٪ يحرصون أو يحرصن على اسلوب محدد في تغطية الرأس (٧٣٪ لا يضعون على رؤوسهم أي شئ)، ١١٪ يذهبون احيانا للصلاة بالقرب من حائط المبكى. ومثل هذه النسبة تسافر إلى مقابر الاولياء والصديقين، وأخيرا ٢٠٪ يتلقون بانتظام أو في احايين متقاربة دروس الشريعة.
وماذا أيضا يؤمن به مواطني إسرائيل اليهود؟ من ذلك، الايمان الراسخ لدى ٥٥٪ من سكان إسرائيل اليهود أن التوراة منحت لموسى في جبل سيناء. ١٤٪ فقط يرفضون تماما فكرة «منح التوراة» كواقع تاريخي، ٦٨٪ يؤمنون بأن الشعب اليهودي «شعب مختار، ٢٠٪ فقط يكفرون بذلك

تماما، ٥٤٪ يؤمنون بوجود «العالم الآخر»، ٥٨٪ يؤمنون بوجود «عناية إلهية شخصية»، ويؤمن ٧٥٪ بالثواب والعقاب، اما احتمال مجيئ المسيح أو المخلص فأكيد لدى ٣٩٪ من السكان اليهود بالدولة (لكنهم لم يسألوا عن موعد قدومه)، بينما يتشكك ١٤٪ فى ذلك، و٣٢٪ فقط يرفضون تماما نفس فكرة المسيح. وفى هذا السياق يسترعى الانتباه بوجه خاص الفارق الكبير والثابت بين «مؤمنين تماما»، وبين غير المؤمنين بالمرة - بشئ ما. وبعيدا عن الايمان وما يرتبط به من افكار وأيضا سلوك معين ما أو آخر (وجود أوامر) هناك فارق شاسع بين الموقفين المتباعدين للمؤمنين تماما، والكافرين تماما. وفى كلا الطرفين توجد نواة أيديولوجية قوية، تتراوح نسبتها حول ١٦٪ مؤمنين بالدين وأحكامه وأوامره ونظرته الدينية، ومن الجانب الآخر ما يقرب من ١٥٪ ممن يمكن اعتبارهم «علمانيين تماما» فى معتقدهم، أو ملحدين. وداخل هذا المدى الفارق هناك انتقائية ودرجات مختلفة للايمان والاستجابة للأوامر، وهنا قد تكون هناك مساحة تلاقى بين الدين الشعبى وبين القومية الشعبية، عندما تكون أوامر الدين ومعتقداته جزءاً من الايمان والأوامر المفروضة على المرء كإبن قومية يهودية.

(حـ) «هناك أناس يعتبرون أن هناك تطابقا بين قيم الديموقراطية واليهودية. وبالنسبة لآخرين، وأنا منهم» - وكما يحدد بشجاعة وإخلاص جديرين بالاشادة المفكر والعالم السياسى شارلز ليفمان فى مقال له عام ١٩٨٧ - «الاثنان موجودان، على مستوى معين، فى حالة من عدم الانسجام». غير أن ليفمان يتمادى إلى أبعد من ذلك فى رأيه، نظرا لأن قيم اليهودية فى الدولة حسب ما يرى، هى الفخ الاساسى وربما الوحيد، وبناء على ذلك فالشرط الحاسم لوجود الدولة، قد يكون فى أن وجود الديموقراطية مرتبطاً قبل أى شئ بوجود قيم اليهودية فى الدولة. وفى رأى ليفمان أن الديمقراطية الإسرائيلية يمكن أن تواصل وتبقى، فقط إذا كان هناك اتفاق حول وجود اهداف وغايات مشتركة للمجتمع، والتى تعلو على قواعد اللعبة، مثلا كتلك التى تضمن حقوق الفرد. وفى رأى ليفمان علينا أن نتعلم العيش والعمل فى اطار وجود منظومات من القيم لا اتساق أو انسجام بينهما. ويرى ليفمان أن هناك خطرين على الدولة. خطر فى علمانية متطرفة وخطر فى تدين متطرف. وفى هذا السياق لا يرى شلوميه ديشن (وهو أيضا مفكر دينى اشكنازى) لا يرى فى صيغة اليهودية الدينية الشرقية الصيغة المتسامحة والاكثر انفتاحا لليهودية، لأنه على ضوء ما توصلت إليه ابحاث واستطلاعات فإن الشرقيين يظهرون ميولا أقل إلى التسامح فى غالبية مجالات الحياة العامة.

ولا يستطيع ليفمان ان يحدد بدقة كيف ومتى يمكن تحقيق مصالحة بين الديموقراطية الليبرالية وبين اليهودية، لكنه يحدد الجماعات المتطرفة فى نظره، والتى تمثل عائقا أمام تعايش جزئى بين الديموقراطية واليهودية ويعددها على النحو الآتى: حركات كاهانا، لفينجر (وجزء من المستوطنين المتدينين فى المناطق المحتلة)، وكذلك اقسام كبيرة من داخل «اجودات يسرائيل» و«حركة السفارديم حراس التقاليد» (شاس). هذه الجماعات تتوق إلى تشكيل تيار جماعى يهودى دون أى نهج أو برامج ديموقراطية ليبرالية. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى المقابلة تقف الحركات العلمانية المتطرفة ومثال ذلك حركة حقوق المواطن التى لا مانع لديها من التنازل عن أى مضمون يهودى للجماعة، ولا يعنيها إلا أن يسود نظام حكم ديموقراطى ليبرالى (علمانى). وتشير الابحاث والاستطلاعات الاجتماعية بصفة عامة إلى أن هذا هو الشعور العام فعلا بين يهود إسرائيل. ولا يدخل فى حسبان ليفمان أى تعرض لحقوق الاقليات غير اليهودية.

فى عام ١٩٨٦، تقصت مينا تسيمت وروت تسين، بدعوة من مؤسسة فن لير بالقدس، مواقف الشباب من قيم الديموقراطية. ووجدت تسميت وتسين أن الثلث منهم كانت مواقفهم ديموقراطية متسقة منطقيا، وحوالى الربع اتخذوا مواقف مناهضة للديموقراطية وأيضا منطقية، والـ ٤٠٪ الباقون كانت مواقفهم ديموقراطية فى موضوعات معينة ومناهضة للديموقراطية فى قضايا أخرى. وتباينت الصورة العامة من موضع إلى آخر على النحو التالى، ٥٢٪ من الشباب محل البحث ايدوا تقليص حرية الاضراب (١١٪ أيدوا زيادة هذه الحرية)، ١٢٪ ايدوا تقليص استقلال المحاكم (لكن ٢٨٪ ايدوا زيادة انفصالهم عن الدولة)، ٤١٪ ايدوا تقليص حقوق تلاميذ اليشيفوت - المدارس الدينية - (١٦٪ ايدوا توسيع هذه الحقوق)، ٣٦٪ كانوا ضد السماح بحرية التعبير للمتدينين المطالبين بحظر حركة المواصلات يوم السبت بقانون (لكن ٦٠٪ ايدوا منح هذا الحق)، ١٦٪ ايدوا فكرة تقليص الديموقراطية حتى تتمكن حقوق الطوائف المختلفة من الظهور (٣٠٪ للطائفة المغربية، ٢١٪ للطائفة العراقية و١٤٪ للطائفة الرومانية).

وازدادت الصورة حدة عندما وصلنا إلى التسامح تجاه اقليات غير يهودية التى تعد ورقة فاصلة لأى ديموقراطية ليبرالية: فقد أيد ٤٧٪ تقليص حقوق عرب إسرائيل، ٤٢٪ ايدوا تقليص حقوق أيا من كان غير يهودى، و٦٠٪ اعتقدوا أن عرب إسرائيل بصفة عامة لا يستحقون المساواة فى الحقوق الكاملة. ٤٦٪ اعتقدوا أنه لا يجب الانتقاص من حرية الانتظام فى جماعات تدعو لضرب مواطنى عرب إسرائيل والاضرار بهم، ٣٦٪ ايدوا نشاطات منظمة خاصة تستهدف «الانتقام من العرب مقابل أى عمل تخريبى ضد اليهود». و٩٪ مستعدون للانضمام للعمل فى هذه الجماعات. الجدير بالذكر أنه كلما ارتفعت سن الشباب محل البحث، وبين علمانيين أكثر منه وسط دينيين، بين اشكناز أكثر منه بين سفارديم، فى البنات أكثر منه فى البنين ووسط تلاميذ المدارس النظرية أكثر منه بين تلاميذ آخرين - كان الميل أكثر إلى مواقف ديموقراطية متحققا بصورة أكبر.

إن الوضع المطلوب، فى رأى ليفمان - «تركيبة» بين مواقف ليبرالية ديموقراطية ودينية يهودية - هو الوضع القائم بالفعل. غير أن هذه الخلطة ليست موجودة فى «تحالف بين جماعات معتدلة»، كما يقترح ليفمان، بل بين الاشخاص انفسهم. وعلى فكرة، مثل هذه الخلطة من التسامح والكراهية تجاه جماعات أخرى، والاستعداد لتقليص حقوقهم وحرياتهم، موجودة فى بقية الثقافات الغربية التى توصف بأنها ديموقراطية ليبرالية.

دراسة «٢»

صورة العربي في الأدب العبري

ايهود بن عيزر ـ من كتاب "في وطن الحنين المتناقض: صورة العربي في القصة العبرية ـ دار نشر زموراه ـ بيتان ـ ١٩٩٢.

١- الأساطير الخمسة الأولى :

قد يكون الأديب العبري والمفكر الصهيوني احاد هعام «١٨٥٦ - ١٩٢٧» أول من تكهن بذلك الإحساس بالمرارة الذي سيراود الفلسطينيين إثر التقائهم بالمستوطنين اليهود . وقد أعرب احاد هعام عن نبوءته هذه في مقال "حقيقة من فلسطين "الذي نشره عام ١٨٩١ .ولم يقدم احاد هعام على إعداد هذا المقال إلا بعد تلك الزيارة التي قام بها إلى فلسطين في ذات العام ، والتي تجول خلالها في فلسطين .وقد كتب هذا المقال على ظهر السفينة التي أقلته إلى أوديسا .وتكمن أهمية هذا المقال في أنه يعبر عن تحرره من الأوهام التي راودته بشأن الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين . وقد تضمن هذا المقال انتقادات لاذعة للأوضاع الزراعية في فلسطين ، ولسياسات البارون روتشيلد ، وتدني الأوضاع التعليمية في المستوطنات اليهودية .ويتضمن المقال أيضا عدة رؤى بالغة الحدة بشأن القضية العربية ، فجاء بمقاله: "لقد اعتدنا في الخارج أن نتصور أن العرب ليسوا سوى جماعة من البدو ، وأنهم لا يفهمون ولا يدركون ما يحدث حولهم ، غير أن هذا التصور لا يعدو عن كونه خطأ فادحا .إن العربي مثل سائر الساميين فهو حاد الذكاء ، فضلا عن أنه يتسم بالدهاء . إن المدن السورية والفلسطينية تكتظ بالتجار العرب الذين يعرفون كيفية استغلال السكان والتحايل عليهم حتى يتحقق لهم ما يريدون ، أي مثلما يحدث في أوروبا .إن العرب وخاصة سكان المدن يتفهمون ما نقوم به ، بل وما نبتغيه ، غير أنهم يتظاهرون بأنهم لا يعرفون شيئا خاصة أنهم لا يرون فيما نفعله حاليا أي شئ يهددهم .إنهم يحاولون استغلالنا ، والاستفادة بأقصى قدر ممكن من النزلاء الجدد في فلسطين ، إنهم يسخرون منا .إن المزارعين العرب سعداء بوجود المستعمرات العبرية في أراضيهم لأنهم يتكسبون منها ويزدادون ثراء عاما تلو الآخر ، كما أن أصحاب الأراضي سعداء بوجودنا خاصة أننا نشتري منهم الأراضي الرملية بأثمان باهظة لم يحلموا بها .ومع هذا فإذا تطورت الحياة اليهودية في فلسطين وعلى نحو يسمح لنا بطرد سكانها فلن يتخلى هؤلاء السكان عن أراضيهم بسهولة".

ونجد صدى لهذه النبوءة الكئيبة في مقال "القضية الغائبة " الذي نشره "إسحاق ابشتاين «١٨٦٢ -١٩٤٣» في مجلة " هشيلواح "في عام ١٩٠٧ ، ذلك المقال الذي تناول القضية القومية التي سيواجهها اليهود والعرب في فلسطين .وقد أقدم ابشتاين الذي كان باحثا في اللغة العبرية على كتابة هذا المقال عقب إقامته في إسرائيل خلال أعوام ١٨٨٦-١٩٠٢ ، تلك الفترة التي عمل فيها مدرسا في منطقتي "مطوله "و" روش بيناه "الواقعتين في الجليل الأعلى .وكان ابشتاين قد كتب هذا المقال إثر تلك النزاعات الحادة التي تفجرت بعد أن قام بعض اليهود بشراء بعض الأراضي الواقعة في منطقة "مطوله "من الدروز .وقد أثارت هذه النزاعات في حينها جدلا واسع النطاق بل وأصبحت علامة فارقة في تاريخ التعامل مع القضية العربية خاصة في شقها الزراعي ، فذكر ابشتاين :

"يجب ألا نغمض أعيننا عما سنراه عما قريب .وقد يمكننا حاليا القول أنه لا توجد في فلسطين حركة قومية بمعناها المتعارف عليه قوميا وسياسيا غير أن هذا الشعب القاطن هنا ليس في حاجة إلى هذه الحركة فإنه شعب شديد البأس والقوة . إن هذا الشعب ليس في حاجة إلى حركة إحياء لأن وجوده لم يتوقف قط .ويتعين علينا ألا نوقظ هذا الأسد النائم ، وألا نطمئن لذلك الرماد الذي يغطي الجمر ، فإن انفلات شرارة واحدة كفيل بإشعال نيران لن يصبح من الممكن إخمادها ".

في المقابل نجد نهجا آخر مغرقا في التفاؤل في رواية "الأرض القديمة الجديدة "التي أصدرها تيودور هرتزل باللغة الألمانية في عـام ١٩٠٢ .وبالرغم من أن هذه الرواية لا تنتـمي إلى الأدب العبري إلا أنه يمكننا أن نستدل منها على مكونات رؤية هرتزل للقضية العربية .ومن المعروف أن هرتزل لم يقم بزيارة فلسطين إلا مرة واحدة في عام ١٨٩٨ ، وكانت هذه الزيارة عقب زيارة القيصر الألماني ويليام الثاني .وقد تركت الحالة التي كانت عليها فلسطين في ذلك الحين وخاصة القدس أسوأ الأثر في نفسه ، ومن هنا كان وصفها على نحو درامي في روايته التي تدور أحداثها في عام ١٩٠٢ ، غير أن ثمة نزعة مثالية طغت على معظم أحداث الرواية فيظهر هرتزل في روايته أن فلسطين عاشت في مرحلة لاحقة في حالة من الرقي الاقتصادي ، تلك الحالة التي كانت نتيجة لقوة المهاجرين اليهود الاقتصادية والثقافية الذين أسسوا بها مجتمعا تعاونيا ضم في صفوفه العرب واليهود .

وقد آمن هرتزل أن النهضة الاقتصادية ستغير وجه المجتمع العربي ، ومن ثم فلن تتفجر بهذا المجتمع القضية القومية ، وأن العرب سيرحبون ببيع أراضيهم لصالح المجتمع التعاوني الجديد خاصة أنهم سيكونون أعضاء متساوين في الحقوق ، بل وسيعترفون بأن اليهود لعبوا دورا أساسيا في الارتقاء بحياتهم .

وقد مثلت شخصية "رشيد بيه "الطرف العربي في هذه الرواية ، وقدمه هرتزل في صورة الشخصية التي تنتمي إلى أسرة عريقة حققت مكاسب طائلة من الاستيطان اليهودي ، فذكر هرتزل على لسان هذه الشخصية وفي إطار إجابتها على سؤال وجه إليها عن مصير الفلاحين الذين لم يكن لديهم أية أراضي يمكنهم بيعها للمجتمع التعاوني : "لاشك أن مثل هؤلاء استفادوا من الوضع الجديد خاصة أنهم استفادوا من فرص العمل ، والرزق .ولم يكن هناك ما هو أسوأ من مشاهدة منظر القرية الفلسطينية في نهايات القرن التاسع عشر .لقد كان الفلاحون يعيشون آنذاك في بيوت شديدة الفقر بل إنها لم تكن صالحة للبهائم .كما كان الأطفال عرايا ، وكانت تعوزهم الخدمات الأساسية وكانوا يعيشون كالبهائم والحيوانات .أما الآن فقد تغير كل شيء فتم تجفيف المستنقعات بعد أن زرعت تلك الأشجار التي أسهمت في تحسين نوعية التربة ، وبعد أن تم استخدام العمال المحليين الذين سدد المستوطنون لهم أجورا مناسبة ".وحينما شاهد رشيد بيه خلال تجواله مع ضيوفه بالقرية مسجدا صغيرا في الأفق ذكر " :إن هؤلاء المساكين أصبحوا أكثر سعادة .إن أطفالهم أصحاء ، ويتعلمون .ولم يمس أحد بسوء دياناتهم وعاداتهم القديمة .إنهم مستفيدون من الوضع الجديد ".

ويوضح ما جاء في الرواية أن رؤية هرتزل "المثالية "صورت له أنه من الممكن الاكتفاء بالارتقاء بأوضاع القرية العربية ، وتجنب المساس بمعتقداتهم الدينية وعاداتهم .وفي المقابل فلم يكن لديه أي تصور بشأن القضية القومية خاصة أن رؤيته كانت قاصرة على أن الهجرة اليهودية ستحقق الرقي الاقتصادي.

ونجد رؤية مثالية من نوع آخر في مقال "القضية العربية " الذي نشره الأديب والحاخام بنيامين فيلدمان ١٨٨٠ - ١٩٥٧ في عام ١٩٠٧ في مجلة "همعورير "(الموقظ) التي كان يصدرها في لندن الأديب اليهودي برينر .وكان هذا الحاخام عضوا نشطا لفترة طويلة في منظمة "بريت شالوم "(حلف السلام) وفي عدد من المنظمات التي تشكلت في فلسطين والتي كان الغرض منها تحقيق التقارب اليهودي العربي . وكان هذا الحاخام قد كتب هذا المقال قبل هجرته إلى فلسطين ، وركز فيه على ضرورة أن يسيطر البعد الخاص بالفكر السامي على العلاقات العربية اليهودية .وتمثلت رؤيته في أنه من الضروري أن يحرص اليهود على ألا يثيروا القضية القومية ، وأن يركزوا جهودهم على الزراعة ، واستصلاح الأراضي وتوفير المزيد من فرص العمل التي من شأنها أن توفر للمستوطنين اليهود فرصة العيش دون استغلال العرب .

ولم يكن الأصل السامي المشترك بالأسطورة الوحيدة التي اتسم بها الأدب العبري المدون في فلسطين في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين .وتعد هذه الأساطير على قدر كبير من الأهمية إذ إنها تساعدنا على تفهم ملامح البطل الجديد في الأدب العبري وعلاقته بجيرانه من العرب .

وقد ولد التقاء المهاجرين اليهود الذين قدموا في إطار الهجرتين الأولى والثانية وأدباء هاتين المرحلتين بالشرق وبالعرب المقيمين في فلسطين عدة أساطير يمكننا إجمالها على النحو التالي :

لقد تمثلت الأسطورة الأولى في الأصل السامي المشترك للشعبين ، وتقارب اللغات السامية .ومن الوارد أن هذا التقارب لم يكن بمثابة الأمر الجديد بالنسبة ليهود المغرب العربي والشرق الأوسط أو ليهود اليمن ، غير أنه كان يعد " فتحا" ليهود شرق أوروبا المقيمين في فلسطين ، ومن هنا فقد كان إدراكهم لتقارب اللغتين العربية والعبرية بوصفهما لغتين ساميتين بمثابة اكتشاف أحيط بقدر كبير من الرومانسية .

وتمثلت الأسطورة الثانية في ذلك الإعجاب بالمشهد الصحراوي في الشرق .ونجد صدى لذلك الإعجاب في رواية "لـئـان (إلى أين) للأديب "بايربرج "الذي لم يقدر له المجيء إلى فلسطين ، ومع هذا فقد عبرت دعوته بالهجرة إلى الشرق عن تطلعه لبناء عالم جديد في الشرق ، ورغبته في بناء عالم منافى لذلك العالم الغربي الأوروبي المتعفن .ورأى هذا الأديب أن الصحراء تمثل العالم النقي الذي يمكن للمرء أن يشيد بها عالما جديدا .

وتمثلت الأسطورة الثالثة في الإحساس بضرورة إعادة يهود فلسطين إلى أصلهم العربي القديم .ومن المعروف أنه كان يعيش في فلسطين منذ عصور بالغة القدم بعض اليهود ، وكان بعضهم يقيم في منطقة دير القمر في لبنان .وقد أحس الرومانسيون الأوائل بأنه أليس من الوارد أن يكون سكان فلسطين إخواننا وأنهم من نسل العبرانيين أو أنه أليس من الوارد أن يكونوا من قدامى اليهود .وأحسوا بالتالي بأنه من الممكن أن نشيد معهم ثقافة عبرية جديدة .

وتمثلت الأسطورة الرابعة في الإحساس بأن صورة العربي المحافظة تمثل إن لم تكن تجسد صورة العبري القديم الواردة في أسفار العهد القديم .وقد قدم الفنان "ناحوم جوتمان " أبطال تلك الأساطير التوراتية التي كان قد جمعها الشاعر

اليهودي بياليك في صورة شخوص عربية تتسم بالقوة والبداية ، تلك الشخوص التي رآها في صباه في يافا .ونجد الكثير من هذه النماذج في أدب هذه الفترة .ونظرا لأن أدباء هذه الفترة درسوا في صباهم قصص التلمود والعهد القديم فلم يجدوا صعوبة في تلمس آثار أبطال هذه القصص في الفلاحين المشتغلين بالزراعة وفي البدو المشتغلين بالرعي . وأحس هؤلاء أن الوضع الذي ساد في هذه الأرض منذ العهد القديم وحتى الربع الأول من القرن العشرين لم تطرأ عليه الكثير من التغيرات .

أما الأسطورة الخامسة فتتعلق بقصة يهود خيبر ، تلك القصة التي ظهرت مع مجيىء هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل ، ومع ظهور مرحلة الهجرة اليهودية الثانية إلى فلسطين .وتكمن أهمية هذه الهجرة في أن "شموئيل يفنالي "الذي كان أحد قادتها ارتحل في عام ١٩١١ إلى اليمن ليشجع سكانها اليهود على الهجرة إلي إسرائيل .وقد استقر هؤلاء المهاجرون مع مجيئهم إلى إسرائيل في أحياء "ريشون لتسيون "و" رحوفوت "و "بتاح تيكفا ". وكان من بين التساؤلات التي شغلت أذهان شباب الهجرة الثانية وأدبائها أن هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل توحي بإمكانية وجود بعض القبائل البدوية اليهودية .

ويعد كل من الحاخام "زئيف يعبتس "(١٨٤٧ - ١٩٢٤) ويهوشع ايزنشتادت (١٨٥٥-١٩١٥) من أوائل الأدباء الذين تطرقوا في أعمالهم إلى حياة الاستيطان العبري الحديث في فلسطين .وكان يعبتس قد هاجر إلى فلسطين في عام ١٨٨٧ واستقر بها حتى عام ١٨٩٧ .وأقام طيلة هذه الفترة في قرية "يهود "الواقعة بالقرب من مستوطنة "بتاح تكفاه "التي كانت قد تأسست في عام ١٨٧٨ .ووصف يعبتس في قصصه طبيعة الحياة في المستوطنات .وبالرغم من أن " يعبتس "أقام في فلسطين في ظل الفترة التي كانت تخضع فيها للسلطة التركية والتي كانت تعاني فيها من تدهور الأوضاع الصحية ، وتفشي الأمراض وخاصة مرض الحمى الذي تفشى نظرا لانتشار المستنقعات بفلسطين آنذاك ، فقد وصف "يعبتس "فلسطين في صورة توحي بأنها أشبه بجنات عدن .

وأشارت الباحثة "جاليا يردني "التي تعد من أولى الباحثات المتخصصات في الأدب العبري في فلسطين في كتاب "سلة العنب "الذي صدر في عام ١٩٦٧ والذي يضم مختارات من القصص العبرية التي دونت في مرحلة الهجرة الأولى إلى أن أدباء تلك الفترة صوروا ما كانوا يبتغون أكثر من تصويرهم لما هو قائم فذكرت في مقدمة الكتاب "لم يكن هناك في الحقيقة أي تشابه بين صورة إسرائيل الواردة في تلك الأساطير وبين الواقع المادي المقفر الذي كان يحرث فيه الفلاحون أراضيهم الجرداء والتي كان البدو يرعون فيها قطعانهم الهزيلة على الهضاب ، والتي كان الشيوخ يقسمون فيها نفوذهم .لقد كانت صورة فلسطين في الأساطير أشبه بأرض الأحلام فقد كانت هذه الأرض مركزا لحنين الشعب الفقير "سليب الأرض "، وكان اليهود يحنون آنذاك إلى ماضيهم الرومانسي الجميل ، وتحقيق أحلامهم .ومع هذا فقد كانت صورة أرض فلسطين التي أحاطتها هالة من القداسة راسخة في الذهن اليهودي ومن هنا فبالرغم من أن سكانها كانوا يدركون حقيقة تردي الأوضاع بها إلا أنهم كانوا يحرصون على أن يقدمونها في صورة تتلاشى بها الحدود الفاصلة بين الخيال والواقع ".

أما قصة "رأس السنة للأشجار "التي ألفها الأديب " يعبتس "والتي نشرت في عام ١٨٩٢ أي بعد مضى عام على ظهور مقال "حقيقة من أرض فلسطين "الذي كان قد وضعه احاد هعام فإنها تصف أحوال شاب يهودي في فلسطين كان قد انتقل من مستوطنة "بتاح تكفاه "إلى قرية "يهود ".ووفقا للأوصاف الواردة في القصة فقد كان هذا الشاب المرتدي عباءة يمتطي فرسا ويحمل مسدسا .وكان هذا الشاب عليما بأحوال فلسطين رغم أنه لم يولد بها .ويكاد يكون من المؤكد أن المؤلف كان يقصد بهذه الشخصية "افراهام شابيرا " الذي كان يعمل حارسا لمستوطنة بتاح تكفاه .

وكان التشبه بالعرب لدى "يعبتس "يعد مقياسا أو دليلا على معرفة المرء بأحوال فلسطين ، فجاء بقصته "إن الشباب الذي نشأ منذ طفولته في أرض فلسطين يختلف عن الشباب اليهودي الذي نشأ في الشتات .لقد أتى هذا الفتى حينما كان يبلغ من العمر السادسة أو الثامنة مع والده الذي استقر في بتاح تكفاه ، وواجه مثل سائر المستوطنين الأوائل كافة المشكلات وما أحاط بها من آلام ، وعلم كل الشباب حتى العرب منهم كيف يمكنهم تحمل البرد والثلوج ، والمطر ، وكيف يمكنهم التعود على الطريقة التي عاش بها آباؤنا في هذه الأرض التي رأوا أنها تعد من أجمل الأشياء ، والذين لم يتسرب إليهم الإحساس بالوهن .وليشد شباب أرض الآباء الساعد ، وليكونوا نموذجا يحتذى به لإخوانهم الخانعين .إن اليهود لم تنتصب قامتهم منذ أن تعرضوا للسبى .وأعتقد أن أولى شروط الاستيطان تتمثل في تربية الأبناء ليكونوا شجعانا وأقوياء ".

وحينما كان يتم تشبيه الشباب اليهودي المقيم في فلسطين بالعرب أو بآباء اليهود الذين عاشوا في ظل الفترة التوراتية فقد كانت هذه التشبيهات تنطوي على دعوة المرء لأن يكون شجاعا ، وفعالا وأن يأخذ مصيره بيده .وقد شهدت هذه الفترة زيادة ملحوظة في مثل هذه النوعية من القصص ، وكانت هذه القصص تنطوي أيضا على انطباعات اليهود الذين قاموا بزيارة فلسطين والذين كانوا يكتبون سواء بالعبرية أو باليدش (تعد لغة اليدش خليطا بين العبرية والألمانية ، وكانت هذه اللغة شائعة في أوساط يهود أوروبا " مترجم") . وكانت أعمالهم تنشر في المجلات اليهودية التي كانت تصدر آنذاك في شرق أوروبا التي كانت لا تزال مركزا يهوديا .

وقد انتقد البروفيسور والمؤرخ اليهودي يوسف كلاوزنير الذي كان يتولى تحرير مجلة "هشيلواح "في أوديسا هذه النزعة بل وحذر من خطورة الاندماج في المجتمع العربي ، وذكر على نحو لا يخلو من السخرية "إذا حدث مثل هذا الأمر في فلسطين فمن الأفضل أن نبقى في الشتات وأن نندمج مع الأغيار ".

وكان من بين مظاهر هذه الفترة أنه قد شاع الإحساس بأن

تحقيق الصهيونية يعد انتقالا من حالة السلبية إلى حالة الإيجابية ، وأن الاستيطان في فلسطين يعد إحدى مظاهر هذا التحقق .وتم التعبير عن حالة الفعالية هذه في الصراع المسلح ، وفي الدفاع على نحو مستمر عن الاستيطان العبري .وتمثل صورة الحارس المقاتل بدايات العسكرية الإسرائيلية .ومن هنا فقد ظهرت في الأدب فكرة المواجهة مع العرب ومفاهيم البطولة والسلاح والقوة .وقد أصبح الشاب العبري مختلفا على هذا النحو عن اليهودي المقيم في الشتات .وتمثل وجه الاختلاف في فعاليته .كما أن شخصيته الجديدة أصبحت ترسم على نحو يبرز تشابهه مع العربي ، واضطراره في ذات الحين لمحاربته .

ومثلت إحدى طرق مواجهة الوجود الأصيل لعرب فلسطين في طرح تصور مفاده أن هؤلاء العرب يعدون من نسل قدامى اليهود الذين اضطروا لاعتناق الإسلام والأخذ بالعادات العربية ، وأنه من الضروري العمل على إعادتهم للديانة اليهودية خاصة أنهم ينتمون إلى ذات الجنس .ونجد صدى لهذا التصور فيما كتبه المعلم "يسرائيل بلكيند "الذي كان أحد قادة حركة "بيلو "الصهيونية في فترة الهجرة الأولى في كتيب "أرض فلسطين المعاصرة "الذي صدر بالروسية . وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر على مهاجري هذه الفترة .ونجد صدى لهذه الأسطورة المهمة والمثيرة في قصة "العبء العربي" وفي كثير من قصص هذه الفترة ، كما هو الحال في قصص برينر على سبيل المثال .

وقد اختلطت هذه الفكرة فيما بعد بتيار "الكنعانية "الذي طرحه الشاعر يوناثان رطوش الداعي إلى ضرورة العمل على تخليص العرب من الإسلام ، وتحرير العبرانيين من اليهودية ، والعمل على إقامة دولة علمانية ذات بنية تعددية غير أنه من الضروري أن تقوم ثقافة هذه الدولة على اللغة العبرية .وتعني دعوته أنه من الضروري أن تتشبه هذه الدولة بنموذج الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تطبق هذا النموذج في الشرق الأوسط

ونجد ذات الحنين للشخصية العربية بوصفها نموذج يحتذى به في رواية "أيام وليال "التي أصدرها الأديب "ناثان بيستريتسكي - اجمون "في عام ١٩٢٦ أي في فترة الهجرة الثالثة الواقعة بين الحربين العالميتين .وتصف هذه الرواية حياة شاب يهودي ، وجاره العربي الشيخ سعيد الذي طلب منه الشاب اليهودي أن يكون أباً له بدلا من أبيه اليهودي المقيم في الشتات .ومع تصفح صفحات الرواية نتلمس مدى الإحساس الحاد بخيبة الأمل من أنه ليس بمقدور الشخصية العربية لعب دور الأب وإحساسه بأن هذه الشخصية تعد عدوه الحقيقي .ويتضح من هذه القصة أنه حينما اشتد الصراع بين الحنين الرومانسي للشرق وبين مرارة الواقع فقد كانت الغلبة للجانب القومي المظلم .

ونجد صدى لهذه الأسطورة مرة أخرى في رواية "مر ماني" (السيد ماني) التاريخية التي أصدرها الأديب المعاصر "أ .ب . يهوشع "في عام ١٩٩٠ .وتبرز من خلال صفحات هذه الرواية فكرة أن العرب من نسل العبرانيين الأوائل ، وأنه من الضروري إعادتهم لحظيرة الفكر العبري ، وأن الأخذ بهذه الفكرة يمثل الحل النهائي للصراع القومي القائم بين الشعبين .

وكان من بين الأساطير المميزة لأدب الهجرات اليهودية التي تدفقت على فلسطين قبل قيام الدولة تلك الأسطورة الخاصة بيهود خيبر والتي مفادها أنه كان لليهود وجود في شتى بقاع الصحراء العربية قبل ظهور النبي محمد (ص) ، وأنهم كانوا يعرفون باسم يهود خيبر وأنهم كانوا من المقاتلين ، وكانوا يبثون الرعب في نفوس جيرانهم .وتصور "حمده بن يهودا (١٨٧٣-١٩٥١) في قصة "عمل بني ريكب "بطلها في صورة من يقوم برحلة للالتقاء بيهود خيبر الذين يرد اسمهم في القصة في ثورة "بني ريكب . "وتمكن هذا البطل من الالتقاء بهم بل وسمع منهم أنهم يرون أنهم السكان الأصليون للمنطقة ، وأن اليهود الذين يهاجرون حاليا إلى فلسطين يعدون خونة لأنهم هجروا وطنهم .

وورد ذكر يهود خيبر أيضا في قصة "بدون نجم "للأديب يهودا بورلا ، تلك الرواية التي ظهرت في عام ١٩٢٧ . ويصف بورلا في هذه القصة أحد يهود اليمن الذي مسه ضرب من الجنون عقب تعرض أسرته إلى مذبحة في اليمن .وخرج هذا اليهودي إلى الصحراء العربية بحثا عن إخوانه من يهود خيبر حتى يأخذوا بثأره .

أما رواية "ترحال الحارس عمشي "التي أصدرها الأديب "يعقوف ربينوفيتش "(١٨٧٥-١٩٤٨) في عام ١٩٢٩ فإن أحداثها تدور في فترة الهجرة الثانية أي قبل الحرب العالمية الأولى .ويصف الأديب في هذه الرواية كيف قام عمشي برحلة إلى شبه الجزيرة العربية لاكتشاف القبيلة اليهودية البدوية الضائعة ، ولإحضار الآلاف من مقاتليها الشجعان إلى فلسطين ، غير أنه لم يتم العثور قط على هذه القبيلة التي لم يتبق منها سوى بعض الأخبار .ويعترف "عمشي" في نهاية الرواية بأنه من الأفضل أن يجلب عشرات الآلاف من شباب اليهود المقيمين في الشتات عن الضياع في الصحراء بحثا عن هؤلاء اليهود .

ونجد ذكرا لبني خيبر في رواية "تحت الشجرة "للأديب عجنون التي صدرت في عام ١٩٤١ فيذكر أحد المغنين العرب في هذه الرواية أنه مكث مع يهود خيبر ، وأنهم يعدون جزءا من يهود الصحراء .وأضاف بطل الرواية لقد فتنت بجمال يهود خيبر الأسطوريين ، وكتبت عنهم رواية "بحثا عن يهود الصحراء . "

ولم يكن الحديث عن أسطورة يهود خيبر جزءا من الحنين الرومانسي أو ضربا من الأحلام فحسب إذ كان شديد الارتباط بالواقع خاصة أن عدد المستوطنين اليهود في ذلك الحين كان محدودا ، فضلا عن أن فلسطين كانت تعيش في ذلك الحين تحت حكم تركي فاسد ومتخلف ، كما أن رموز السلطة آنذاك كانت قاصرة على حرس لا يحمل سوى سيف أو مسدس بدائي .وقد كان متوسط السيارات الموجودة في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى يقدر بسيارتين ، ومن هنا فحينما حلم المستوطنون أو فكروا في جلب قبيلة بدوية يهودية إلى فلسطين فقد كانوا يبحثون في حقيقة الأمر عن حل لتأمين وجود اليهود في تلك الفترة .

٢- بين الرومانسية ومرارة الواقع:

يعد موشى سميلانسكي (١٨٧٤-١٩٥٣) من رواد الحركة الرومانسية في تاريخ الأدب العبري بفلسطين ، وكان

سميلانسكي قد هاجر إلى فلسطين في عام ١٨٩١ ، واستقر في البدء مع أسرته في منطقة "حدره " ، واقتنى فيما بعد قطعة أرض في منطقة "رحوفوت "وأقام بها طيلة حياته . وبدأ في نشر قصصه خلال العقد الأول من هذا القرن ، تلك القصص التي تناول فيها حياة العرب ، وكان يوقع عليها باسم "الخواجة موسى . "وقد صدرت مجموعته القصصية الأولى التي كان عنوانها "أبناء العرب "في أوديسا في عام ١٩١١ . ويصف في قصة "لطيفة "التي تعد واحدة من أولى قصصه والتي صدرت في عام ١٩٠٦ علاقة الحب التي نشأت بين الراوي وبين فتاة عربية فاتنة العينين قادها أبوها قسرا إلى شيخ كهل ليتزوجها ، ومن هنا فقد ذبلت وشاخت في غضون عدد قليل من السنوات .

وتعد قصة "لطيفة" من أكثر القصص تعبيرا عن الطريقة التي اتبعها سميلانسكي في الكتابة عن العرب وعن علاقاتهم مع سكان المستوطنات اليهودية ، وتتسم قصصه بسيطرة الطابع الرومانسي عليها غير أنها تتسم بالتحيز فتصور هذه القصص اليهودي في صورة أكثر سموا ورقيا من الناحية الاجتماعية عن الفلاح أو البدوي .أما الجانب الرومانسي المتمثل في الحنين إلى الشرق فيتجلى في الطريقة التي يصف بها الأعمال البطولية التي تحيطها قصص الحب والانتقام ، تلك الأعمال التي تقع في أوساط العائلات والقبائل العربية .وتتشابه هذه القصص إلى حد كبير مع قصة روميو وجوليت .وكثيرا ما تصور هذه القصص التقاليد القبلية على نحو يوحي بأنها أكثر قوة ورسوخا من مكانة الفرد ، ومن ثم فكثيرا ما تكون الغلبة للتقاليد .ولا نجد في هذه القصص أثرا لليهود إذ إنها تصب جل اهتمامها على وصف حياة الفلاحين والبدو .

ونجد صدى لنزعة سميلانسكي الرومانسية في سائر قصصه إذ يصف بها حياة الكثير من المستضعفين في القرية العربية ، والمشكلات التي يواجهها الفلاح العربي والناجمة عن مكائد من يقومون بجمع الضرائب من قبل السلطة التركية الفاسدة الذين اعتادوا سلب الفلاحين من محاصيلهم .

ويمكننا أن نجد نهجا شبيها في رواية "بدون كوكب "للأديب يهودا بورلا التي صدرت في عام ١٩٢٧ ، فتظهر هذه الرواية قدرا كبيرا من التعاطف مع مصير الفرد العربي .وترد هذه الفكرة في إطار قصة حب بين أبناء أسرتين عربيتين متنازعتين .أما خلفية هذه القصة فتتمثل في تلك الحملة العسكرية التي قام بها جمال باشا لاحتلال قناة السويس خلال الحرب العالمية الأولى .ونجد ذات النهج المتعاطف مع العرب في رواية " انتقام الآباء "للأديب إسحاق شامي التي صدرت في عام ١٩٢٨ .ويجب أن نتنبه في هذا المقام إلى أن هذين الأديبين سالفي الذكر كانا من أصول شرقية غير أنهما كانا من مواليد فلسطين .

ولم تسيطر النزعة الرومانسية على إنتاج سميلانسكي الأدبي فحسب إذ اتسم نهجه السياسي أيضا بمحاولة تحقيق التقارب بين الشعبين ولذلك كان نهجه السياسي أقرب ما يكون إلى المثال .ولم يكن سميلانسكي منفصلا عن الواقع إذ عمل مزارعا في منطقة "رحوفوت "كما كان من مسئولي الأمن في المستوطنة ، فضلا عن أنه اشتغل كثيرا في شراء الأراضي من العرب المقيمين في جنوب فلسطين ، وعلاوة على هذا فقد كان رئيسا لاتحاد المزارعين في إسرائيل .ونرى تخوف سميلانسكي من تفجر النزاع القومي في رواية "هداساه " التي أصدرها في عام ١٩١١ ، فيصف في هذه الرواية حديثا جرى بين العمال اليهود في إحدى المستوطنات عقب وقوع مصادمة مع العرب خلال حرث إحدى الأراضي التي اشتراها اليهود من العرب .فجاء بالرواية :"كما يبدو إننا كعمال عبريين نعمل على إبعاد المزارعين .ولقد أبعدت الممتلكات اليهودية البدو من أراضيهم ، ومن الضروري أن يبعدهم العمل اليهودي من أعمالهم ".

وكان سميلانسكي قد قام خلال عام ١٩١٢ بجولة في لبنان وسوريا ، وأصابته الدهشة من حجم الكراهية التي تعتمل في قلوب سكان البلدين ومعارضة العرب للاستيطان اليهودي في فلسطين .وحينما عاد إلى فلسطين فقد سجل انطباعاته في رواية "في ظل البساتين "التي نشرت بعد هذه الزيارة بسنوات طوال ، غير أنه سجل انطباعاته عن هذه الفترة في مقال "أعمالنا "الذي نشره في عام ١٩١٤ الذي يتضمن أيضا بعض انطباعاته عن الفترة التي لم يكن متواجدا فيها في فلسطين والتي امتدت من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١١ . وكان هذا الغياب لأسباب أسرية .وقد جاء بالمقال : "حينما رجعت إلى فلسطين لم أعرفها .إن التغير الذي طرأ على العرب بعد تلك الثورة التي قادها شباب الأترك في عام ١٩٠٩ يعد تغيرا جذريا .ولقد تغير العامل العربي في المستوطنة ، كما شمل التغير البدو الرحل ، كما تغير العرب المقيمون في المدن .لقد أصبح الجميع يفكر على نحو مختلف ، ولقد أصبحت نغمة حديثهم الجديدة تسيطر على تفكير الجميع .لقد أصبحت تتراءى أمامنا قوة جديدة وكأنها نهضت من سبات عميق .إننا نواجه حاليا نهضة عربية لا تشمل الجانب السياسي فقط إذ تشمل أيضا الجانبين الاقتصادي والروحي .لقد كنا نواجه حتى ذلك الحين قوة فوضوية وحشية غير أننا سنضطر حاليا لمواجهة قوة منظمة آخذة في التزايد بل إنها أصبحت تتسم بمزيد من الوعي لكل ما يحدث حولها".

وشكل هذا الواقع الجديد الخلفية الثقافية لهؤلاء المهاجرين الذين قدموا إلى فلسطين في عام ١٩٠٩ والذين كان "برينر" واحدا من أشهر أدبائها .ولقد كان "يوسف حاييم برينر (١٨٨١-١٩٢١) واحدا من أدباء اليهود ذائعي الصيت قبل هجرته إلى فلسطين .وعند هجرته فقد حاول أن يخفي هويته فحاول الاشتغال بالأعمال اليدوية في منطقة "حدره" غير أنه مني بالفشل .واهتم برينر منذ مجيئه إلى فلسطين بنشر الأعمال الأدبية وبحركة النشر والترجمة والتدريس. وسيطرت على قصصه ومقالاته نزعة تشاؤمية لا ترضى المهادنة ، فرفض برينر التسليم بأن النشاط الاستيطاني في فلسطين يعد بمثابة قصة نجاح حقيقية ، بل ورفض أن يتبع نهج الآخرين الرومانسي ، مفضلا التأكيد على ضرورة تحقيق المثال الصيوني ، رافضا الاقتناع بما هو قائم .

ولم تشعر نفس برينر كما هو واضح من مقالاته ومحاضراته وقصصه بالارتياح إزاء الخطاب الصهيوني الإعلامي البلاغي الذي حاول أن يظهر أن التاريخ اليهودي حقق بالفعل الانتقال من مرحلة السلبية إلى مرحلة الفعالية .ويمكننا أن نتلمس بعض آرائه في ذلك الكتاب التذكاري الذي أصدره عجنون

في عام ١٩٦١ احتفالا بذكرى مضي أربعين عاما على اغتيال برينر الذي لقى مصرعه على أيدي العرب في إطار تلك الاضطرابات التي شهدتها فلسطين في عام ١٩٢١ ، فجاء بالكتاب :

"كان قد جاء في إحدى مقالات صحيفة "دي فيلت " (العالم) التي كان يصدرها تيودور هرتزل سيطر الآخرون على تاريخنا منذ أن سبينا من أرضنا ، وكانوا يفعلون بنا مايشاءون ، غير أننا أصبحنا نفعل ما نشاء منذ ظهور الحركة الصهيونية .وحظيت هذه الحركة منذ ظهورها بإعجاب كل الصهاينة .غير أن برينر أتى وقال لقد كان تاريخنا قبل ظهور الحركة الصهيونية مضحكا ، كما أنه مازال مضحكا حتى بعد ظهور هذه الحركة .ويمكننا أن نتفهم منذ الآن مدى الإهانة التي ألحقها برينر بهؤلاء الذين رأوا أنهم مشاركون في المشروع الصهيوني ".

ولم تتجاوز رؤية برينر النقدية اللاذعة الواقع اليهودي القائم في فلسطين إذ إنها لم تتطرق إلى شخصية العربي أو إلى القضية العربية ، فلم تكن لبرينر أية أوهام بشأن هذه القضايا فقد انتقد برينر في مقال نشره في عام ١٩١٣ رؤية صديقه الحاخام "بنيامين" المثالية التي وصفها بأنها سلبية ، فجاء بالمقال :

"ليس لهذه الرؤية المثالية للعالم المميزة لأحلام الطفولة أي أساس في غرائز الإنسان ، إن هذه الرؤية تعد رؤية غير أخلاقية .إنها غير أخلاقية لأنها تنبع من عدم استيعاب كل مرارة الواقع ..وكيف يتحدث الحاخام بنيامين عن محبة جيراننا المقيمين في ذات الأرض في الوقت الذي تضمر فيه النفس الكراهية ، وكيف يمكننا إدخال المثل في هذا المجال .. إنها لن تنجح .إن العلاقة المثالية ليست سوى ضرب من الزيف إذ إن الوضع القائم هنا في فلسطين إن لم تكن تعرف يضم بالإضافة إلى المستوطنين اليهود ما لا يقل عما يتراوح بين ستمائة وسبعمائة ألف عربي .وبالرغم من تدني وانحطاط مستواهم الثقافي فإنهم يعدون في حقيقة الأمر أسياد هذه الأرض .ونعمل حاليا على الإقامة في أوساطهم لأن الضرورة أجبرتنا على هذا الوضع .إن الكراهية تسود فيما بيننا ويجب أن تستمر ، بل وستسود .إنهم أقوى منا من كافة الوجوه ،وبمقدورهم إبادتنا غير أن بني إسرائيل قد اعتادوا على أن يعيشوا كضعفاء في أوساط الأقوياء ، ويتعين علينا بالتالي أن نكون مستعدين لتحمل نتائج الكراهية ، وأن نستخدم كافة الوسائل المتوفرة لدينا حتى يمكننا العيش هنا . ألم نعتد على هذا الوضع ، إن الكراهية تحيط بنا من كل حدب وصوب ، وإننا ممتلئون بالكراهية . ويل للمحبين الضعفاء .ويجب أن نتفهم الحقائق دون أية عواطف أو مثل . "

ويعبر هذا الاستشهاد سالف الذكر الذي يتسم بقدر كبير من القسوة عن رؤية الكاتب لخطورة النزاع القائم بين الغالبية العربية وبين الأقلية اليهودية في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى .ويرى بعض الأدباء والنقاد أن هذا الاستشهاد سالف الذكر يعبر عن حقيقة موقفه تجاه القضية العربية ، ذلك الموقف الذي صاغه برينر فيما بعد في مقال "من مذكرتي" الذي نشره في نهايات شهر إبريل من عام ١٩٢١ أي قبل اغتياله بقليل في الثاني من شهر مايو من ذات العام .

وقد وصف برينر جيرانه العرب بقوله إنهم بولنديو الشرق ، ولم يخف في ذلك المقال ذلك الإحساس بالكراهية الذي يضمره تجاههم .وعند وصفه لإحدى لقاءاته العابرة بشاب عربي فقد علق على ذلك اللقاء بكلمات مبهمة إذ ذكر : " إنه مجرد يتيم ، ومسئوليته ملقاة على عاتقي ".

وحينما ظهر الأدب العبري في فلسطين فقد اتسم أدباؤه بتبني رؤية رومانسية مثالية حالمة تجاه العرب ، كما سيطر ذات الموقف على رؤيتهم للطبيعة ، غير أن ثمة نزعة تشاؤمية سيطرت على رؤية برينر للطبيعة الفلسطينية إذ أحس أن هذه الطبيعة غريبة عنه وتضمر له العداء .ومن الملاحظ أن شخصية العربي والطبيعة الفلسطينية تمثلان وحدة واحدة في النتاج الأدبي العبري .

ولم يؤمن برينر بإمكانية سيطرة النزعة الرومانسية على العلاقة القائمة بين العرب واليهود في فلسطين فلم يؤمن بصيغة الرومانسية السياسية التي طرحها الحاخام بنيامين إسحاق ابشتاين أو بصيغة الرومانسية الشعورية التي طرحها بعض الأدباء مثل سميلانسكي في قصة "لطيفة "سالفة الذكر، و"اريئيل اورلوف "في مسرحية "الله كريم " التي نشرت في مجلة "هشيلواح "التي صدرت في عام ١٩١٢ ، هؤلاء الأدباء الذين نزعوا لتصوير علاقات الحب القائمة بين أفراد الشعبين العربي واليهودي .

وقد علق برينر على هذه النزعة الحالمة في مقاله الهام " مكونات وطبيعة الأجناس الأدبية في الأدب العبري في فلسطين "الذي نشره في عام ١٩١١ ، فتطرق في هذا المقال إلى أوجه الاختلاف القائمة بينه وبين الأدباء الذين حاولوا تصوير الواقع على نحو مثالى فرأى برينر أن التصوير المثالي يعتمد على مظاهر خارجية لا تعبر في الحقيقة عن مرارة الواقع .ولم ينبهر برينر كما يبدو بذلك التقارب اللغوي القائم بين اللغتين العربية والعبرية أو بإحساس البعض بأن حياة العرب في فلسطين توحي أنها شديدة القرب من حياة العبرانيين الأوائل .وقد رأى برينر أن هذه العلاقات القائمة مع العرب تعد ضربا من الشذوذ .

وتخوف برينر من اندماج اليهود مع العرب ، تلك الظاهرة التي شاهدها في المستوطنات اليهودية التي تأسست في إطار الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين ، والتي اعتمدت على العمال العرب الذين أقام بعضهم مع عائلاتهم في أفنية المستوطنات ، والذين كان معظمهم يأتي يوميا من القرى المجاورة .وقد تجلى هذا الاندماج على نحو واضح في استخدام المستوطنين اليهود لبعض المفردات العربية ، بل وفي حرصهم على محاكاة طرق التحدث بالعربية .وتجلت هذه الظاهرة لدى بعض الأدباء المعاصرين لبرينر والذين كان من بينهم سميلانسكي الذي كان يحرص على استخدام المفردات العربية رغبة منه في إظهار مدى التقارب اليهودي العربي ، ودرايته العميقة بفلسطين وبطبيعة سكانها ، وفي تفهم نفسية الجيران العرب .وبينما كان أديب مثل سميلانسكي يحرص على التشبه بعادات العرب لإظهار مدى تكيفه مع الواقع الجديد فقد كان برينر يرى أن هذا التشبه يعد ضربا من الشذوذ

، بل ودليلا على عدم تفهم الواقع .
وقد تجلى موقف برينر تجاه مثل هذه الظواهر في رواية "الغباء والفشل "التي صدرت في عام ١٩٢٠ .وكان بطل هذه الرواية يدعى "يحزقال حيفتس "، وأظهره برينر في صورة من أصابه مس من الجنون إثر التقائه بفتاة عربية شاهدها تبحث في المستوطنة عن أخيها .وقد أثار هذا الموقف الذي تزامن حدوثه مع احتفال اليهود بعيد الفصح اليهودي في نفس "يحزقال "تلك المذابح التي وقعت ضد اليهود في مدينة كيف خلال أعوام ١٩١١- ١٩١٣ اثر اتهام السلطات لهم بقتل صبي مسيحي لشرب دمه في عيد الفصح .وفي تلك اللحظات ومن خلال مونولوج بالغ القسوة فقد أنكر "يحزقال "أصله اليهودي ، حتى لا يحمله أحد مسئولية اختفاء الصبي العربي .ويتضح من هذه القصة أن برينر صور الواقع اليهودي السائد في فلسطين على نحو يوحي بأنه استمرار للمنفى والاضطهاد ، وأن العرب يسيرون على درب الأوكرانيين المعادين لليهود .وتنتهي هذه القصة بدخول هذا الفتى اليهودي إلى مصحة نفسية في القدس .

٣- مازالوا غرباء :

أما جيل الأدباء الذي ظهر في فلسطين عقب موت برينر والذي انتمى إلى موجتي الهجرة الثانية والثالثة فقد كان يتخبط خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين بين تلك النزعة الرومانسية التي غلبت على أعمال سميلانسكي - الذي حاول أن يظهر طبيعة الحياة العربية من منظور عربي ، وطبيعة العلاقة الإيجابية السائدة بين أبناء الشعبين اليهودي والعربي - وبين ذلك البركان المتقدد في أعمال برينر الذي اتضح على نحو بارز في قصته "في وسط الماء "التي صدرت في عام ١٩٠١ والتي عبر من خلالها عن مدى تخوفه من البيئة العربية .وتعبر هذه القصة عن مدى إحساسه بالمرارة ، ذلك الإحساس الذي برز على نحو واضح في أعماله .وقد رفض برينر في حقيقة الأمر أن يغرق في بحر وردي من الأحلام والأوهام . ورأى أن العداء المحيط بالشعبين سيزداد حدة في المستقبل .

وقد تجلى هذا الإحساس بالتخبط بين الرومانسية ومرارة الواقع في قصة "أيام وليال "التي أصدرها "ناثان بيستريتسكس - اجمون "في عام ١٩٢٦ ، فتعبر هذه القصة عن مدى إحساس شباب المهاجرين الذين قدموا في إطار الهجرة الثالثة بالتخبط بين تحمسهم للشرق وتشبثهم بحلم تفجير ثورة اشتراكية طبقية يمكن أن يسير فيها معا العمال اليهود والفلاحون العرب والمزارعون اليهود وبين تحررهم من الحلم الذي كشف لهم أن الاستقطاب القومي في فلسطين سيكون أكثر حدة من الاستقطاب الطبقي الذي سيعجز عن تجاوز الفروق القومية .وقد وصف هذا الأديب حادث مقتل برينر بقوله :

"لقد أصبح من الممكن حاليا أن يضرب الرجل الإسرائيلي بجذوره في الأرض على نحو لا يقلع ، ومن الممكن أن نجلس على ثراه وأن نحلم بالوطن ".

أما قصة "الحاج محفوظ بيه "للأديب "يعقوف شتينبرج (١٨٨٧ - ١٩٤٧) الذي هاجر إلى فلسطين في عام ١٩١٤ والتي أصدرها في عام ١٩٢٧ فلن تخالف الحقيقة كثيرا عند القول أنه من الوارد أن تكون هذه القصة بمثابة أولى القصص التي عبرت عن أن الشعبين اليهودي والعربي يرتبطان بهذه الأرض ، وأن هذا الوطن هو وطن الحنين المتناقض .ويصف شتينبرج في قصته مجموعة صغيرة من الشباب كانت تقيم في "جفعاه "الواقعة غربي منطقة "حدراه ".

ووصف شتينبرج هذا المكان الاستيطاني بقوله إنه كان مصدر الحياة .وعند النظر إلى هذه القصة يجب أن نضع في اعتبارنا أنه بالرغم من أن أدباء وقادة موجة الهجرة الثالثة كانوا يحرصون على الإعلاء من مكانة حنينهم إلى الوطن القديم في أذهانهم والجديد في واقعهم فقد كانوا-يشعرون بقدر كبير من الخوف والاغتراب إزاء البيئة المحيطة بهم .وتمثل عنصر الاغتراب إزاء البيئة في القصة في حارس المستوطنة العربي الذي كان يتجول ليلا حول المستوطنة ، وكان يدعى الحاج محفوظ .وحتى يجسد الأديب حقيقة أن هذه الأرض كانت بؤرة للحنين العربي فقد أشار شتينبرج إلى أن هذا الحاج من أصل مغربي .وكانت هذه الإشارة تتماشى بالطبع مع حقيقة - ربما تناسيناها - أن فلسطين جذبت أعدادا كبيرة من المهاجرين العرب في ذات الفترة التي كان المشروع الصهيوني آخذا فيها في التشكل .

واختتم الأديب قصته بوصف ذلك اللقاء التصادمي الذي وقع بين الراوي اليهودي وبين الحاج محفوظ الذي يكثف لديه الإحساس بالغربة .وفي إطار هذا اللقاء فقد غمرت الراوي عدة لحظات غيبية أحس خلالها بالتوحد مع بيئته ، وقد رأى فيما يرى النائم أن الألم أضحى عذبا ، وأن الإنسان اليهودي نجح في فرض سيطرته على كافة الأمور من جديد بدءا من الوطن وانتهاء بذلك الليل الذي يرمي في نفسه بالرعب ، ونجح الأديب في نهاية قصته في تحقيق الوفاق مع عناصر الطبيعة التي تنكرت له فيما مضى ، والتي زعزعت طمأنينته .ومع الاقتراب من نهاية القصة نلاحظ أن خطوات الراوي تكاد تخرق الأرض ، وأنها لم تعد تعبأ بشيء ، ومن هنا فقد تغلب على مخاوفه وآلامه وما يشكله الغريب من تهديد .

أما حجر الأساس الذي قامت عليه المستوطنة والذي أشار إليه الأديب في روايته فقد كان رمزا للسيادة على الأرض .ومن المتصور أن الأديب استخدم هذا الحجر على نحو رمزي للإشارة إلى قبة الصخرة التي يقوم عليها مسجد عمر في القدس ، والتي يزعم اليهود وفقا لتراثهم أن هذه القبة تعد مكانا يهوديا مقدسا ، فيتصور اليهود أن هذه القبة هي التي وضعت عليها ألواح الشريعة ، وتابوت العهد .

وقد وقعت بين الراوي اليهودي ، والحاج العربي معركة بالقرب من هذا الحجر ، .وكان هذا الصراع يهدف إلى تصوير مدى قدرة الشخص اليهودي على الارتباط بالطبيعة الفلسطينية القريبة من وجدانه البعيدة عن وجوده المادي .

ويصور الأديب الحاج العربي في صورة من يمسك بعصاه ويصب لعناته على الشخص اليهودي .ولا غرابة في هذا التصوير خاصة أن الشخص العربي أحس أن الوجود اليهودي يهدف إلى احتلال أرضه واقتلاعه منها .ويعبر هذا الصراع العنيف عن موقف كل من اليهودي والعربي إزاء ذات الأرض

، وعن إحساس كل طرف بالغربة إزائها إذ إن اليهودي كان يحس بغربة حقيقية في حين أن العربي كان يشعر أنه سيضحي غريبا .وينتهي الصراع وفقا لما جاء في القصة بهروب الحاج العربي احتجاجا على الوضع القائم .

ونجد صدى لمثل هذه اللقاءات في قصص كثير من الأدباء العبريين مثل الحاخام زئيف يعبتس ، وموشي سميلانسكي ، ويوسف برينر .ولا يخلو الأدب العبري الصادر قبل عام ١٩٤٨ من مثل هذه اللقاءات غير أن شتينبرج كان أول من أضفى صورة سريالية رمزية لهذا الواقع .وقد تكررت مثل هذه اللقاءات على نحو بارز في عدد كبير من الأعمال الأدبية التي صدرت منذ الستينيات ، فنجد صدى لها في روايتي " في مواجهة الغابات "للأديب "أ .ب .يهوشع "والرحالة والأفعى" للأديب عاموس عوز .

وقد تم التعبير عن هذه المشاعر التي راودت الحاج العربي واشتياقه للعودة من جديد إلى موطنه ، وإحساسه بالنفى داخل موطنه ، ذلك الإحساس المتولد عن وجود الآخر في إحدى قصائد الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، وفي الكثير من قصائد شعر المقاومة ، خاصة تلك التي يعود تاريخها إلى عقد الستينيات .

٤ - حرب ١٩٤٨ والإحساس بالمعضلة الأخلاقية إزاء العربي:

يتضمن الأدب العبري الصادر خلال الفترة التي شهدت حرب ١٩٤٨ إشارات واضحة إلى حالة الصراع التي سادت بين الأيديولوجية الصهيونية - الاشتراكية وبين ذلك الصراع الدموي الذي شهدته ساحة القتال في عام ١٩٤٨ بين الشعبين اليهودي والعربي في فلسطين .وسجل الأديب "س .يزهار" في رواية "أيام تسكلاج "ذلك الصراع النفسي الذي واجهه صغار الجنود اليهود في إحدى المعارك التي وقعت في عام ١٩٤٨ .

وقد أحدثت حرب ١٩٤٨ صدمة مروعة في نفوس من عاصروها من شباب اليهود إذ التقوا في هذه الحرب وللمرة الأولى بأعمال القتل والعنف التي مارسها كل طرف ضد الآخر ، بل وعاصروا تحطم عالم المثل ، والإحساس بعدم القدرة على التكيف مع الواقع الجديد .وقد برز بعد انتهاء الحرب الإحساس بالاغتراب إزاء مفردات الواقع الإسرائيلي ، ذلك الواقع الذي تغير كلية عقب الاحتلال ، ورحيل العرب عن قراهم .وكان من بين سمات هذا الواقع أيضا تدفق موجات الهجرة على إسرائيل ، والإسراع في تشييد المباني .ويمكننا باختصار قول أن هذا الواقع افتقر إلى أية لمسة رومانسية . ومن هنا فلا غرابة في أن العالم الذي ينتمي إليه معظم أبطال الأديب "س .يزهار "يتمثل في الفترة السابقة لحرب ١٩٤٨ ، ذلك العالم الذي شهدوا حطامه .غير أن ما يضاعف من حدة الأزمة لدى أبطاله يتمثل في عجزهم عن التكيف مع الواقع الجديد .

وواجه ذلك الجيل الذي عاصر حرب ١٩٤٨ أزمة حادة في القيم .وقد عبر الأديب "س .يزهار" في رواية "خربة خزعه "التي صدرت في عام ١٩٤٩ عن طبيعة الفروق الحادة التي سادت بين منظومة القيم التي سادت في أوساط اليهود قبل عام ١٩٤٨ وبين تلك التي ستتشكل فيما بعد ، فجاء بالرواية : "كيف لم أتصور منذ البداية ماكان سيحدث .لقد وقعت " خربة خزعه "في أيدينا ، وانشغلنا للتو بقضايا الإسكان واستيعاب المهاجرين. وفتح محلات تعاونية ، ومدارس وربما معبدا .وستتشكل الأحزاب التي ستبحث مجمل ومختلف القضايا . وسينشغل الجميع بحراثة الأرض والزراعة والحصاد ، وسيرفع الجميع شعار فليحيا العمل العبري . ومن ذا الذي سيتذكر أنه كان يوجد هنا مكان يدعى خربة خزعة ، ذلك المكان الذي طردنا سكانه ، وورثناه .لقد أتينا ، وأطلقنا النار على الجميع ، وحرقنا ، ودمرنا ، ونفينا السكان ...بحق الجحيم أي شيء نقوم به هنا ".

ويذكر في موضع آخر من الرواية : "إن الطفولة التي كانت هاهنا في المستوطنة في فترة الانتداب البريطاني ، كما أن ذلك المشهد الذي ساد قبل عام ١٩٤٨ لم يعد له وجود .إنه ينتمي إلى الماضي .لقد حلت الآن مرحلة الصحوة المؤلمة ، والتحرر من مثل التعليم الصهيوني الاشتراكي ، ومن الايمان بإمكانية الدمج بين القومية اليهودية والأخاء بين الشعوب غير أن هذا الحلم فتته الحرب .إن المثال حاليا يتمثل في وصف المرء بأنه قاتل جيد وسريع الحركة ، فبمقدوره قتل أثنين أو ثلاثة دفعة واحدة .ولم يعد أمامنا أي مفر ، غير أني أمقت مقولة ليس هناك مفر .إني أمقت وأكره السير على الجثث .. أكره الحرب غير أني أحارب .إني أنتمي إلى الجيل االذي لايمكنه العيش خارج الحرب ..وأكره هذا الوضع .وأعيش بين خوفي وسذاجتي ، وبين سعادتي بالمنافسة على الساحة وتمردي علــى هذا الوضــع".

وتعد قصة "الأسير "للأديب "س .يزهار "والتي صدرت طبعتها الأولى في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٨ واحدة من أبرز القصص التي تعبر عن حالة الارتباك الأخلاقي .ويصف الراوي في هذه القصة وعلى نحو قاتم تضارب مشاعره إذ بينما تعلم في صباه قيم احترام البشر ، والحرية ، وحرية الفكر فقد وجد نفسه مضطرا للقضاء على راع عربي وقع في الأسر . وقد كانت هذه الآلام التي اعتصرته في ذلك الموقف والشبيهة بتلك المعضلة الأخلاقية التي واجهها "هامليت "في مسرح " شكسبير " ،بالغة الحدة على نحو حرمه من اتخاذ أى رد فعل ، وكان هذا العجز محصلة طبيعية لحقيقة أن أفكاره كانت تغتال قدرته على الحركة .ويصور الأديب في قصته مدى تخبط البطل بين مبرراته الإنسانيه التي تمنعه من قتل الأسير ، تلك المبررات التي كانت محصلة ثقافته ووعيه وبين مبررات الحرب .

وعند مطالعة هذه القصة نلاحظ أن الأديب لايقيم آي حوار بين بطل قصته الممثل للطرف الإسرائيلي وبين الطرف العربي ، كما أنه اكتفى بتقديم الأسير العربي كرمز للمعضلة الأخلاقية التي واجهها الجندي الإسرائيلي .وإزاء حالة الاضطراب التي واجهها بطل هذه القصة فقد لجأ الأديب إلى تكنيك النهاية المفتوحة إذ إنه لم يقدم لنا في نهاية القصة أية تفاصيل عن مصير الأسير ، غير أنه من المرجح أنه لقى مصرعه وأنه لن يعود إلى أسرته وأرضه ، كما كان يعود إليها قبل الحرب .

وعلى نفس النحو المتمثل في محاولة تبرير مواقف الذات واتهامها في ذات الحين ، ذلك النهج المميز لقصة "الأسير " سالفة الذكر فقد أتبع عدد من أبناء هذا الجيل من الأدباء ذات النهج ، كما نجد في قصة "الكمين "للأديب أهارون ميجد

ويقوم أحد اللاجئين العرب بسرد أحداث هذه القصة ، وينطبق نفس الأمر على قصة "مسابقة في السباحة "للأديب " بنيامين تموز (١٩١٩ - ١٩٨٩) التي صدرت في صحيفة هآرتس خلال عامي ١٩٥١-١٩٥٢.

وتتمثل حبكة قصة "مسابقة في السباحة "في إحدى الأحداث التي واجهها الراوي في طفولته إذ قام في صحبة والدته بزيارة عائلة عربية في يافا .والتقى خلال زيارته بفتاة عربية تدعى ناهد، وبعمها عبد الكريم الذي تفوق على الفتى العبري في سباق سباحة جرى في ذلك الحمام الواقع في حديقة الأسرة العربية .وبالرغم من مضي سنوات طوال على هذه المسابقة فقد ظل الراوي أسيرا لروائح الطعام المميزة التي استنشقها في طفولته ، بل وأضحى أسيرا للحنين ، فجاء بالقصة : "ترى هل سأرى مرة أخرى ناهد وعبد الكريم الذي يزني في سباق السباحة ".

ومع نشوب حرب ١٩٤٨ فقد كان الأديب عضوا في تلك السرية المكلفة بالهجوم من ناحية المنازل البيضاء الواقعة في " حولون" على ذلك البستان الجميل الذي قضى فيه عدة لحظات في صباه ، ومما زاد من حدة أزمته الأخلاقية أنه التقى عند تفقده للأسرى العرب بعبد الكريم .وعند رؤيته له فقد حدثته نفسه بأنه من الممكن أن يذهب في هذه اللحظة إلى حمام السباحة للانتصار عليه .وهبط الراوي بالفعل إلى مياه حمام السباحة الذي كانت مياهه قد أضحت آسنة .وفي تلك اللحظة فقد أطلق أحد الجنود اليهود النار على عبد الكريم فأرداه قتيلا .واقترب الراوي بعد هذا الحادث صوب جثة عبد الكريم ، ووصف الراوي هذا الموقف بقوله "لم ترتسم على وجهه ملامح الحزن لخسارته ، ووقفت بمفردي في فناء البستان".

وعند النظر إلى صورة العربي في الأعمال الأدبية العبرية الرومانسية التي دونها سميلانسكي على سبيل المثال نلاحظ أنها رسمت على نحو يدعو للحب والتفاهم بل والمحاكاة ، غير أن برينر كان يمثل نهجا فريدا في الفترة التي عاش فيها إذ كان من رواد الواقعية في الأدب اللعبري في فلسطين ، فلم يتعامل برينر في أدبه مع العرب كأشخاص وإنما تعامل معهم كمجموعة معادية تهدد الوجود اليهودي الضعيف في فلسطين .أما أدباء الهجرة الثالثة فقد كانت مواقفهم تتباين بين الرؤية الرومانسية التي تجلت في أعمال بعضهم قبل الهجرة إلى فلسطين وبين مرارة الواقع .وفي المقابل فقد كان الأدباء المنتمون إلى جيل ١٩٤٨ الذين ولد معظمهم في فلسطين أو نشأوا فيها فقد كانت رؤيتهم للعربي شديدة التأثر بالظرف التاريخي الذي خيمت عليه الحرب .وحينما صور أدباء هذه المرحلة شخصية العربي في أعمالهم فلم يكن هذا التصوير يهدف إلى وصف أنماطهم المعيشية بقدر ماكان تصويرها يهدف إلى تقديمها على نحو يوحي بحدة الأزمة الأخلاقية والأيديولوجية التي تواجه المقاتل الإسرائيلي .وعلى ضوء هذه الأزمة فقد كان البطل الإسرائيلي يصور في صورة من تحطمت قيمه إثر اتصاله بالواقع .وكان لهذا الاتصال تبعات كثيرة على أدب هذه المرحلة .

٥- الإحساس بالحصار .العربي ككابوس :

كان ذلك الجيل الذي عاصر حرب ١٩٤٨ يرى أن شخصية العربي تمثل تحديا لمنظومة القيم الصهيونية ، غير أنه قد ظهر فيما بعد جيل آخر من الأدباء سيطر عليه الإحساس بالحصار فضلا عن أنه قد رأى أن شخصية العربي تعد جزءا من ذلك الكابوس الذي يهدد وجود الإنسان الإسرائيلي .

وتعبر قصة "في مواجهة الغابات "للأديب الإسرائيلي "أ . ب .يهوشع" والتي صدرت في عام ١٩٣٦عن الإحساس بمرارة الواقع ، وعن إحساس الأديب بأن الوجود العربي يمثل كابوسا يهدد الوجود الإسرائيلي .وكان هذا الإحساس مصحوبا بما يمكننا أن نسميه بالتعاطف مع مصير الدولة الصليبية في فلسطين .أما بطل القصة فلا يعدو عن كونه طالبا في الثلاثين من عمره .وحينما أحس أصدقاؤه أنه يكاد يفقد صوابه لاختلاله العقلي فقد وجدوا له وظيفة تمثلت في العمل كحارس لإحدى الغابات ، وتمثلت وظيفته في حماية الغابة من الحرائق .وكان هذا الطالب منغمسا في ذات الحين في إعداد بحث عن تاريخ الصليبيين .وكان يقيم في إحدى بيوت الغابة رجل عربي أبكم مع ابنته .

وحينما كان يقيم في الغابة فقد كان يزوره كل من والده ، وزوجه صديقه التي كانت في حقيقة الأمر عشيقته ، وبعض الأجانب ، وعدد من السياح الإسرائيليين .وحينما كان يشاهدهم هذا الحارس فقد كانت نفسه تحدثه بأنهم يشبهون الحملات الصليبية .وقد اتضح من خلال هذه القصة أن هذه الغابات قد غرست على خرائب قرية عربية طرد سكانها في عام ١٩٤٨ ، وأن هذا العربي الأبكم كان من سكانها .

وكان هذا الحارس يتعرض إلى توتر بالغ الحدة يكاد ينغص حياته ، وكان هذا الإحساس بالتوتر شبيها بإحساس المرء بالكارثة ، وكان يشعر أن الغابة ستتعرض إلى حريق .وكان هذا الإحساس بالكارثة يراود كلا من الحارس اليهودي والعربي ، ويمكننا قول أن مشهد الغابة كان يفجر الإحساس بالجنون في نفوسهما .وكان الحارس لا يتوقف عن رمي بقايا سجائره المشتعلة في الغابة كتعبير عن رغبته الدفينة في إحراق الغابة .أما العربي فكان يضع عبوات من البنزين في أنحاء متفرقة من الغابة .وبالرغم من أن الحارس كان يعرف حقيقة مايقوم به العربي إلا أنه لم يحاول منعه بل كان يحاول عقب التنزه مع زوجة صديقه إشعال النيران في الغابة بالاشتراك مع العربي غير أن النيران سرعان ما كانت تنطفيء .ومنذ تلك اللحظة فقد حدث نوع من التقارب بينهما وبدأ الحارس في محادثة العربي عن الحملات الصليبية ، وكان العربي ينصت إليه بكل اهتمام ، غير أن عينيه كانت تمتلآن بالكراهية .

ويمثل الصيف أو نهاياته خلفية الكثير من القصص الإسرائيلية المنتمية إلى هذه الفترة ، فتتمثل بداية موسم الصيف خلفية قصة "في مواجهة الغابات " ، ومن هنا فتتسم القصة بقدر كبير من التوتر الآخذ في التزايد .أما نهاية الصيف فتمثل موسم التفجر .أما الفتاة العربية فنجدها قد كبرت وبلغت وأصبحت تجذب انتباه الحارس اليهودي .أما العربي الأبكم فإنه يشعل النيران في كل الأماكن للتي وضع بها براميل النفط .ومع احتراق الغابة وفنائها فقد ظهرت من جديد ملامح القرية العربية التي كانت قد أبيدت .وحينما بدأت أجهزة الشرطة في التحقيق مع اللعربي بتهمة إضرام

النيران فقد كان الحارس اليهودي منهمكا في إعداد بحثه .
ومع وصول القصة إلى هذه الذروة نجد أن الراوي يعود إلى مدينته ، ومع دخوله المدينة يهطل المطر ، ولكنه كان مطرا ملوثا أدى إلى اتساخ الطرقات .وكانت نهاية موسم الصيف تمثل خلفية دخوله إلى المدينة .
وعند النظر إلى معظم القصص التي كتبها "أ .ب .يهوشع " قبل هذه القصة نجد أن الإحساس بوقوع الكارثة هو الذي يسيطر على أعماله ، فضلا عن أن التفجر حتى لو كان تفجرا جنسيا هو الذي يسيطر على معظم أعماله ، ونجد حالات التفجر هذه في قصة الرحلة العربية ، وقصة موت الشيخ اللتين صدرتا في عام ١٩٦٢ .أما قصة "في مواجهة الغابات" فنجد فيها وجها آخر لرؤية الأديب المتشائمة وإحساسه بأن الوجود العربي يمثل انهيار الذات الإسرائيلية .
وعند تأمل هذه القصص أيضا نجد أن الصورة التي يقدمها الأديب للطبيعة تعد شديدة القسوة والكآبة ، وتفتقر إلى أية مسحة رومانسية مثالية .وحينما يعرب الراوي عن تعاطفه مع مصير الحملات الصليبية فإنه يقدم لنا صورة متطرفة لإحساس أدباء جيل ١٩٤٨ بأنهم يتعرضون إلى كابوس حقيقي وبأن مصيرهم يتمثل في الضياع .وتكمن خطورة التعبير عن تعاطف الراوي مع الصليبيين في أنها تثير تساؤلات بشأن حق اليهود في الوجود في فلسطين .وتعبر هذه الحالة عن إحساس الراوي بعدم الارتياح إزاء حقيقة سلب العرب من وطنهم .
وتعد هذه الحالة التي عبر عنها أ .ب .يهوشع خير تعبير عن حالة الاضطراب الفكري والروحي التي يواجهها العلمانيون الذين لا يجدون دليلا على حقهم في الوجود .
وتكثف هذه الرؤية الإحساس بأننا غرباء في المنطقة ، فضلا عن أنها تعبر عن طبيعة الحياة الإسرائيلية المنغلقة على ذاتها ، وعن ذلك النمط المنغلق الذي شيده جيل كامل من منطلق إحساسهم بأن الحرب لا مفر منها ، وأن حالة الحصار مستمرة .
وحينما يصور الأديب الغابات الحديثة فإنها ترمز بالطبع إلى دولة إسرائيل التي شيدت على القرى العربية ، ويؤكد الأديب في روايته على أن كل ما يقوم به الإسرائيليون يقوم على فوهة بركان من الكراهية الأبدية من قبل العرب .
وعند مقارنة هذه القصة بقصص "س .يزهار "و "اهارون ميجد "و "بنيامين تموز "فإنها لاتعبر عن حلة التمزق الأيديولوجي التي واجهها سائر الأدباء ، وفي المقابل فإنها تكتفي بالتعبير عن حالة الخروج من الأوهام ، تلك الحالة التي تعد سمة مميزة للأدباء الذين تشكل وعيهم بعد مضى تسعة عشر عاما على حرب ١٩٤٨ .
ويصف الروائي عاموس عوز في قصة "الرحالة والأفعى " شخصية جوئيلا المقيمة في الكيبوتس والتي تشعر بقدر كبير من الاحباط .وقد التقت جوئيلا خلال نزهة قامت بها خارج الكيبوتس براع بدوي ، يقدمه الأديب في صورة بدائية متخلفة قبيحة ، ومع هذا فقد فجر فيها هذا البدوي رغبتها الجنسية .
وبالرغم من أنه كان من الواضح أنه سيقدم على اغتصابها إلا أنها كانت تتمزق بين رغبتها في مضاجعته وبين نفورها منه ، ومع هذا فلم يحدث بينهما شيء إذ سرعان ما نفر جسدها منه.

وعند الاقتراب من نهاية القصة نجدها ترقد على العشب وبالقرب من حجرتها بالكيبوتس بعد أن لدغتها الأفعى .وقد عمد الأديب إلى تصوير لدغة الأفعى على نحو جنسي ، فجاء بالقصة : "سرت ببجسدها قشعرية من اللذة ، فكانت تستمع إلى تلك الموجة من اللذة التي سرت في جسدها ، والتي أسكرت دمها ، واستجابت جوئيلا بكل كيانها إلى هذه اللذة ".
ويمثل العربي في هذه القصة الجانب الغريزي من الواقع ، وعند النظر إلى تمزق مشاعر البطلة تجاه رغباتها فإن هذا التمزق يعبر عن تمرد غرائزها على الأطر الاجتماعية الإسرائيلية . وعبرت البطلة في إحدى مواضع القصة عن حقيقة مشاعرها تجاه العربي بقولها ": إن العربي مرادف للصحراء ، والمرض ، ولقد أتى المرض من الصحراء ".
وقد وصف عاموس عوز في رواية "مكان آخر "التي صدرت في عام ١٩٦٦ المشاهد المحيطة بالكيبوتس الواقع على الحدود وعلى سفح الهضبة السورية في الفترة السابقة لحرب يونيو ١٩٦٧ بقوله: "إن المؤامرة الدنيئة تحيط بالسور وتحاول التسرب إلى الداخل ، وخلق حالة من الفوضى . "وكان عوز يرى في الحدود والجبال المحيطة به جزءا من الواقع المرير الذي يضيق الخناق على أبطاله .كما أنه رأى أن الوجود الغريب للعربي يضفي صبغة مخيفة على المشاهد الطبيعية .
وتركز رواية "ميخائيل "لعاموس عوز التي كتبها قبل شهر يونيو ١٩٦٧ والتي صدرت في عام ١٩٦٨ على القضية العربية .وتدور أحداث هذه الرواية حول الطالبة اليهودية حنا التي كانت تقيم بالقدس ، والتي اقترنت بشاب يدعى ميخئيل .وقد انجبا بعد زواجهما طفلا .وبعد مضى بضعة سنوات على الزواج فقد بدأت "حنا" تفقد صوبها تدريجيا . وقد تمثل الشق المظلم في حياتها في ذلك الكابوس الذي كان يراودها والذي كانت تحلم فيه بتوأمين عربيين يدعيان "عزيز "و "خليل "اللذان كانت تلعب معهما في طفولتها ، واللذان أصبحا من الفدائيين الفسطينيين الذين يشيعون الدمار .وكان وجودهما يزداد قوة في أحلامها إلى الدرجة التي اعترفت فيها في نهاية الأمر بجنونها. وقد جاء على لسانها بالقصة: " إنهما يمدان أياديهم إلى وكأنها أيدي محبين ، غير أنها تبدو وكأنها تمتد من جسد حيوان ضخم ، غير أني أسمع فجأة أصوات انفجارات مكتومة ".
أما زوجها فإن عاموس عوز يصوره في صورة نمطية فيقدمه في صورة من يعمل بالجيولوجيا ، ومن خدم بالجيش الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦ .ويتسم ميخائيل وفقا لما جاء بالقصة بأنه إنسان صادق وجاف .ونلاحظ هنا أنه بينما يمثل البطل هنا العنصر العقلاني في المجتمع فإن زوجته تمثل الجانب غير العقلاني والمظلم من الواقع .ويمثل هذا الحلم الذي كان يراود حنا حالة التناقض بين حقيقة الحصار المحيط بإسرائيل وفي الإحساس بأن الأرض تخون من يقيمون عليها كل مساء .وحينما كانت "حنا" تمزق في أحلامها هذه الشخصيات العربية التي تتراءى لها فإنها كانت تبتغي في الحقيقة تمزيق واقعها الكئيب الذي يدفعها للجنون ، والذي كان زوجها يرفض الاعتراف بمساوئه .

٢

إسرائيل/ لبنان

الخـــروج

ملحق هآرتس السياسى
١٩٩٩/٣/٢
بقلم: يوئيل ماركوس

عندما كان جيش الدفاع الإسرائيلى منغمسا فى لبنان فى نهاية عام ١٩٨٢ فى وضع ليس منتصرا ولا يعرف كيف يخرج، كان مألوفا على أفواه الجنود أغنية زجلية بالقافية و التى كانت تبدأ بكلمات: «إهبطى إلينا أيتها الطائرة، وخذينا إلى لبنان».. وكانت تنتهى بكلمات «ونعود داخل توابيت»، وهذا الأمر الذى بين بداية ونهاية الأغنية ليس أمراً موضوعياً لما يحدث اليوم على الساحة اللبنانية، فإن رؤساء الحكومات الذين وعدوا بأن «البلاد ستهدأ لمدة أربعين عاما» وأن «الحزام الأمنى يحافظ على مستوطنات الشمال» وما إلى ذلك من شعارات، ليسوا معنا الآن. وكذلك الحال فقد تعاقب علينا وزراء الدفاع، حتى العدو تغير وتبدل. فبدلا من المخربين الفلسطينيين جاء حزب الله. وبدلا من «إتفاقية سلام» مع لبنان، لدينا «إتفاق تفاهم» مع حزب الله، يبيح دماء جنودنا، ناهيك عن إننا مقيدون فى حجم وشكل ردود أفعالنا. شئ واحد فقط هو الذى لم يتغير: إسرائيل مازالت منغمسة فى لبنان أو بمعنى أكثر دقة: لبنان مغموسة لنا فى الحلق. فزعامتنا منذ ذلك الحين وحتى اليوم مصابة بشلل عقلى جماعى فى كل ما يتعلق بلبنان.

وهذا الأسبوع يطرح مرة أخرى السؤال الذى لم يعرف إجابة على مدى عشرين عاما: ماذا يجب أن يحدث بعد ذلك، وكم من الجنود يجب أن يقتلوا أيضا، وكم من الأسر يجب أن تنضم إلى الثكالى، حتى تحرر زعامتنا من التحجر الفكرى وتفهم أنه لا يوجد طريق آخر إلا الخروج، الخروج، الخروج.

فمن الواضح اليوم لكل ذى عقل، أو على الأقل يجب أن يكون واضحا أنه فى حرب العصابات التى تدور اليوم فى جنوب لبنان لا توجد لنا إلى فرصة للانتصار. أولا: لأنه لم يتغلب مطلقا بأى شكل من الأشكال فى العالم جيش نظامى على مقاتلى حرب عصابات. ثانيا: أن حزب الله يعرف الميدان والمنطقة أفضل من جنودنا وأفضل من جيش نظامى بعاداته وترتيباته. ثالثا: لأنهم يعملون فى أوساط سكان متعاطفين معهم ويمنحونهم مزايا ولكن يقيدون حركتنا وردودنا من ناحية أخرى. رابعا: لأن جيش جنوب لبنان تحول من جيش أجير والذى كان من المفروض أن يقوم بالعمل الذى نقوم به، إلى أداة مكسورة هشة والتى بدون حمايتنا وحضورنا فإنه يصبح بدون فائدة. خامسا: فإن وجودنا الجسدى على أرض لبنان يحول حزب الله من تنظيم إرهابى إلى مقاتلين من أجل الحرية وشرعيون فى أعين العالم، وبذلك تخلى مسئولية لبنان، وبالذات سوريا من الدم المسفوك.

إن التواجد الإسرائيلى فى جنوب لبنان بمثابة هدية من السماء لسوريا. فهو يتيح للأسد الضغط على إسرائيل للتنازل عن الجولان، وذلك فى حرب تدور عبر وسطاء!.

لقد رفض الأسد محاولات رابين ونتنياهو للدخول فى مفاوضات مع سوريا حيث تكون «لبنان الأول» فى بداية جدول الأعمال. ربما يكون الرئيس الأسد ليس بالذكاء الذى يوصف به، ولكنه بالطبع ليس غبيا للدرجة التى يتنازل فيها عن السلاح الوحيد الذى يملكه للضغط علينا فى حرب يمسك بخيوطها، ليس فقط ردعنا يتقلص، وليس فقط ضعفنا ينكشف، بل إن جوهر وجودنا فى لبنان بين يديه.

إن لبنان هى أكبر نجاح لسوريا - فهى دولة مزدهرة أعيد اليها النظام، وهى توفر الرزق لمليون سورى وتشكل جزء لا يتجزأ من النظام العسكرى السورى. ولكن الأسد ليس هادئا بالشكل الذى يبدو عليه. فإن جيشه ضعيف وعتاده قديم، ولن يعرض نفسه للخطر ببساطة فى مواجهة عسكرية مباشرة مع إسرائيل. والآن الأسد يتمتع من

الأمرين: من سفك دمائنا وكذلك هو محمى من جراء موقفنا (كمحتل). وهو الوضع الذى يستيقظ فيه الأسد كل صباح وهو غير قلق على الاطلاق.
إن خروجنا من لبنان حيوى أيضا لنا وكذلك سوف يهدم قواعد اللعبة التى تخدم الأسد.
إننا لم نطلب إذن لغزو لبنان، ولسنا فى حاجة لأخذ إذن للخروج من لبنان. إننا لسنا فى حاجة إلى الخروج بترتيبات أمنية، أو بوجود جيش أمريكى أو فرنسى. علينا أن ندافع عن الدولة من داخل حدودنا مثل أى دولة ذات سيادة ونعمل كل ما نفعله الآن وأكثر، بدون دفع ضريبة الدم الاسبوعية فى ما يُسمى بالحزام الأمنى. إن الحزام الأمنى يعيش فى رؤوسنا فقط، ولكنه بالفعل مات منذ زمن بعيد.

هآرتس ١٩٩٩/٣/٥

إعادة انتشار فى لبنان

بقلم: زئيف شيف

إن ما لا يعرفه أغلب الذين يؤيدون الانسحاب من جانب واحد، هو أن الانسحاب إلى خط المواقع على الحدود لا يمكن أن يرضى حزب الله. لقد تم إنشاء جزء كبير من مواقع حدود جيش الدفاع داخل الأرض اللبنانية لأن الظروف الطبوغرافية والتكتيكية أوجبت هذا فى حينه، وسيقول حزب الله إنه بدون هدم هذه المواقع لن يكون هذا انسحابا كاملاً من جميع الأراضى اللبنانية، وهذه حجة جيدة بالنسبة لهم لمواصلة القتال على خط الحدود.
بمعنى آخر، من يقول أن خط المواقع الذى على الحدود سيحمى مستوطنات الجليل بعد اتمام الانسحاب من جانب واحد يجب أن يضع فى الحسبان أن عليه أن يتنازل عن جزء من الخط الحالى وأن ينشئ مواقع جديدة. (وهناك أماكن يعتبر فيها هذا الأمر شديد التعقيد، حيث أن خط الحدود يلامس تماما بعض المستوطنات، مثلما هو الحال فى منره).
وإذا تم هدم المواقع التى تدخل فى الأرضى اللبنانية، يجب أن نثق فى أن حزب الله سوف يحافظ على الاتفاق الجديد.
إن الانسحاب من جانب واحد الذى قام به جيش جنوب لبنان مؤخرا - (بموافقة جيش الدفاع) من موقعين مع شرط واحد هو ألا يتسلل حزب الله إلى المنطقة - هو انسحاب فاشل. لقد فعلت هذه المنظمة الشيعية بالضبط ما أكدت حكومة لبنان ألا تفعله.
لا يبدو أن جيش الدفاع سوف يوصى الحكومة بتبنى خطة للانسحاب من جانب واحد. سواء انسحاب عام أو تدريجى، رغم أن الشهور الأخيرة شهدت فترة درس فيها رئيس الوزراء نتنياهو هذا الاحتمال بشكل إيجابى. إن تقليص منطقة الحزام الأمنى - وهو الاقتراح الذى طرحه نائب رئيس الوزراء موشى كساب على المجلس الوزارى العسكرى - يلقى فرصة قبول كبيرة. ويقضى الاقتراح باحتفاظ إسرائيل بقطاع ضيق لمواجهة عمليات التسلل، وبدون التواجد عند الخط الذى يلامس المستوطنات وطريق الشمال. والميزة التكتيكية فى هذا الاقتراح، هى أن يزيل جيش الدفاع مواقعه فى المنطقة الأمنية، أى تقليل الأهداف العسكرية الإسرائيلية وتقليل الاصابات من العبوات المتفجرة والكمائن التى لم يجد جيش الدفاع حلولاً لها.
العيب فى هذا الاقتراح هو أنه سيكون من الضرورى حل جيش جنوب لبنان أو تسريح أغلب أفراده، وكان رد موشى كساب هو أنه فى هذه الحالة لن يكون هناك مفر من إتاحة الفرصة لمن يريد من أفراد جيش جنوب لبنان، بالانتقال مع أسرته والاقامة فى إسرائيل. فى المقابل سيتم العمل بنظام السور الشائك على الحدود. هناك عيب آخر وهو غياب تسوية سياسية، حيث سيواصل حزب الله القتال للقضاء على القطاع الأمنى الضيق جدا.
أما بالنسبة للبديل الآخر الذى اقترحه رئيس الأركان السابق - الوزير إيتان - بتوسيع نطاق منطقة الحزام الأمنى، فلا داع لاضاعة الوقت حوله.
وحقيقة طرح هذا الاقتراح عامة فى اجتماع المجلس الوزارى العسكرى، أخجلت جميع الحاضرين. فبينما يتفهم الوزير شارون حاليا الواقع الاستراتيجى الجديد، فإن شريكه إيتان لم يتعلم من حرب لبنان ١٩٨٢.
فهذه الحرب هى التى أوجدت حزب الله الذى تحاربه إسرائيل حاليا، ولكنها أبعدت منظمة التحرير الفلسطينية حقا عن لبنان، ولكنها وصلت بحركة دائرية فى النهاية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وبالنسبة لليمين، الذى يعارض اتفاقيات أوسلو وأفسد اتفاقيات واى، فقد كانت هذه هزيمة استراتيجية مضاعفة.
بالظروف الحالية، وإلى أن يتم العثور على طريق للاتفاق يشمل لبنان، يجب التفكير فى (إعادة انتشار) إسرائيلى فى جنوبى لبنان. لقد قام الجيش بإجراء تغييرات معينة فى نشاطاته، ولكنها ليست تغييرات اقليمية. ونظرا لعدم وجود علامة تدل على أنه سيكون بحوزة جيش الدفاع حل أفضل كثيرا، سواء لمشكلة المخابرات فى جنوب لبنان أو لمشكلة الشحنات الناسفة، وسيكون من الضرورى الاقدام على تغييرات إقليمية فى منطقة الحزام الأمنى أيضا، وليس فى جزين فقط، والمبدأ الذى يجب أن يملى هذا التغيير هو تقليل أهداف جيش الدفاع فى المنطقة، بما فى ذلك حركة القوات. كل هذا من خلال إقرار بعدم المساس بقدرته على حماية المستوطنات على طول الحدود من أعمال التسلل والضرب المباشر عن قرب.

الفشل له أبوين أيضا

هآرتس ٥/٣/١٩٩٩
بقلم : يوئيل ماركوس

ضباط كبار فى الجيش لا يشعرون بالرضاء عن أولياء الأمور، وعن الاعلام والنقد العلنى لتواجد جيش الدفاع فى لبنان. منذ عدة شهور قال العميد إرز جرشتاين، الذى لقى مصرعه فى منطقة الحزام الأمنى - إن المطالبة بالانسحاب من جانب واحد يعرض حياة الجنود للخطر. وهذا الأسبوع شن العقيد نوعم دفرى نقدا شديدا حول (الفوضى داخل الجمهور والتى تضر بالحافز لدى الجنود) بل وطالب بوقف هذه الظاهرة فورا.
ويمكننا أن نتفهم فكر الضباط الذين تهمهم الروح المعنوية لجنودهم، ولكن ليس دورهم أن ينتقدوا وسائل الاعلام، أو المدنيين، أو الاهالى الذين فقدوا الثقة فى مبرر الخطر الذى يتربص بأولادهم. هذه الدولة ليست مخصصة للضباط، بل إنهم موجودون ليخدموها. من حق المواطن فى دولة ديمقراطية أن يناقش القضايا التى تتعلق بالموت والحياة. وليست كل الحكمة متوافرة لدى قادة الجيش. بالعكس، هناك براهين تاريخية كثيرة تدل على أن الغضب فى الرأى العام دائما على حق. لم يغضب الأمريكيون عندما تم إرسال الملايين من الشباب لمحاربة ألمانيا، ولكنهم ثاروا واحتجوا ضد حرب فيتنام، وعلى الدماء التى سفكت فى حرب تفتقر إلى فرصة الانتصار فيها. فى فيتنام، مثلما هو الحال فى حرب لبنان، ومثلما هو فى الانتفاضة، كان إجماع الرأى العام هو الصادق، بينما كان الخطأ فى جانب المتخصصين.
إن الحزام الأمنى هو بالفعل فشل عسكرى، لقد تمت هناك عمليتان - الحساب وعناقيد الغضب - بفارق ثلاث سنوات بين كل منهما، وكان يمكن القيام بهما من داخل الأراضى الإسرائيلية بدون أن نروى ما بين العملية والأخرى الأرض اللبنانية بدماء جنودنا. فى (عناقيد الغضب) التى تمت فى أبريل ١٩٩٦، أطلقت مدافعنا ٢٠ ألف قذيفة، وقام سلاح الطيران بـ ١٦ ألف طلعة جوية، وهاجم ٤١٠ أهداف. فى هذه العملية التى تكلفت ٤٠٠ مليون شيكل لقى خمسون مخربا مصرعهم ولكن طوال العملية التى استغرقت ١٦ يوما أطلق حزب الله ٧٠٠ صاروخ كاتيوشا على مدن الجليل وأوقع خسائر فى ١٥٥٠ مبنى ومصنعاً. فى نهاية العملية بعث شيمون بيريز رئيس الوزراء آنذاك بخطاب إلى رئيس الأركان أمنون ليبكين شحاك يشيد فيه بجيش الدفاع والذى بفضله (نجحنا فى الحصول على وثيقة تفاهم مكتوبة ترضينا) .. (طوبى للشعب الذى لديه جيش كهذا).
ولكن هذه العملية ومذكرة التفاهمات لم يحلا أية مشكلة. فى ذلك المؤتمر الصحفى الدرامى الذى انعقد هذا الاسبوع، وظهر فيه بيبى وكأنه نام طوال الليل فى قبو هيئة الأركان، بالغ شاؤول موفاز فى الثناء على نجاحات جيش الدفاع ضد حزب الله، ولكنه فشل فى كلمته عندما قال إنه فى العام الأخير ضاعف حزب الله من نشاطه. أين النجاح هنا، إذا كان العدو قد نجح فى أن يضاعف نشاطه؟ لقد كانت الغارة الجوية على أبنية خالية فى بعلبك بمثابة التنفيس عن غضب لأن قائد عسكرى محبوب لقى مصرعه.
لقد ظل العدو على حاله، ونزيفنا كما هو، وخطورة التصعيد كما هى، ولو اراد حزب الله، فسوف يصل إلى خط الحدود. فى هذه الحرب، وفى هذه الظروف لن يستطيع جيش الدفاع أن يحسم شيئا، ذلك هو جوهر الفشل العسكرى.
فى النهاية، لقد انتهى كل شئ ويبدأ فى نفس نقطة استخدام القوة. فى لبنان سوف ننزف الدم ولن ننتصر. مثلما لم نفلح فى الانتصار على الانتفاضة وعلى منظمة التحرير.
إن للفشل العسكرى أبوين: القيادات السياسية التى تمسكت بنظريات عابثة، كان أخطرها التقصير فى حرب عيد الغفران، ثم الرأى العام الذى يجبرهم على البحث عن حلول غير عسكرية لقضايا ليست لها حلول بالقوة.
حتى أسبوع مضى كان غريبو الأطوار فقط هم الذين يتكلمون عن الانسحاب. والآن أصبح باراك، ونتنياهو وحتى شارون جعلوا الانسحاب من لبنان على رأس جدول الأعمال القومى. طوبى للشعب الذى لديه مثل هذا الجيش. طوبى للشعب الذى به أهالى قلقون وإعلام لا يمكن تكميمه ورأى عام لديه من القوة ما يستطيع أن يعيد بها الزعماء إلى أرض الواقع.

أى مفتاح فى يد سوريا؟

هآرتس ٨/٣/١٩٩٩
بقلم :زئيف شيف

عندما يدلى أى سياسى أو رجل عسكرى بتصريح بشأن جنوب لبنان فإنه لا يقول إلا شيئين لا ثالث لهما وهما: أن إسرائيل ترغب فى الانسحاب من لبنان والمفتاح موجود فى يد دمشق. ولكنهم لا يقصدون نفس الشئ عندما يتحدثون عن دمشق. ويبدو أن الفارق بين نظرية وزير الدفاع السابق اسحاق مردخاى ونظرية وزير الدفاع الحالى موشيه ارنس يكمن فى هذه النقطة، وأقصد الفارق الذى يشير إلى حدوث تغيير فى السياسية تجاه سوريا فيما يتصل بالمسألة اللبنانية.
ويكمن الخلاف او الفارق الجوهرى فى نقطة محددة وهى أن البعض يرون أن المفتاح السورى هو مفتاح سياسى ويرى البعض الآخر أن هذا المفتاح عسكرى. ومن يعتقد أنه فى نطاق المفاوضات الشاملة مع سوريا أو على الأقل بواسطة التوصل

إلى اتفاق حول «صفقة» فى لبنان، سيكون من الممكن حل مشكلة لبنان، يرى أن المفتاح هو مفتاح سياسى. وينتمى اسحاق مردخاى إلى هؤلاء. ولذلك امتنع عن المساس بالقوات السورية فى نطاق حربه ضد حزب الله. كذلك فإن نظرية رئيس الأركان العامة شاؤول موفاز تشبه إلى حد كبير نظرية مردخاى، ولكن موفاز يضيف أنه طالما وأن هناك امكانية للمفاوضات حول السلام مع سوريا فإنه ليس هناك أى داع للتدهور نحو المواجهة العسكرية، إلا إذا قررت الحكومة شئ أخر.

وهناك آخرون ومن بينهم موشيه ارينز ينظرون إلى دمشق بعيون أخرى. ويقولون ان مغزى مساعدة سوريا لحزب الله وحقيقة أنها قادرة على وقف نشاط هذه المنظمة يعنى أن المفتاح العسكرى للمعركة فى لبنان موجود فى ايدى سوريا. وطبقا لتحليل هؤلاء فإن سوريا لا تملك أوراق استراتيجية وعسكرية طيبة ولكنها تعرف كيف تستغل جيدا الأوراق القليلة التى فى يدها فى مواجهة إسرائيل. ولذلك يجب أن توضح إسرائيل لدمشق بأنها تعرض نفسها لخطر المواجهة مع إسرائيل، على اعتبار أن أى دولة مسئولة، عندما تعرف أن هناك من يساعد الذين يقصفون مستوطناتها لا يمكن أن تسكت على ذلك. وليس من الغريب أن معظم الذين يرون أن مفتاح حل مشكلة لبنان هو مفتاح عسكرى، يعترضون على ربط المفاوضات السياسية الشاملة مع سوريا بمشكلة لبنان. وهم يرون أن هذين المسارين للمفاوضات يختلف كل منهما عن الآخر. وهذا ما يراه كل من وزير الدفاع موشيه ارينز ووزير الخارجية ايريل شارون.

ولكن لا يجب أن نفهم من ذلك أن وزير الدفاع ومن هم على شاكلته يبحثون عن مواجهة عسكرية مع سوريا، فليس هناك شك فى أنهم على استعداد للمجازفة بالمقارنة بالسياسة التى اتبعها مردخاى فى مواجهة القوات السورية فى لبنان. وقد برز هذا الأمر مؤخرا عند قصف أحد أهداف حزب الله فى قلب بعلبك فى المنطقة التى تقع تحت السيطرة السورية. وهم لا يرغبون فى خوض حرب مع سوريا ولكن من الواضح أن صدام أكبر يمكن أن يقع فى حالة فقدان السيطرة.

والانطباع السائد الآن هو أن سوريا لا ترغب فى الدخول فى مواجهة عسكرية وسوف تستمر فى تأييد نشاط حزب الله فى لبنان، وعلى الرغم من ذلك فسوف تتصرف بحذر وتتابع على الدوام مدى رباطة جأش إسرائيل حتى لا تنفجر بصورة مفاجئة. وهذا اسلوب ذكى تتبعه منظمة حزب الله أيضا. فبعد التسبب فى خسائر لإسرائيل ينتقلون إلى الهدوء المؤقت وبعد ذلك يعودون للعمل ضدها. ومع ذلك لا يجب على إسرائيل أن تخطئ فى تقدير رد الفعل السورى المحتمل. فإذا تعرض السوريون لأى مساس يمكنهم الرد بوسائل غير عسكرية مباشرة (على الرغم من أن بطاريات الصواريخ السورية توجد على مقربة من الحدود مع لبنان وتغطى منطقة البقاع اللبنانية بصورة جيدة حيث تعمل هناك طائرات سلاح الجو).

ويمكن للرد السورى أن يكون غير مباشر مثل زيادة المساعدات لحركة حماس (وهو الأمر الذى يحدث بالفعل) من أجل أن تكثف من عملياتها الارهابية ضد إسرائيل. ويمكن لدمشق أيضا أن تعرقل الخطوات السياسية لإسرائيل مع السلطة الفلسطينية أو مع الأردن. وهى تستطيع أن تزيد من التعاون مع إيران وحتى مع العراق. وكل من يخطط ويريد أن يضع السوريين فى ركن الزاوية فى لبنان يجب أن يضع فى الاعتبار احتمالات رد فعلهم. وحتى لو بدا طرف معين اضعف مما كان عليه قبل ذلك فإن ذلك لا يعنى انه غير قادر على التسبب فى إحداث خسائر وأضرار استراتيجية. وفى ظل التشكيل الحالى للحكومة. فإن وضع رئيس الأركان العامة يصبح على درجة أكبر من الاهمية، حيث أنه يتحمل أكثر من الوزراء مسئولية رباطة الجأش وتوخى الحذر. لأن معظم الجماهير ينتظرون منه ذلك.

هكذا لا نبنى جدار أمنى

هاتسوفيه ٨/٣/١٩٩٩

بقلم: موشيه ايشون

إن اصوات الضعف التى تصدر عن الساسة الإسرائيليين بشأن ضرورة الانسحاب الأحادى الجانب من جنوب لبنان - لا تقربنا من السلام المأمول، بل أنها تبعدنا عن الهدف الذى وضعناه نصب اعيننا فى حرب الأيام الستة قبل حوالى ٣٠ عاما، ألا وهو تحقيق السلام والأمن لشعب إسرائيل ولدولتنا.

لقد استمع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إلى نصف تصريح رئيس وزراء لبنان الذى قال فيه أنه على استعداد لضمان أمن الحدود مع إسرائيل فى حالة انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلى من جنوب لبنان. ولكن قبل أن يصل التصريح إلى أسماع المواطنين اللبنانيين فى بيروت، صدر البيان المشهور الذى يقول أنه يجب على جيش الدفاع الإسرائيلى أن ينسحب من الجنوب اللبنانى بدون شروط مسبقة، وفى المقابل فإننا نستمع إلى اصوات تدعو إلى الانسحاب من جنوب لبنان من جانب واحد. وقد سيطر هذا الشعار مؤخرا على عقول الساسة من المعسكرين. فهم ليسوا على استعداد للاستمرار فى الحرب، حيث يرون أنه ليست هناك نهاية لهذه الحرب، حتى فى نهاية النفق. وهناك من يقول أن هؤلاء يعبرون عن رأى الأغلبية. وهم يرون ان حزب الله لن يتخلى عن القتال وسوف يستمر فى الحرب إذا كان مؤيديه فى دمشق وفى طهران يرغبون فى هذه الحرب.

ويرغب السوريون بهذه الطريقة فى الضغط على إسرائيل من أجل انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلى من هضبة الجولان حتى

آخر سنتيمتر. وأما نظام الملالي في طهران فإنه لا يخفي رغبته في الاستمرار في الحرب من أجل التسبب في تصفيه دولة اليهود التي يعتبرونها نبتة غريبة في منطقة الشرق الأوسط.
إن من يؤيد الانسحاب الاحادي الجانب من جنوب لبنان والتخلي عن المنطقة الأمنية لا يرى النتيجة التي تنتظرنا وشأنه شأن الأعمى. وبذلك فإنه لن يقحم نفسه في طريق ينطوي على مصيدة أو كمين يعرض امنه وسلامته وأمن وسلامة دولة إسرائيل للخطر.
وليس من السهل تبرير ذلك خاصة في الوقت الذي يسقط فيه الضحايا أمام اعيننا والشعب يرافقهم حتى مثواهم الأخير. وفي ظل هذه الظروف من الصعب الجدل مع اشخاص ثكلي. ومن الصعب أكثر وأكثر تهدئة الامهات اللاتي لم تعرف اعينهن النوم بعد أن ذهب ابنائهن إلى جنوب لبنان من أجل الحفاظ على المستوطنات اليهودية على طول الحدود الشمالية من متولا وحتى نهاريا.
وعلى الرغم من أننا نلتقي هنا وهناك مع آباء وآمهات أخرين لا يفهمون الواجب الملقى على عاتق جيش الدفاع بشأن حماية أمن وسلامة السكان على طول خط المواجهة إلا أنه ليس من السهل تهدئة اولئك الذين يدعون إلى الانسحاب من جانب واحد من المنطقة الأمنية والتي تحولت في نظرهم إلى لغم يتربص بالشعب الإسرائيلي.
وكيف إذن يمكن التغلب بعد كل ذلك على اللغم اللبناني؟ ليست هناك إجابة في واقع الأمر باستثناء الانسحاب الأحادي الجانب والذي لا ينطوي بدوره على أي حل للمشكلة، وهذا هو أيضا رأي كبار قادة الجيش. وقد اعربوا عن موقفهم هذا في مناسبات شتى سواء في المناقشات في الحكومة أو في لجنة الخارجية والدفاع التابعة للكنيست. وهذا ما قاله أيضا رئيس الأركان العامة في نهاية الاسبوع الماضي في أعقاب الأحداث الدموية في جنوب لبنان. ومن الغريب إذن أن رئيس الأركان السابق ايهود باراك يتجاهل رأي الخبراء الكبار في المجال الأمني ويعلن بصوت عال قائلا أنه إذا تولى السلطة، فإنه سوف يسحب جيش الدفاع من جنوب لبنان وسوف يعيش سكان خط المواجهة في سلام وسكينة.
كذلك فإن باراك يتجاهل حقيقة أن سوريا تقف إلى جانب رجال حزب الله وتأمل بواسطة هؤلاء الرجال اجبار إسرائيل على الانسحاب من هضبة الجولان حتى آخر سنتيمتر بالاضافة إلى جزء من بحيرة طبرية. ومن ثم فإن هناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل باراك على استعداد لقبول هذا الفرض السوري؟
والرد على هذا السؤال بالايجاب بالطبع على الرغم من أن باراك يدعي انه يقصد الانسحاب الجزئي فحسب مع الحفاظ على المواقع الأمنية بما في ذلك قمة الحرمون والتي تعتبر هامة لسلامة وأمن الدولة.
ونحن نرى أن حكومة اسحاق رابين قد قبلت الشروط التي وضعتها سوريا، ولكن في اللحظة الأخيرة وبعد مقتل رابين تم تأجيل التنفيذ حتى بعد انتخابات الكنيست. واليوم تدعي دمشق أنه يجب الاستمرار في المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها أو بمقتضى الموافقة على الانسحاب الإسرائيلي الشامل من هضبة الجولان.
وقد رفضت حكومة نتنياهو هذا الشرط الخاص باستئناف المفاوضات مع سوريا وهذا هو السبب في عدم احراز تقدم في محادثات السلام مع حافظ الاسد. وطالما أن دمشق ليست على استعداد لاستئناف المحادثات مع إسرائيل بدون شروط مسبقة، فلن يبدو في الأفق أي احتمال للتوصل إلى تسوية سلمية بين القدس ودمشق.
إن أصوات الضعف التي تخرج من أفواه الساسة الإسرائيليين بشأن ضرورة الانسحاب من جاب واحد من لبنان، لا تقربنا من السلام المأمول، وليس هذا فحسب، بل أنها تبعدنا عن الهدف الذي وضعناه نصب اعيننا إبان حرب الأيام الستة قبل حوالي ٣٠ عاما بشأن تحقيق السلام والأمن لشعب إسرائيل ودولتنا.
ومن المؤسف أن جزءاً من القيادة السياسية الإسرائيلية لا يدرك ذلك.. ولسبب ما نجد أن الساسة يكشفون قائمة التنازلات قبل جلوسهم على مائدة المفاوضات. وبسلوكهم هذا نجدهم يبعدوننا عن الهدف المنشود، وفي المقابل فهم يدعمون موقف العدو في مواجهة إسرائيل.
وهكذا تبدو الأمور في الواقع الشرق أوسطي. ولكن العميان وضيقي الأفق لا يرون ذلك. وهكذا لا يمكن بناء الجدار الأمني حول دولة اليهود. وقد حان الوقت كي يدرك قادة إسرائيل هذه الحقائق.

تعليق على أحداث جنوب لبنان

هآرتس ٣/٣/١٩٩٩
بقلم: دافيد مكوفسكي

منذ تشكيلها في يونيو عام ١٩٩٦ طرحت حكومة نتنياهو عدة مبادرات للخروج من لبنان، ثم اتضح فشلها جميعا. وكان السبب الرئيسي في ذلك هو أنه على النقيض من تصريحاتها - والتي تقول أن سوريا هي المسئولة عن نشاط حزب الله في جنوب لبنان وليس للحكومة اللبنانية أية صلاحيات فعلية - كانت جميع المبادرات تسير في الاتجاه العكسي: أي أنها ركزت على بيروت وتجاهلت دمشق.
وكانت الحكومة قد طرحت مبادرتين أساسيتين:
لبنان اولا: فور تشكيلها أطلقت الحكومة مبادرة تعتمد على إخراج إسرائيل من لبنان، مقابل إتفاق سلام مع بيروت. وكانت على قناعة بأن هذا ليس إلا خداعا يهدف إلى فصل سوريا عن لبنان. كان الرئيس السوري حافظ الأسد يعتقد أنه في لحظة انسحاب إسرائيل من لبنان، لن يصبح لديها حافز للتفاوض الجاد حول الانسحاب من

الجولان، ولهذا قام بإفساد المبادرة.
القرار ٤٢٥: فى يناير أعلنت الحكومة أنها على استعداد للتنازل عن إتفاق سلام مع لبنان، وبدلا من ذلك تتفق على إجراءات أمنية مع بيروت، فى مقابل الانسحاب طبقا للتفسير الإسرائيلى لقرار مجلس الأمن ٤٢٥. مرة أخرى حدث لجوء لبيروت بدلا من سوريا، وكانت النتيجة فشل هذه المبادرة أيضا. كانت هناك أيضا مبادرات أخرى. فقد دعا وزير الخارجية شارون إلى انسحاب تدريجي من جانب واحد من لبنان، إلا أن المؤسسة العسكرية وأغلب الوزراء رفضوا اقتراحه وأكدوا أنه خطير جدا. تعتقد المؤسسة العسكرية أن الخروج من جانب واحد سيدفع بسوريا إلى العثور على طرق أخرى لضرب إسرائيل عن طريق فلسطينيين أو متطرفين إسلاميين من أجل الضغط عليها للتنازل عن الجولان، كذلك تم تجربة استخدام القوة، مثل قصف العمق اللبنانى، ولكن هذا الأمر لم يؤد إلى تغيير.
هذه المبادرات الفاشلة تشير إلى حقيقة أن الحكومة لم تعمل طبقا للمنطق الكامن فى أساس مزاعمها، أى الحل الذى يعتمد على ارتباط لبنان بسوريا.
إن الاعتراف بالموقع الرئيسى المحفوظ لسوريا فى ملعب جنوب لبنان يؤدى إلى عدة احتمالات:
- المحافظة على الوضع الراهن: أى التسليم بحقيقة أن إسرائيل ستظل تدفع الثمن الباهظ نتيجة البقاء فى لبنان. مؤخرا صرح مصدر أمنى كبير: «يجب أن يدرك الجمهور الإسرائيلى أن ثمن الاحتفاظ بقصر شيرين (كتسرين) هو مقتل ٣٠ جنديا إسرائيليا كل عام فى لبنان».
- عملية عسكرية: بهدف قطع الصلة بين سوريا ولبنان. وقد دعا عضو الكنيست عوزى لانداو (من الليكود) إسرائيل إلى تبنى «النموذج التركى». والمقصود هو تبنى سلوك أنقرة فى العام الماضى التى وضعت قوات عسكرية ضخمة على طول الحدود، بعد شعورها بعدم الرضاء عن الدعم السورى للأكراد، مع ذلك، فإن معنى مثل هذا الحل هو الاستعداد لخوض حرب، ويهم كثير من الإسرائيليين عدم حدوث ذلك.
- إتفاق سلام مع سوريا: مع كل ما يعنى ذلك، قال مصدر سياسى مؤخرا: «بدلا من القيام بمظاهرة ضد وزارة الدفاع للانسحاب من لبنان، يجب على الإسرائيليين أن يقوموا بمظاهرة امام مكتب رئيس الوزراء كى يبدأ فى محادثات مع سوريا». لم تطرح المؤسسة العسكرية مثل هذا الاحتمال فى الاجتماعات الأخيرة لمجلس الوزراء المصغر إزاء افتراض أن نتنياهو لن يحصل على الأغلبية الائتلاقية لتقديم تنازلات فى الجولان. أى لا مفر من الارتباط بين جنوب لبنان وهضبة الجولان.
منذ ١٧ عاما وهم يقولون فى الجهازين السياسى والعسكرى أنه لا يوجد حل سريع فى لبنان. حتى الآن حدثت ضربات كثيرة فى لبنان، والقليل من الخطط طويلة الأجل. وفى هذه الأيام السابقة للانتخابات يجب مطالبة الزعماء الاعلان صراحة وبشكل تفصيلى عن مواقفهم فى هذا الموضوع الهام.

حرب حزب الله للاستقلال

هآرتس ٥/٣/١٩٩٩
بقلم: رونين برجمان

فى المحاضرة التى ألقاها رئيس هيئة الأركان الفريق شاؤل موفاز منذ ثلاثة أسابيع، فى الاجتماع السنوى لمعهد الأبحاث الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، سأله طالب شاب لماذا لا يتم ايقاف شحنات الأسلحة الايرانية لحزب الله وهى فى مطار دمشق، أو وهى فى طريقها إلى لبنان. وتساءل الطالب: إذا كنا نعرف من الذى وراء الارهاب فى لبنان، فلماذا لا نتصرف معه. وفى ظل عدم وجود إجابة فعلية على هذا السؤال قال رئيس الأركان بشئ من الدبلوماسية أنه لا يوصى بفتح جبهة ضد السوريين.
ومع ذلك، فسواء كلامه أو كلام رئيس المخابرات العسكرية الذى تحدث قبله، فقد تكررت الصيغة المحفوظة للمؤسسة العسكرية - أى - أن إسرائيل لا تحارب فى لبنان منظمة عصابات محلية، وإنما تحارب رُسل ومنفذى دولة إقليمية متطرفة لا تهاود وهى إيران.
وطبقاً للأحاديث التى لا حصر لها والتصريحات التى أدلى بها ضباط الجيش والسياسيون خلال السنوات الأخيرة، بأنه لولا دعم إيران وغض البصر السورى، ما كان جيش الدفاع واجه مشكلة فعلية فى مواجهة حزب الله. بل إن بعض الصحفيين والمطلعين على الأسرار وحتى مسئولين بالمؤسسة العسكرية حولوا علاقة حزب الله - إيران إلى مؤامرة تاريخية، وقالوا إن حزب الله يتعلم من الايرانيين نفس الأساليب الذكية التى قام الموساد وجهاز الأمن العام بتعليمها للايرانيين فى الستينات والسبعينات.
لا يجب الاستهانة بدعم إيران لحزب الله، ولكن خرافة أن الأذرع الطويلة لايران هى التى تحارب إسرائيل فى لبنان خرافة مبالغ فيها.

هذا الاسبوع صرح المسئول عن ملف حزب الله بالمؤسسة العسكرية «من المريح لنا جداً أن نتهم إيران، وهي دولة قوية ودولة إقليمية كبرى. ويصعب علينا جداً أن نعترف بأن شرذمة قوامها ٥٠٠ لبناني وعدة آلاف في الغلاف الخارجي يجعلون منا ـ نحن الأقوياء ولدينا جيش الدفاع والموساد ـ سيركاً».

ليس من شك في أن إيران قدمت مساهمة هامة في إقامة حزب الله. منذ عام ١٩٨٣ نظرت طهران إلى لبنان على انه موقع هام ويجب غرس عقيدة آية الله خوميني هناك. وقد رصد زعماء الدولة بشكل صحيح عملية اليقظة الشيعية في لبنان، والتي بدأت قبل غزو جيش الدفاع وتصاعدت بعد عملية (سلام الجليل). في تلك الفترة استثمرت إيران عن طريق الحرس الثوري موارد كثيرة في لبنان، ونجحت في تشكيل منظمة ربيبة تتشابه في أهدافها مع أهداف الثورة، ولكن في ثوب لبناني.

كانت إيران أكثر قربا لحزب الله عن منظمات أخرى، حتى حماس والجهاد الاسلامي الفلسطينيين. فقد صدرت فتوى في إيران في الثمانينات مهدت الطريق أمام حزب الله للقيام بعمليات في لبنان أو في أماكن أخرى من العالم. كذلك لم تخف ايران مساندتها المادية لحزب الله. بتنسيق إيراني أصبحت معسكرات تدريب حزب الله (ويبدو أن ذلك مستمر إلى اليوم) معسكرات تدريب لمنظمات من جميع أرجاء الشرق الأوسط. فقد تلقى الكثيرون من المبعدين من حماس تدريبا عسكريا فعليا هناك، وبخاصة كيفية إعداد السيارات المفخخة.

قام الإيرانيون بتزويد حزب الله بصواريخ ستنجر المضادة للطائرات. وكانت الولايات المتحدة قد أمدت المجاهدين الأفغان بهذه الصواريخ، وتم نقل الفائض الذي لم يطلق على طائرات الهليوكبتر السوفيتية إلى إيران ومنها إلى لبنان والتي تستخدم حاليا ضد الطائرات العسكرية الإسرائيلية.

كذلك أقامت وزارة الاتصالات الإيرانية لحزب الله سنترالات داخلية كي لا تتنصت إسرائيل عليها. هذه السنترالات موجودة في جيبشت وبيروت. وبمساعدة من خبراء إيرانيين أقام حزب الله وحدة تنصت، بل ودخل على خطوط التليفون لقيادات جيش الدفاع. كذلك اشترى خدمات بعض الفلسطينيين الذين يتحدثون العبرية من أجل التنصت على الاشارات اللاسلكية وتليفونات جيش الدفاع. من الجانب الثاني، تقدر جهات استخبارية إسرائيلية للغاية مستوى السرية داخل حزب الله، وبخاصة منذ تصفية عباس موسوي.

ومن جانب حزب الله، فإن مجلسه السياسي والعسكري على إتصال بإيران. والحاج خليل حرب هو المنسق العملي، وهو أيضا قائد مجموعات حزب الله بجنوب لبنان. وهذا الرجل يمثل التقدم الكبير لحزب الله منذ إنشائه، فهو أحد العقول اللامعة في حزب الله، وهو أيضا يمثل أعقد المشاكل بالنسبة لإسرائيل.

منذ بداية التسعينات أصبح حزب الله تحت قيادته جيشا نظاميا أكثر من أن يكون منظمة سرية. ويعتبر خليل حرب بمثابة مفكر ومنفذ الحرب الخاطفة ضد مواقع جيش جنوب لبنان بهدف تحطيم الروح المعنوية له. تحت قيادته حقق حزب الله انجازات استخبارية كبيرة، بها معلومات مفصلة عن هيكل مواقع جيش جنوب لبنان وجيش الدفاع الإسرائيلي. وقد عمل خليل حرب الكثير ضد جهاز الأمن وضد جهاز مخابرات جيش جنوب لبنان. مثلا، قام رجاله في عام ١٩٩٢ بقتل حسين عبدالنبي، قائد جهاز الأمن. حيث قام أحد القناصة بقتله عند معبر بيت ياجون مما سبب حزنا كبيرا في جهاز الدفاع الإسرائيلي على الرجل الذي أطلق عليه (القط ذو التسع أرواح). بعد الاغتيال نشرت صحيفة حزب الله (العهد) أسماء ضباط المخابرات الإسرائيليين والعملاء اللبنانيين الذين كان عبدالنبي سيلتقي بهم، وهذا يدل على وجود جاسوس يعمل لصالحهم داخل جهاز الأمن لجيش جنوب لبنان.

كلما مرت السنون ورسخ حزب الله سطوته السياسية والعسكرية في لبنان، أصبح يمثل تحديا أكبر وأكبر للمؤسسات العسكرية الإسرائيلية التي تصر على التواجد في جنوب لبنان. في نفس الوقت، ضعف حماس تصدير الثورة في إيران، وأصبحت هناك حساسية تجاه الرأي العام الدولي الذي أدان التورط في الارهاب إضافة إلى تزايد الأزمة الاقتصادية الداخلية.

وإذا كانت العلاقات في البداية غير متوازنة، حيث كانت إيران تملي على حزب الله سياسة التنفيذ، إلا أنه منذ بداية التسعينات أصبحت العلاقة متوازنة جدا وذات ندية.

مازالت إيران تتدخل في لبنان، ويرسل زعماء حزب الله اليها المتدربين، ولكن المقاومة ـ وهو اللفظ الذي يطلقه حزب الله على نفسه ـ اصبحت اليوم منظمة مستقلة، ذات أساليب عمل ذكية خاصة بها.

يضيف المسئول بالمؤسسة العسكرية: «فكروا في قصص الطائرات المحملة بالعتاد الذي يصل من إيران، يمكن التفكير في السلاح الحديث جدا الذي يستخدمه حزب الله، وهم يستطيعون الحصول على كافة الأنواع من

السوق اللبنانية، إذا لم يحصلوا على صواريخ كاتيوشا من إيران يمكنهم أن يشتروها من أحمد جبريل أو جورج حبش. كذلك البنادق الكلاشينكوف والمواد المتفجرة يمكن الحصول عليها بسهولة. ولذلك من السهل شن حرب عصابات ضد جيش نظامى يسيطر على منطقة محتلة».

وبالنسبة للقصص التى تقول إن التدريب الإسرائيلى للإيرانيين منذ السبعينات هو الذى يحرك العجلات العملية والاستخبارية لحزب الله، فهى مرفوضة من جانب بعض رجال المخابرات الإسرائيلية الذين يقولون: إن هذه الأسطورة تحمل بعض الاستهانة بذكاء جيراننا. أولا نحن لم ندرب جهاز الأمن الإيرانى (السافاك) فى عهد الشاه على أعمال المخابرات الداخلية وأساليب السرية الداخلية. ثانيا، اختلاف ظروف الأرض فى لبنان تماما. ثالثا، وهذا أهم من كل شئ، يمكن الاعتقاد أننا قد اخترعنا فى المخابرات مقولة بأن إيران وسوريا لا تعرفان كيف يتم تجنيد عميل، وماهى المخابرات الايجابية، وماهى المخابرات الوقائية، وما هو أمن الميدان، ولا تستطيعان تعليم ذلك لحزب الله».

يعتقدون فى المؤسسة العسكرية بأنه لو هناك قطرة علم استخبارى من إسرائيل فى حزب الله، فإن ذلك غير مرتبط تماما بالسبعينات، بل يحدث يوميا وكل ساعة فى لبنان. قبل حرب لبنان قامت إسرائيل بإعداد العشرات من رجال المخابرات من الكتائب المسيحية من خلال دورات مخابراتية مكثفة فى مدرسة الموساد. منذ ذلك الحين قام المسيحيون وبخاصة رئيس مخابراتهم، سمير جعجع، بالاستفادة من عملية العلاقة مع إسرائيل، وأصبحوا بالفعل عملاء لسوريا. وهم اليوم على علاقة طيبة بحزب الله.

كذلك جزء كبير من الذين يخدمون فى جهاز أمن جيش جنوب لبنان الذى تستخدمه إسرائيل، دروز وشيعة من سكان الحزام الأمنى. لقد مارس حزب الله معهم أساليب مختلفة ليجندهم، منها تهديد أقاربهم فى بيروت ودفع أموال لهم مقابل معلومات. فى الوقت ذاته، هناك افتراض بأن الدروز فى جهاز الأمن لا يرون أن هناك أى مشكلة فى اطلاع أعضاء الحزب التقدمى الاشتراكى - التابع لوليد جنبلاط - على المعلومات التى لديهم. وهؤلاء يتعاونون مع حزب الله.

إن حزب الله الحالى يعد خصما أكثر ضراوة من منظمة التحرير قبل حرب لبنان. إنه يهزم إسرائيل فى جميع المجالات تقريبا، والأفضلية العليا لجيش الدفاع هى فقط التى تتيح استمرار وجوده فى لبنان.

كذلك فيما يتعلق بالحرب النفسية يؤدى حزب الله عملاً جيداً جدا يختلف عن الذى يقوم به جيش الدفاع وجيش جنوب لبنان. يوجد حاليا فى حزب الله من يرصدون كافة الأحداث السائدة داخل الجماهير الإسرائيلية، ويقومون بتحليلها ويحاولون استخدامها لصالح المنظمة. إنهم يقرأون الصحافة الإسرائيلية ويترجمونها ويعرضون أجزاء مختارة منها (ونقلها حرفيا) فى أجهزة إعلامهم، وذلك حتى يعلم الجمهور اللبنانى أن إسرائيل تلين، ومع المزيد من الضغط، ينسحب جيش الدفاع من لبنان. وقد صدق العميد ارز جرشتاين على نحو ما، عندما قال أن نشاط منظمة الأمهات الأربع يضعف الصمود الإسرائيلى فى لبنان. كذلك يدركون فى جيش جنوب لبنان أن إسرائيل فى طريقها للرحيل. وهذا الأمر يضر جداً بحافز المساعدة لجيش الدفاع، وكثيرون منهم يعدون هذه الأيام خطة للهروب ويحتمل أنهم يعملون لصالح حزب الله. من خلال الاعلام الإسرائيلى أدركوا فى قيادة حزب الله فى بيروت، أن هناك حساسية كبيرة جدا تجاه سقوط الجنود فى الأسر. من المعتقد أنه إلى جانب الثمن الذى يمكن دفعه مقابل جندى إسرائيلى حى، فإن السقوط فى الأسر فى حد ذاته وإجراء صفقة تبادل تعتبر ضربة قاصمة للروح القومية فى إسرائيل.

منذ ثلاث سنوات اصطدمت قوة من لواء جولانى بمجموعة مخربين فى طريقهم بالقرب من موقع دلعت.. فتحت القوة النيران وقتلت المخربين، وأثناء عملية التمشيط بعد ذلك اكتشف الجنود أن إحدى الجثث لشخص ضخم. قال أحد الجنود الذين شاركوا فى العملية أن هذا الشخص المقتول كان طوله ما بين ١٩٠سم إلى مترين، قبل رفعه على السيارة، بحث الجنود فى جيوبه واكتشفوا وجود كمية كبيرة جداً من المواد المخدرة، وبخاصة كبسولات مورفين. ويؤكدون فى الجيش أن الرجل لم يكن يحمل هذه المواد للتغلب على الآم الأسنان، بل إنه اختير لمحاولة الامساك بجندى إسرائيلى اثناء المعركة، وتخديره والهروب به من المنطقة.

هذا الاسبوع، مع مقتل العميد جرشتاين، وبعد الاعتقاد أن ما جرى فى لبنان هو أسوأ شئ، يعتبر فى الجيش سيناريو اختطاف جندى من جنوب لبنان إلى مشارف ضواحى بيروت، كابوسا مفزعا.

٣ إسرائيل / شئون داخلية

معاريف ٨/٣/١٩٩٩

بقلم: أمنون دينكر

فشل التأمين

قبل خمس سنوات دعاني بنيامين نتنياهو للقائه وأسمعني شكوى.. وسألني قائلا كيف يحدث هذا.. لماذا لا تضع الحكومة حراسة حولي كزعيم للمعارضة ولا تهتم بحياتي؟ وسألته: هل يشعر بأن هناك شئ يهدده؟
ومن عساه يكون المستفيد من هذا التهديد، أو من الذى يهدده؟ ولم يفكر نتنياهو ولو لثانية واحدة وقال على الفور أن الخطر الذى يحدق به يكمن فى العملاء الايرانيين. ومن المعروف أننى اتحدث وأكتب كثيرا عن النظام الايرانى وأندد به وأعمل بكل قوة فى الساحة الدولية حتى احذر الجميع من الخطر النووى الذى تتسلح به هذه الدولة.. هذا ما قاله نتنياهو. وألمح نتنياهو إلى أن لديه معلومات تفيد أن الايرانيين يرون أنه يشكل تهديدا عليهم.
وتذكرت هذا الحديث قبل عدة أشهر عندما قمت بزيارة شخصية كبيرة في الدولة فى منزلها. وهذه الشخصية التى لن أذكر اسمها لأسباب معروفة للجميع هدف للأرهاب. حيث ان اسمها ذكر كهدف لعميلة ارهابية اكثر من مرة فى التحقيقات التى اجراها جهاز الشين بيت. ومن المعروف أن بعض الاشخاص الذين خططوا بالفعل لاغتيال هذه الشخصية قد قبض عليهم وجري تحقيق معهم.
وشعرت بالدهشة عندما رأيت أن هذه الشخصية لا تتمتع بأى نوع من التأمين، حيث لا يوجد حوله حراس شخصيين وليست هناك حراسة حول منزله ولا يوجد حتى شرطى واحد على مقربة من منزله. وعلى الرغم من أن هذه الشخصية غير محببة إلى نفس رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، إلا أن الخطر الذى تواجهه هذه الشخصية هو خطر يومى وأخطر بكثير من نظرية المؤامرة الايرانية التى القاها بنيامين نتنياهو على مسامعى فى ذلك الحديث الذى اشرت اليه.
وفى النهاية فإن قرار وأيضا مسئولية تحديد التأمين فى أيدى رئيس الوزراء. وعلى الرغم من أن هناك لجنة خاصة توصى وتحدد الاشخاص الذين يجب وضع حراسة عليهم. إلا أن توصيات هذه اللجنة توضع على مكتب رئيس الوزراء وهو الذى يحدد ويتخذ القرار. والذى نراه فى أرض الواقع ليس إلا تأمين هيستيرى من حيث الكم والكيف. حول رئيس الوزراء نفسه. مع إهمال شديد فيما يتصل بتأمين الشخصيات الأخرى على الرغم من الخطر الذى يهددها.
وتجدر الاشارة إلى أن عضو الكنيست يوسى ساريد هو خير مثال على ذلك. وعلى الرغم من أن آرائه السياسية كانت لا تعجب قطاعات كبيرة من الجماهير فى الماضى وكانت تصف هذه الآراء بأنها فضيحة إلا أن هذه الأراء اصبحت الآن منتشرة بين قطاعات كبيرة من الجماهير، يعتنقونها ويؤمنون بها ويرددونها. ومع ذلك فإن ساريد مازال يعتبر بمثابة شخصية مكروهة وغير مرغوب فيها بالنسبة لأعضاء اليمين المتطرف وبالنسبة للقطاع العنيف من الجماهير المتدينة.
وكل انسان عاقل يعرف أنه يجب أن تكون هناك حراسة حول يوسى ساريد، ولكن هذا لم يحدث. وكانت شرطة إسرائيل قد اعلنت صباح أمس أن ساريد مؤمن بواسطة رجال الشرطة الذين يقومون بدوريات حول منزله. ولكن ساريد نفى ذلك نفياً قطعياً. وإذا كانت سيارات دورية الشرطة تمر كل ساعة أو ساعتين بجوار منزله، هل يمكن أن يمنع ذلك المساس بساريد؟
وكان صوت إسرائيل قد ذكر قبل عدة أسابيع أن أحد الحاخامات فى القدس قد تحدث فى أحد اللقاءات المنزلية عن الاسباب التى تبيح قتل ساريد. وقيل فى ذلك الوقت أن الشرطة قد أجرت تحقيق... حسناً.. ولكن منذ ذلك الحين لم نعرف أى شئ عن اجراءات التحقيق أو نتائجه. وبالأمس كانت هناك ضجة كبيرة حول قضية يسرائيل

بوندك الذى دعا فى اذاعته الخاصة إلى قتل ساريد. ومن السهل الافتراض بأن بوندك سوف يعتقل عن قريب ويتم التحقيق معه ويقدم للمحاكمة.
ولكن المشكلة لا تكمن فقط فى المحرضين ولكن فى الذين يتم تحريضهم والذين لا يمكن القاء القبض عليهم لأننا لا نعرف من هم بالضبط ويجب التصدى لهم بواسطة زيادة وتكثيف وسائل التأمين حول المستهدفين وأعتقد أن هذه الدولة تضم عدداً غير كبير من الشخصيات المستهدفة بسبب نشاطهم.
وفى حالة عدم وجود تأمين وحراسة حولهم فإن هذا دليل على أن هناك شيئا ما خاطئ ومعيب فى تفكير المسئولين عن هذا التأمين وعلى رأسهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو الذى طالب بأن تكون هناك حراسة حوله عندما كان فى منصب زعيم المعارضة على الرغم من أن الأسباب التى ذكرها كان مشكوك فيها.

توجيه ٣٧٪ من مخصصات الروابط للتعليم الحريدي ■

هآرتس
٩ / ٣ / ١٩٩٩
شحر ايلان

تفيد معطيات المركز الإسرائيلي المتخصص في دراسة شؤون المجتمع المدني التي تنشر هنا للمرة الأولى أنه تم توجيه ٣٧٪ من المخصصات المالية التي قدمتها الدولة للروابط والمنظمات إلى مجال التعليم الحريدي (المتشدد دينيا)، فقدر حجم المساعدات المالية المقدمة إلى المنظمات التعليمية المتشددة دينيا خلال عام ١٩٩٧ بحوالي مليار شيكل. وبينما كانت مخصصات القطاع الحريدي تقدر خلال عام ١٩٩١ بستمائة مليون شيكل فقد أصبحت تقدر في عام ١٩٩٧ بـ ٢,٧ مليار شيكل أي بزيادة تقدر بنحو ١٣٠٪ ويقدر عدد الروابط الدينية أو الحريدية في إسرائيل بحوالي أحد عشر ألف رابطة، تمثل ٤١ ٪ من مجمل الروابط الموجودة في إسرائيل.
وقد عقد المركز التابع لجامعة بن جوريون الواقع في بئر سبع والذي يرأسه البروفيسور بنيامين جدرون اجتماعه السنوي في فندق "هيطا "المطل على ساحل البحر الميت، بإسرائيل، ندوة عن ذلك المجتمع الذي يضم في صفوفه الروابط والمنظمات التي تعمل لأهداف غير ربحية.
وقد أطلق على هذه المنظمات تعبير القطاع الثالث خاصة أن القطاعين الأولين يتمثلان في القطاعين العام والخاص ومن المؤسف أنه ليست لدينا وفرة في المعلومات عن هذا القطاع فضلا عن أن المعلومات النادرة المتوافرة عنه متناثرة في أوساط جهات مختلفة، ومن هنا ولهذا السبب فقد أسس هذا المركز وحدة معلومات خاصة تتضمن معطيات مختلفة عن هذه الروابط، وعن المخصصات المالية التي تتلقاها. وقد شارك هذا المركز في مشروع "هوبكينز" الذي تم في إطاره التعرف على ملامح هذه المنظمات في حوالي ثلاثين دولة. وفي إطار هذا المشروع فقد تم تصنيف الروابط وفقا لتخصصاتها أو مجالات أنشطتها. ويساعد هذا التصنيف على تفهم مكانة الروابط الدينية و" الحريدية "(أي المتشددة دينيا) في منظومة الروابط والمنظمات المدنية في إسرائيل.
وتفيد معطيات هذا المركز أنه قد تأسست في إسرائيل منذ عام ١٩٨١ الذي تم فيه السماح بتأسيس مثل هذه الروابط وحتى نهاية عام ١٩٩٨ سبعة وعشرين ألف رابطة. وبينما قدر تعداد هذه الروابط في عام ١٩٨١ بأربعمائة رابطة فقد بلغ تعدادها في عام ١٩٨٢ ألف وأربعمائة رابطة. ومنذ ذلك الحين فقد كانت تتشكل سنويا ما يقرب من ألف ستمائة وخمسين رابطة.
ويعد ٤١٪ من هذه الروابط بمثابة روابط دينية أو " حريدية "إذ يغلب الطابع الديني على أنشطتها وأهدافها، ونذكر من بين هذه الروابط منظمات التعليم الحريدي، وصناديق إعانة العجائز الحريدية والمعابد والمنظمات الدينية التي نذكر من بينها منظمة "حبد "الدينية المتطرفة. ومن الوارد أن عدد المنظمات الدينية يفوق التصور.
ويجب أن نضع في اعتبارنا أن الأحزاب الدينية تحظى حاليا بثلاثة وعشرين مقعدا في الكنيست، أي أنها تحظى بأقل من ٢٠٪من مجمل مقاعد الكنيست، غير أن عدد الروابط الدينية يفوق بكثير حجم القطاع الديني في إسرائيل. ويرى البروفيسور "جدرون "أن حصول الروابط الدينية المنتمية إلى القطاع الديني على هذا الدعم الحكومي لا نجد له نظيرا في أية بقعة من الأرض.
وقد شهدت نهايات عام ١٩٩٨ ارتفاعا ملحوظا في عدد الروابط الدينية إذ بلغ تعدادها آنذاك ٦٣٢٥ رابطة أي أنها شكلت ٢٣,٥٪ من مجمل الروابط في إسرائيل، هذا بالإضافة إلى أن ستة آلاف رابطة من بين هذه الروابط كانت روابط يهودية.
أما الروابط التي تأسست لتحقيق أهداف دينية فقد زاد عددها بشكل ملحوظ خلال أعوام ١٩٩٢-١٩٩٤، فنجد أن حوالي ٣٠٪ من الروابط التي تشكلت في تلك السنوات كانت روابط دينية. ومن الصعوبة بمكان ألا نربط هذه الزيادة بذلك القانون الذي طبق في عام ١٩٩٢ والذي نص على ضرورة توزيع المخصصات المالية على ضوء معايير ومقاييس متساوية، ومن هنا فقد تزايدت منذ ذلك العام فرص حصول الروابط الدينية العاملة لتحقيق أهداف دينية على مخصصات مالية.

الروابط العربية :

وبينما تمثل الروابط العاملة في القطاعين الديني والحريدي ٤١٪ من مجمل الروابط فإن عدد الروابط العاملة في القطاع غير اليهودي تقدر بألف رابطة فقط أي أنها تشكل ٤٪ من مجمل الروابط ، ومن الواضح أيضا أن عدد الروابط العاملة في قطاع التعليم غير اليهودي ضئيل للغاية إذ يقدر بحوالي مائة رابطة فقط ، كما أن عدد الروابط الدينية غير اليهودية يقدر بحوالي مائتي وخمسين رابطة .

ويرى البروفيسور "جردون "أن أسباب تضاؤل عدد الروابط العربية تتمثل في أنه يتم اتباع سياسة التمييز عند توزيع المخصصات المالية فضلا عن اختلاف طبيعة الثقافة السياسية في أوساط القطاع العربي .ويفسر "جردون " موقفه بقوله إن المنظمات الخيرية تعد جزءا قديما من تاريخ اليهود منذ أن أقاموا في الجيتو بأوروبا ، ومن ثم فلم يجد الحريديم صعوبة في تقبل شكل الروابط ، وفي المقابل فإن المنظومة الاجتماعية العربية تقوم على مفهوم الأسرة ، ذلك المفهوم الذي تقوم الروابط على تحطيمه .وعلى حد قوله فإن الفلسطينيين المقيمين في إسرائيل والمتأثرين بثقافتها السياسية يقيمون عددا أكبر من الروابط مقارنة بما هو سائد في مصر والأردن .ولم تظهر فكرة المجتمع المدني في المجتمع العربي إلا مؤخرا.

وإذا كانت الروابط الدينية تشغل المرتبة الأولى في سلم المنظمات والروابط المدنية فإن الروابط المعنية بالتعليم والبحث تشغل المرتبة الثانية ، فيقدر عدد المنظمات المعنية بهذين المجالين بخمسة آلاف منظمة أي أنها تشكل ١٩٪ من مجمل الروابط ، غير أن ٣٥٠٠ منظمة منها أي حوالي الثلث تعد دينية أو حريدية .

وتعمل في إسرائيل أيضا حوالي ٣٣٥٠ رابطة خيرية ، غير أن ١٦٨٠ رابطة من هذا العدد سالف الذكر تعد حريدية .

وقد أفادت الدراسة التي أعدها المركز المعني بدراسة المجتمع المدني أنه بينما توجد في منطقة بني براك حوالي ٢٦٠ منظمة خيرية حريدية فتوجد في تل أبيب التي تعد واحدة من أكبر المدن الإسرائيلية ١٢٥ منظمة ، كما توجد في منطقة "حدرة" سبع منظمات فقط .وتوضح هذه المعطيات مدى زيف الادعاءات التي يرددها الحريديم والتي مفادها أنهم يقدمون خدماتهم على نحو متساو لكل من العلمانيين والحريديم .

وعند تصنيف هذه الروابط على مقاييس أخرى غير تلك المقاييس الخاصة بمجالات أنشطة المنظمات نجد أن الروابط الدينية تشغل الأماكن الثلاثة الأولى في سلم الروابط الموجودة في إسرائيل فنلاحظ على سبيل المثال أن عدد الروابط التابعة للمعابد يقدر عددها بـ ٢٩٠٠ رابطة أي أنها تشكل ١١٪من مجمل الروابط في إسرائيل .أما المرتبة الثانية فتشغلها منظمات الديانة اليهودية التي يقدر عددها بـ ٢٧٠٠ رابطة ، تشكل بدورها ١٠٪من مجمل الروابط .أما المرتبة الثالثة فتشغلها الروابط التابعة للأكاديميات التلمودية المتخصصة ويقدر عددها بـ ٢٦٥٠ رابطة مشكلة بالتالي ١٠٪ من مجمل الروابط .أما المرتبة الرابعة فتشغلها المنظمات الرياضية ويقدر عددها بحوالي ١٤٠٠ رابطة مشكلة ٥٪ من مجمل الروابط .

مجتمع المؤسسات :

ولا يمكننا تفسير كثرة الروابط الحريدية في المجتمع إلا من خلال الرجوع إلى تلك الأبحاث التي أعدها البروفيسور مناحيم فريدمان المتخصص في شؤون المجتمع الحريدي .

ويرى فريدمان أن هذا المجتمع يقوم على كثير من المؤسسات التعليمية والدينية والخيرية ، وأنها تعد بمثابة الأساس الاقتصادي للمجتمع الحريدي ، بل والنواة التي تتطور من خلالها المناطق السكنية الحريدية .ويحرص الفكر الحريدي على تأسيس المؤسسات في البداية ، تلك المؤسسات التي يتلو تأسيسها إقامة مراكز سكنية .

وتعد مؤسسات التعليم الحريدية التي يتلقى فيها الطفل الحريدي منذ نعومة أظافره دراسته الدينية ، والتي يقضي فيها معظم ساعات اليوم بمثابة الحاجز الذي يحول بينه وبين المجتمع العلماني .وتمنع مؤسسات التعليم الحريدية الطفل من الانخراط في أي لقاء جاد مع العلمانيين بل ولا تقدم لتلاميذها تلك المعارف التي يمكنها أن تؤهلهم للعمل فيما بعد .وفي حقيقة الأمر فإن المؤسسات الخيرية التابعة للمجتمع الحريدي تزيد من ارتباط الفرد الحريدي بالمجتمع .

وتعد هذه المؤسسات بمثابة العامل الرئيسي الذي يقف حائلا دون تفكك المجتمع الحريدي ، تلك الظاهرة التي اعترته خلال السنوات الماضية ، غير أن البحث الذي أعده المركز الإسرائيلي لبحث شؤون المجتمع المدني يفيد أن الدولة تمول جزءا كبيرا من أنشطة المجتمع الحريدي إذ أن الدولة تسدد الضرائب الجارية .

ولا يمكننا في هذا المجال أن نتجاهل أيضا حقيقة أن عددا كبيرا من الروابط يحرص على الترويج لايديولوجيته الدينية ، وتشجيع أبناء المجتمع على التوبة والانتماء إليها .ويجب أن ننتبه هنا إلى أن المعطيات التي قدمها المركز المعني ببحث شؤون المجتمع المدني لا تميز بين الروابط الدينية التي تقدم خدمات للمجتمع الديني وبين تلك التي تحرص على ترويج فكرها الايديولوجي وعلى تشجيع الآخرين على التوبة .

٢,٧ مليار شيكل للروابط :

وقد صب هذا المركز جل اهتمامه على المعلومات المتعلقة بالمخصصات التي قدمتها الدولة للروابط خلال أعوام ١٩٩١-١٩٩٧ ، تلك الفترة التي ارتفع فيها حجم المخصصات على نحو ملموس فبينما كانت تقدر قيمتها خلال عام ١٩٩١ بستمائة مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٧ بـ ٢,٧مليار ، وتعني هذه الأرقام أن قيمة المخصصات قد تضاعفت خلال هذه الفترة أربع مرات .

وتتمثل أسباب هذه الزيادة في النقاط التالية :

*تطور منظومة التعليم الحريدي ، وتلك الخاصة بالأكاديميات التلمودية المتخصصة، ومنظومة المؤسسات

التابعة لحزب شاس .
*كان من بين نتائج إلغاء التبرعات الخاصة، إجبار المنظمات الحزبية على اقتسام المخصصات المالية مع عدد آخر من المنظمات .وقد استلزم الحفاظ على مستوى المخصصات المالية رفع قيمة المخصصات .
وقد أقر القانون الإسرائيلي في عام ١٩٩٢بضرورة توزيع المخصصات المالية وفقا لمعايير متساوية ، ومن هنا فقد كان من بين نتائج إلغاء التبرعات الخاصة أن المخصصات المالية كانت توزع على عدد أكبر من المؤسسات .ومن المعروف أنه بينما كانت الدولة تقدم في عام ١٩٩١ مخصصات مالية لحوالي ٢٢٠٠ مؤسسة فقد قدمت في عام ١٩٩٧ مخصصات مالية لحوالي ٣٩٠٠ رابطة ، أي أن عدد المؤسسات قد ارتفع بنسبة ٧٥٪ . وعلاوة على هذا فبينما قدرت قيمة المخصصات المالية التي كانت الدولة تقدمها لكل مؤسسة بمائتي وسبعين ألف شيكل فقد أصبحت تقدر بسبعمائة ألف شيكل .
وتفيد نتائج التقارير التي تصدرها مراقبة الدولة ، والتقارير الصحفية عن هذه الروابط أنه ليس بمقدور الدولة مواجهة هذه الزيادة الضخمة في عدد الروابط أو المخصصات المالية .ويرى البروفيسور "جدرون "أن تزايد عدد الأكاديميات المتخصصة في الدراسات التلمودية تؤدى فضلا عن تشتت مؤسسات التعليم الحريدي، إلى الفساد خاصة أنه بينما كان من الممكن إخضاع المؤسسات التعليمية الحريدية للإشراف في ظل الفترة التي كانت تتبع فيها للمؤسسات التعليمية التقليدية ، فقد أصبح هذا الأمر من المتعذر حدوثه في ظل هذه الحالة من التشتت والتبعثر .
ويرى المحامي امنون دى هرطوخ المسئول عن مهمة إقرار المعايير التي من الواجب إتباعها عند توزيع المخصصات المالية ، تلك المهمة التي كلفه بها مكتب مستشار الحكومة القانوني يرى أنه من الواجب أن يتم تأسيس هيئة تتولى بدورها مهمة الإشراف على المخصصات المالية ، ويرى أنه من الممكن رصد ٢٪من مجمل مخصصات الدولة لتمويل أنشطة هذه الهيئة .وفي المقابل تتزايد في أوساط الدولة قوة تلك الاتجاهات الداعية إلى خصخصة الإشراف أي قيام بعض مراقبي الحسابات العاملين في بعض الجهات الخاصة بتولي مهمة الإشراف .

٣٧٪ من المخصصات للتعليم الحريدي:

ويجب ألا يشعر المرء بالدهشة عند معرفة أن وزارتي الأديان والتعليم تتوليان مهمة توزيع ٩٠٪ من المخصصات فقد رصدت وزارة التعليم في عام ١٩٩٧ ما يربو على ١,٥ مليار شيكل لمؤسسات التعليم الحريدية أي أنه تم توجيه ٥٦٪ من مجمل مخصصات الدولة حينئذ إلى دعم هذه المؤسسات .وقامت وزارة الأديان في ذات العام بتخصيص ٩٢٠ مليون شيكل لذات الغرض ، ذلك المبلغ الذي مثل في حينه ثلثي ميزانية الوزارة.
وتعد منظمات التعليم الحريدية من أكثر المنظمات الإسرائيلية حصولا على هذه المخصصات، فحصلت هذه المنظمات خلال أعوام ١٩٩١ - ١٩٩٧ على ٣٧٪ من مجمل المخصصات ، وبينما حصلت هذه المنظمات في عام ١٩٩٦ على سبعمائة مليون شيكل فقد حصلت في عام ١٩٩٧ على مليار شيكل ، الأمر الذي يدل على أن المخصصات المالية لهذه المنظمات ارتفعت بما تقدر قيمته بـ ٤٤٪ عقب مضى عام واحد على تولى بنيامين نتنياهو لمقاليد السلطة .
وحتى تتضح لنا كل أبعاد الصورة فيجب أن نضع في اعتبارنا أن المنظمات المعنية بالفنون والثقافة تحصل سنويا على حوالي ١١,٥٪ من مجمل المخصصات فقد بلغت قيمة ما حصلت عليه في عام ١٩٩٧ ثلاثمائة مليون شيكل .

تضاؤل المخصصات في عام ١٩٩٥ :

ولم تتضاءل قيمة المخصصات المالية المكرسة للقطاعين الديني عامة والحريدي على وجه الخصوص إلا في عام ١٩٩٥ ، أي ذلك العام الذي نجح فيه حزبا العمل وميرتس في تشكيل الحكومة دون الرجوع إلى الأحزاب الدينية ، ومن هنا فبينما قدرت قيمة المخصصات المالية للتعليم الحريدي قبل عام ١٩٩٥ ب ٧١٠ مليون شيكل فقد أصبحت تقدر ب ٥٩٠ مليون شيكل أي أنها تتضاءلت بنسبة تقدر بـ ٢٧٪ وقد تضاءل أيضا عدد المنظمات التعليمية الحريدية بحوالي ٢٠٪ فبينما كان عددها يقدر بـ ١٨٠٠ منظمة فقد تضاءل ليقدر بـ ١٤٥٠ منظمة .وشمل التضاؤل أيضا عدد المعابد التي تحظى بالمساعدة ، فبينما كان يحظى حوالي ٣١٤ معبدا بالمساعدة فقد أصبح عددها يقدر بحوالي ١٨٦ أي أن قيمة الانخفاض قدرت بحوالي ٤٠٪ وفي المقابل فقد ازدادت في ظل حكومة رابين قيمة المخصصات المالية الموجهة للمنظمات المعنية بالحفاظ على البيئة ، ولمنظمات التعليم العالي .
وفي المقابل فقد شهد عام ١٩٩٦ الذي تولى فيه بنيامين نتنياهو مقاليد السلطة ارتفاعا ملموسا في قيمة المخصصات المالية الموجهة للمنظمات والروابط الدينية فبينما بلغت قيمة المخصصات المالية المكرسة للمنظمات الدينية في عام ١٩٩٥- ٣٢ مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٧ ب ١١٢ مليون شيقل ، كما أنه بينما قدرت قيمة المخصصات المالية للمعابد في عام ١٩٩٥ بـ ٢٥ مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٦ بـ ٣٨ مليون شيكل أي بزيادة تقدر نسبتها بحوالي ٥٠٪.
ويعلق البروفيسور "جدرون "على هذه المعطيات بقوله إن هذه التحولات والتغيرات التي تطرأ على المخصصات ونظم الأولويات توضح مدى تأثر ميزانية المخصصات المالية بالاعتبارات السياسية ، وعلى حد قوله فإن الانخفاض الذي طرأ على قيمة المخصصات المالية في عام ١٩٩٥ يعد على قدر كبير من الأهمية إذ يثبت أنه من الممكن التوقف عن تقديمها ، وأنها ليست ضربا من القدر الذي كتب على المرء أن يرضخ له .

٤ إسرائيل / انتخابات

رأس بلا جسد

الملحق السياسى لجريدة معاريف
١٠ / ٣ / ١٩٩٩
بقلم : أفراهام تيروش

إن المماطلة فى تشكيل قائمة حزب الوسط تدل على تردد ومن المحتمل أن تضر بصورة الحزب وبفرص نجاحه.
يوجد حزب الوسط ويوجد إسحاق موردخاى . والصحيح حتى اليوم، أنهما ليسا أمرين يسيران معا. إن موردخاى يجرى للأمام فى معركة الانتخابات ، فى حين أن الحزب يظل فى هذه المرحلة فى الخلف. فالحزب لديه مرشح لرئاسة الحكومة وهو يقوم بدفعه للأمام - وفى الواقع أنه يدفع نفسه - ولكن الحزب ليس لديه قائمة مرشحين للكنيست، وبذلك ليس لهم أحد يدفعونه لهناك. رأس يعدو بدون جسد .
إن الحزب لا يحسن بذلك الفعل لنفسه. بل العكس إنه يتلقى صورة حزب المماطلة ورؤسائه يبدون مترددين . ويصعب عليهم إتخاذ القرار ، سواء بسبب طبيعتهم أو بسبب مشاكل داخلية. فالحزب له تاريخ من ذلك البقاء المتردد . ففى البداية لم يستطع شاحاك ومريدورالوصول الى اتفاق بينهم، وظلوا يماطلون ويماطلون ، حتى جاء موردخاى وسحب السجادة من تحت أقدامهم . إن موردخاى نفسه تردد وتخبط وماطل حتى قرر إتخاذ الخطوة للانتقال من الليكود الى الوسط. والآن، يضيعون الوقت منذ عدة اسابيع مع القائمة للكنيست.
إن الجمهور ليس غبيا. إنه يرى ويقرأ جيدا ما يحاولون اخفائه عنهم. إنه يرى التركيز على موردخاى ويرى اختفا ءهم النسبى من المعركة ومن الإعلام بالنسبة لشركائه الثلاثة فى الزعامة. وبالذات أمنون شاحاك المرشح السابق للزعامة.
وأحيانا يبدو أن شاحاك كان يرغب فى النزول من الأمر كله وفقط يعود لبيته سالما .
والجمهور يشعر أيضا أن من يعتقد أن موردخاى هو أفضل مرشح فى الوسط لرئاسة الحكومة، هو فى الأساس موردخاى نفسه. فإن الثلاثة الآخرين - شاحاك ، مريدور، وميلو - متأكدون وواثقون ، كل واحد على حدة - أنهم مرشحون مناسبون بشكل أفضل ، ولكن فقط بسبب الظروف وصل بهم الأمر للوضع الموجودين فيه والذى اضطروا فيه تنصيب موردخاى عليهم من أجل دفع الروح فى توحيد القوى والصفوف فى الوسط .
والجمهور مندهش كذلك ، ماذا يعطلهم بهذا الشكل فى تشكيل القائمة للكنيست. وماذا سيعرفون بعد اسبوعين أو ثلاثة عشية تقديم القوائم ماليس معروفا لهم اليوم؟ ولماذا الإطالة لهذا الحد فى فترة التسابق الداخلى فيما يتعلق بهذا الشأن، والذى يعكر صفو الأجواء ؟
إن الوضع يحتمل تفسيرا واحدا : فهناك معركة تدور بين الرؤساء حول التكتل الذى سيكون لكل واحد منهم فى القائمة المشتركة حتى يكون مهيئا لليوم المناسب، أى لليوم الذى سيتفكك فيه الاطار. إن ذلك الوضع يبعث على نقص أو إنعدام الثقة فى قدرة هذا التنظيم على التماسك على مدى الوقت . إن التجربة المريرة لحزب داش (جيل السلام) يعرف زعماء الوسط أنها من الممكن أن تحدث لهم ، وذلك عندما يتجمع أصحاب المراكز المختلفة فى معسكر واحد تحت غطاء هدف مشترك - وفى هذا الوضع هو تغيير نتنياهو - بدون دراسة متعمقة للأفكار الأيديولوجية .
إن رؤساء حزب الوسط وبالذات موردخاى يتفاخرون بطريق الوسط الذى ينتهجون ، والذى يمزج حسب زعمهم غير المتطرفين من اليمين ومن اليسار معا . ولكن بالذات هذا الامتزاج من الممكن أن يكون وبالا عليهم، حيث أننا لسنا بصدد الحديث هنا عن حزب وسط آلى ذو أفكار ومواقف سياسية واقتصادية - اجتماعية واضحة للوسط السياسى مثلما على سبيل المثال للحزب الليبرالى فى الماضى، بل نحن بصدد تكتل بحاجة لمزيد من الوقت وبين افراده فجوات فى الآراء فى الموضوعات الجوهرية، فجوات مازالت كبيرة

وخطيرة . وعلى سبيل المثال تلك الفجوة فى المجال السياسى بين مريدور، وماجين وزيندبرج من ناحيـة، وبين شاحاك، وميروم وزفيللى من ناحية أخرى. أو فى المجال الاقتصادى - الاجتماعى بين آخر إثنين ومعهم موردخاى وبين مريدور وميك.

إن اسحاق موردخاى حسب استطلاعات الرأى يحظى بحوالى ٢٠ فى المائة، فى حين أن الحزب يحظى بأقل من ذلك بكثير . وإذا كان الوسط يرغب فى أن يكون قوة جدية فعليه أن يعمل فى أسرع وقت من أجل الحزب كذلك ، وليس فقط لرئيس الحزب.

مقياس شهر فبراير للسلام

هآرتس
٢ / ٣ / ١٩٩٩
افرايم يعر

تركز مقياس السلام الذي أجرى خلال شهر فبراير الماضي على موضوعين متباينين ، فكان الموضوع الأول داخليا إذ تعلق بتزايد حدة التوتر بين المتدينين والعلمانيين عقب تلك المظاهرة التي نظمها المتشددون دينيا ضد المحكمة العليا .أما الموضوع الثاني فقد كان خارجيا إذ كان متعلقا بموقف الشارع الإسرائيلي إزاء معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بعد مضى مايقرب من عشرين عاما على توقيعها .ويرى من قاموا بإعداد مشروع مقياس السلام أنه توجد ثمة علاقة قوية بين طرق التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية .وعلاوة على هذا فيفترض هذا البحث أن مستوى الوحدة الداخلية يؤثر على قدرة الدولة على مواجهة القضايا الخارجية .

وعلى الصعيد الداخلي فيرى ٦٢٪ من الجمهور الإسرائيلي أن الخطر الحقيقي الذي يتربص بالمجتمع الإسرائيلي يتمثل في ذلك الصراع القائم بين المتدينين والعلمانيين ، ومن الوارد أن تكون نسبة من يتبنون هذا التصور قد ارتفعت على هذا النحو بعد تلك المظاهرة التي نظمها المتشددون دينيا احتجاجا على بعض قرارات المحكمة العليا .وفي المقابل فيرى ١٨٪ من الجمهور أن الخلاف الذي يشهده المجتمع بين اليسار واليمين هو الذي يهدد المجتمع .أما الصراع الطائفي بين الاشكناز والسفارديم فقد رأى ٦٪ فقط من الجمهور أنه يعد بمثابة التهديد الحقيقي الذي يواجهه المجتمع الإسرائيلي .

وقد اتضح أن هناك إجماعا في أوساط كل فئات وشرائح المجتمع بشأن سلم التهديدات ، ولم يختلف الأمر كثيرا عند تصنيف من أجابوا على التساؤلات التي وجهت إليهم على ضوء مدى تدينهم ، ومع هذا فليس من الممكن أن نتجاهل أن ٦٩٪ ممن رأوا أنهم ينتمون إلى العلمانيين أكدوا أن الخلاف بين المتدينين والعلمانيين يعد بمثابة التهديد الحقيقي في حين أن ٥٨٪ من المتدينين و ٥٦٪ من التقليديين و ٥٤٪ من المتشددين دينيا رأوا أن هذا الخلاف يعد بمثابة التهديد الأكثر أهمية .

وعند تصنيف من شملهم الاستطلاع على مدى تدينهم فقد اتضح أنه توجد فروق ضخمة فيما بينهم بشأن تأثير القوى الدينية، فقد رأى ٨٨٪ من العلمانيين أن تأثير القوى الدينية أكثر مما ينبغي ، وتبنى ٧٠٪ من التقليديين ذات التصور .وفي المقابل فقد رأى ٤١٪من المتدينين أن تأثير هذه القوى يعد طبيعيا، غير أن ٣٣٪ منهم رأوا أن هذا التأثير يكاد يكون هزيلا .أما المتشددون دينيا فقد رأى ٣٥٪ منهم أن تأثير القوى الدينية لا يتجاوز الحدود اللازمة في حين أن ٣٠٪ منهم رأوا أن هذا التأثير محدود للغاية .ومع هذا فلم ير سوى ٢٦٪ من المتدينين و ٢٤٪ من المتشددين دينيا أن هذا التأثير يعد ضخما للغاية .

وكان من بين الأسئلة التي شملها الاستطلاع "ما مدى صدق الادعاءات التي رددها المتشددون دينيا ضد المحكمة العليا ؟ . "وعند تحليل الإجابات فقد اتضح أن مواقف العلمانيين والتقليديين كانت متشابهة للغاية فقد رأى ٨٩٪ من العلمانيين و ٧٨٪ من التقليديين أن تلك المزاعم والادعاءات التي طرحها المتشددون دينيا لم يكن لها أي أساس من الصحة .وفي المقابل فقد شاركهم هذا الرأي ٤٠٪ ممن وصفوا أنفسهم كمتدينين .أما سائر المتدينين فقد رأوا أن هذه الادعاءات صادقة ، كذلك المتشددون دينيا فقد رأوا جميعهم أن هذه الادعاءات صادقة .

وعند تقسيم هذه الإجابات على ضوء اتجاهات التصويت لدى من شملهم الاستطلاع في انتخابات الكنيست التي جرت في عام ١٩٩٦ ، فقد اتضح أن ٩٣٪ممن صوتوا لحزب العمل ، و ٩٠٪ ممن صوتوا لحزب ميرتس ، و٧٧٪ ممن صوتوا لحزب الليكود يرفضون إدعاءات المتشددين دينيا في حين أن ٣٨٪ ممن صوتوا لحزبى شاس والمفدال يرفضون هذه الادعاءات ، ومع هذا فيرى ٤٩٪ ممن صوتوا لشاس ، و٥٨٪ممن صوتوا للمفدال أن هذه الادعاءات صادقة .ولم يكن لسائر من شملهم الاستطلاع رأى محدد .وتعني هذه الأرقام وعلى نحو يدعو للدهشة أن نسبة مؤيدي شاس لهذه الادعاءات أقل من نظيرتها في أوساط مؤيدي حزب المفدال .

أما الموضوع الثاني الذي شمله الاستطلاع فقد تعلق

بموقف الشارع الإسرائيلي تجاه معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عقب مضي عشرين عاما على توقيعها ، تلك المعاهدة التي أحدثت تحولا أدى إلى كسر دائرة الكراهية العربية لإسرائيل .وشمل الاستطلاع الأسئلة التالية: كيف يقيم الجمهور الإسرائيلي طبيعة العلاقات بين البلدين ، وهل يرى الجمهور أن الثمن الذي سددته إسرائيل في مقابل السلام مع مصر أثر بالسلب أم بالإيجاب على المواقف التي يتعين على إسرائيل اتخاذها في مسيرة السلام الحالية ؟ .

وقد اتضح من خلال الاستطلاع أنه بالرغم من أنه قد خيمت عبر العشرين عاما الماضية حالة من الهدوء المطلق على الحدود المصرية الإسرائيلية فإن الشارع الإسرائيلي لا يرى أن هذا الهدوء يعد دليلا على الوفاق .وقد وجهنا إلى الجمهور السؤال التالي :سيمر عما قريب عشرون عاما على التوقيع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فكيف ترى مصر ؟ (وقد قسمنا الإجابات على ضوء سلم مكون من خمس درجات فكانت الدرجة الأولى تشير إلى العدو في حين أن الدرجة الخامسة كانت تشير إلى الحليفة) وعند تحليل الإجابات فقد اتضح أن ٤٧٪ ممن أجابوا على السؤال وضعوا مصر في مكانة متوسطة من السلم إذ أعطوها رقم ثلاثة .وفي المقابل فقد رأى ٢٥٪ منهم أنها تنتمي إلى الطرف المعادي (بل ورأى ٨٪ أنها دولة معادية) غير أن ٢٤٪منهم رأوا أنها تنتمي إلى الدول الصديقة (بل ورأى ٥٪ منهم أنها حليفة). ويتمثل الاعتقاد السائد حاليا في أن السلام السائد مع مصر يعد سلاما باردا .

وقد كشف الاستفسار عن الموقف تجاه مصر عن وجود فروق واضحة بين الرجال والنساء، فبينما يرى ٤٨٪ من النساء و ٤٦٪ من الرجال أن مصر تحتل مكانة وسطى في السلم سالف الذكر فقد رأى ٣١٪ من الرجال أن مصر تعد دولة معادية، في حين أن هذه النسبة في أوساط النساء لم تتعد ٢٠٪ وكشف الاستطلاع أيضا أنه بينما يرى ٢٢٪ من الرجال أن مصر تعد دولة صديقة فإن هذا الرأي يحظى بقبول ٢٨٪ من النساء .وتفيد هذه الأرقام أن النساء ترين أكثر من الرجال أن عدم نشوب الحرب مع مصر يعد عنصرا أساسيا عند تقييمهن لمدى عداء الطرف الآخر .

وتتباين المواقف إزاء موقف مصر تجاه إسرائيل في أوساط من صوتوا لنتنياهو وبيريز في انتخابات الكنيست التي جرت في عام ١٩٩٦ .وبالرغم من أن مصوتي حزبي الليكود والعمل وضعوا مصر في مكانة وسط في السلم آنف الذكر إلا أنه بينما يرى ٣٦٪ ممن صوتوا لنتنياهو أن مصر دولة معادية فقد تبنى هذا الرأي ١٥٪ ممن صوتوا لحزب العمل .وفي المقابل فبينما يرى ٣٠٪ ممن صوتوا لبيريز أن مصر تعد دولة صديقة فقد شاركهم هذا الرأي ١٩٪ ممن صوتوا لنتنياهو.

وقد تطرق الاستطلاع أيضا إلى قضية ما إذا كانت توجد ثمة علاقة بين رؤية الجمهور للعلاقات مع مصر وبين رؤيته لفرص تحقيق السلام مع العرب في المستقبل القريب فاتضح أن ٢٩٪ ممن يرون أن مصر دولة معادية يؤمنون بإمكانية تحقيق السلام ، وفي المقابل فيؤمن ٥٠٪ ممن يرون أن مصر تعد حليفا حقيقيا بفرص تحقيق السلام .وتفيد هذه النسب أن تفهم تجارب الماضي يساعد على استشراف المستقبل.

وكان من بين النتائج التي توصل إليها هذا الاستطلاع أن الجمهور الإسرائيلي منقسم على ذاته بشأن ذلك الادعاء الذي تردده مصر والذي مفاده أنه من الممكن أن يضحي هذا السلام دافئا عند التوصل إلى حل للنزاع مع الفلسطينيين ، فأظهر الاستطلاع أن ٥١٪ من الجمهور يؤمن بمصداقية هذا الادعاء في حين أن ٤٧٪ من الجمهور أعرب عن عدم ثقته به .وكانت توجد في هذا المجال فروق واضحة بين من صوتوا لنتنياهو وبيريز في الانتخابات السابقة إذ أعرب ٣٣٪ ممن صوتوا لنتنياهو عن إيمانهم بمصداقية هذا الادعاء في حين أن هذا الادعاء حظى بقبول ٦٩٪ ممن صوتوا لبيريز .

وعند تقييم هذه المواقف من منظور تاريخي نجد أن معظم الشعب يرى أن مصر لا تعد دولة معادية ، ويعد هذا الوضع على قدر كبير من الأهمية خاصة أن مصر أعربت أكثر من مرة حتى بعد توقيعها على معاهدة السلام عن تأييدها علانية لمواقف بعض الجهات المعادية .ويتمثل التصور السائد حاليا في أن الإسرائيليين يتبنون موقفا إيجابيا تجاه مصر حتى ولو كان يشوبه بعض التحفظ .

ويعد خير دليل على هذا الأمر أن ٧١٪ ممن شملتهم عينة الاستطلاع يرون أن التنازلات التي قدمتها إسرائيل في سيناء والقطاع كانت مبررة ، وفي المقابل فيرى ٢٤٪ منهم أن الثمن الذي قدم في مقابل السلام كان باهظا .

وعند سؤال من شملهم الاستطلاع عما إذا كانوا مستعدين على ضوء ما حدث مع مصر لتقبل فكرة الانسحاب من الجولان فقد أعرب ١٠٪عن استعدادهم لتقبل فكرة الانسحاب الشامل في حين أن ٤٩٪ من الجمهور تقبلوا فكرة الانسحاب الجزئي .وفي المقابل فقد رفض ١٠٪ فكرة الانسحاب مقابل السلام .وأعرب ٢٧٪ عن رفضهم الانسحاب من الجولان .

وخلاصة الأمر أن معظم الإسرائيليين يرون أن اتفاق لسلام مع مصر غير كاف ، غير أنهم يرون أنه من الممكن وعلى ضوء هذا الاتفاق إجراء المفاوضات وتقديم التنازلات .

(*) بلغت نقاط مقياس السلام العام خلال هذا الشهر ٦٥,٧ نقطة ، وبلغت نقاط مقياس أوسلو ٥٢,٨ نقطة، وبلغت نقاط مقياس سوريا ٤٣,٩ .

٦٠٪ من الاسرائيليين يؤمنون بأن الفلسطينيين جادون فى تطلعهم للسلام.

جريدة معاريف
١٩٩٩/٣/١٧

يؤمن ٦٠٪ من الجمهور اليهودى فى اسرائيل بصدق نوايا السلطة الفلسطينية للسلام. جاء ذلك فى استطلاع رأى اسرائيلى - فلسطينى.

وهذا يعنى زيادة مقدارها ٨٪ مقارنة باستطلاع سابق للرأى أجرى منذ سنتين فى اوساط الجمهور اليهودي الاسرائيلى . وقد أجرى استطلاع الرأى وعرضه البروفيسور افرايم يعر والدكتورة تمار هرمان من مركز تامى شتينمتس بجامعة تل البيب وغسان الخطيب ومنال ورد من مركز الاتصال بالقدس .

فقد اظهر الاستطلاع ان ٦٠٪ ممن الاسرائيليين يعتقدون ان السلطة الفلسطينية صادقة فى نيتها للتوصل الى السلام، بينما ٨٨٪ من الفلسطينيين يعتقد ان الحكومة الاسرائيلية غير صادقة فى نواياها تجاه السلام. ويعتقد ٨٥٪ من مواطنى اسرائيل العرب ان السلطة الفلسطينية صادقة فى جهودها للتوصل الى السلام .

كذلك يتضح من استطلاع الرأى ان ٤٥٪ من الاسرائيليين يلقون بمسئولية الجمود السياسى على الطرفين ، ويرى ٢٥٪ ان الجانب الاسرائيلى هو المذنب ، بينما يرى ٢٣٪ ان الفلسطينيين هم المذنبون . فى المقابل يلقى ٧٠٪ من الفلسطينيين بالمسئولية على الجانب الاسرائيلى و٨٪ فقط يرون ان جانبهم هو المتهم بالجمود.

بينما يعارض ٧٠٪ من الاسرائيليين ان تصبح القدس عاصمة لفلسطين. فى المقابل ، يعارض ٩٠٪ من الفلسطينيين ان تظل القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل .

القوى هو من يكون قويا فى النهاية

محلق جريدة هآرتس
١٧ / ٢ / ١٩٩٩
بقلم : عقيبا الدار

الليكود ، كما هو متوقع يلصق بالقائمة الجديدة لحزب العمل عنوان "اليساريون" . وفى الأحاديث الشخصية يعترف نتنياهو بأن الالتزام "اليسارى" بتنفيذ إتفاقية أوسلو هو الذى منحه السلطة . وإن الثلاثة أو أربعة آلاف منحوسين (منكودى الطالع) الذين آمنوا بأن نتنياهو سوف يصنع سلاما آمنا أكثر ، هم الذين رجحوا كفته ونصروه على شيمون بيريز فى مايو ١٩٩٦. ورئيس الوزراء يعرف أنه إذا لم يفعل شيئا ما حاسما لكى يعيد إيمانهم وثقتهم به ، فإنهم سوف يكونوا هم الذين سيلحقون به فى مايو أو يونيو ١٩٩٩ السقوط أمام إيهود باراك أو اسحاق موردخاى .

وليس كل المقترعين لليكود يسيرون كالعميان . ففى حواشى الطائفة التى تغطى الأصوات ، والتى يزيد الإعلام من صوتها أكثر وأكثر يطفو معسكر ليس صغيرا والذى فى إمكانه ان يعيد الليكود الي صفوف المعارضة . وقد فعلوا ذلك فى الماضى . أن الخط الأحمر لهذا الجمود ليس مرتبطا بالذات بالخط الأخضر .

إن اولئك الناس ينتمون للغالبية العظمى التى تدرك أن أوسلو قد حولت شبح الدولة الفلسطينية الى جدال حول النسب . ومن ناحية أخرى فإن وضع الاحتلال لا يزعجهم لذلك الحد الذى يتطوعون فيه بتسليم مناطق اضافية لياسر عرفات. ولكنهم يتفهمون حدود قوة اسرائيل . فعندهم نتنياهو يستطيع أن يكون قويا كالوحش ، ولكن يجب أن يصل الى البيت الأبيض وللكابيتول ودول ستريت.

لا يعلم أحد أكثر من نتنياهو لماذا خسر إسحاق شامير السلطة أمام إسحاق رابين عام ١٩٩٢ . وكما لم يعاقب قبل ذلك بخمس سنوات قبيل إندلاع الانتفاضة عن رفضه التوقيع مع الملك حسين على اتفاقية لندن ، فإن شامير لم يدفع ثمنا سياسيا عن هدم مسيرة مدريد. إنه دفع ذلك الثمن بسبب أن بعض المستشارين اقنعوه بأن يحول الطلب الامريكى بالاختيار بين تجميد المستوطنات أو تجميد الضمانات (لاستيعاب المهاجرين من الاتحاد السوفيتى السابق) الى أزمة واضحة بين رئيس وزراء اسرائيل ورئيس الولايات المتحدة الامريكية، فأرسل شامير الف زعيم يهودي لتحريض الكونجرس على جورج بوش وكلاهما خرج للتقاعد .

ان بيل كلينتون اكثر شعبية بمراحل من بوش ايضا فى داخل اسرائيل . ولم يكن ليحتاج لجولة ثانية للانتصار على

نتنياهو فى انتخابات لرئاسة الحكومة . وبعد أن أزال المطاردة المزعجة لتحيته الشخصية، فإن الرئيس الامريكى متفرغا للعمل والاهتمام بتغيير السلطة فى اسرائيل . وفى الادارة الامريكية لا يجتهدون لاخفاء الفزغ والخوف من امكانية ان نتنياهو أو سياسته يظلون فى الحكم بعد الأول من يونيو . إن البيت الابيض لم يترك مجالا للشك فى قلب ياسر عرفات فيما يتعلق بعلاقاته مع الولايات المتحدة الامريكية اذا ما أتاح لنتنياهو أن يستمر فى الحكم بواسطة الاعلان عن دولة فلسطينية فى الرابع من مايو . ومن طرف آخر فإن الامريكيين وعدوا عرفات بأنه اذا تحلى بالصبر ، فإن كلينتون سوف يؤكد على أن رئيس الحكومة القادمة عليه ان يدرك أنه حتى عام ٢٠٠٠ - عام الانتخابات للرئاسة - فإن على اسرائيل ان تفى بالتزاماتها فى اتفاقيات أوسلو وواى كاملين.

إن كلينتون لن يتدخل فى المعركة الانتخابية . إنه مخضرم فى السياسة للدرجة التى لا تجعله يلعب بين أيدى نتنياهو . ولكن أين "مكتوب" أنه يجب أن يتحدث مع رئيس الحكومة وأنه محظور عليه أن يعانق عرفات ؟
إن حفلات الاستقبال التى تنظمها واشنطن لعرفات ولكبار السلطة الى جانب ابتعاد الرئيس ووزرائه المسئولين عن نتنياهو ، هى بمثابة اشارة لناخبى اسرائيل العائمين ليعرفوا ماهو متوقع من زعيم قوى يخرق التزاماته امام زعيم أقوى، ورئيس الحكومة يدرك أن الـ ٣٠ - ٤٠ ألف شخص من الناخبين الذين أيدوه عام ١٩٩٦ سوف يفهموا تلك الاشارة لكى يرسلوه الى الطريق الذى أرسل اليه جورج بوش شامير.
إن كلينتون يخيف أكثر بكثير من بينى بيجين . وتلك حقيقة.

بن عامى للسلطة : مازال هناك وقتا لانقاذنا من أربع سنوات أخرى تحت سلطة نتنياهو

الملحق السياسى لجريدة معاريف
٢٣ / ٢ / ١٩٩٩
بقلم : مائير بلايخ

حوالى ١٦٠٠٠ صوت حسموا انتخابات عام ١٩٩٦. وكانت إحدى العلامات البارزة التى أدت الى انتصار بنيامين نتنياهو على شيمون بيريز هى المناظرة التليفزيونية بينهم ، والتى انتصر فيها بيبى بالضربة القاضية . ويبدو أنه فى المعركة الحالية والتى تدور كلها على الشاشات ، يجمع رئيس الحكومة الحالى النقاط امام ايهود باراك يوما بعد يوم ، حتى أن المعركة الحاسمة ستكون بدون لزوم. إن الاستطلاعات تشير الى أن زعيم حزب العمل سوف ينهزم بأيدى نتنياهو فى الجولة الثانية، وسيتيح لرئيس الحكومة الحالى الاستمرار ليقود دولة اسرائيل الى حرب لا يمكن منعها على الساحة الاقليمية والى تمزقات يصعب معالجتها على الساحة الداخلية لأن نتنياهو لا يعرف غير ذلك .
إن باراك وحزب العمل غير مستعدين لنقل القيادة الى حزب الوسط ، ولكن فى نفس الوقت وبنفس القدر هم يريدون رؤية نتنياهو فى الخارج . إن السبيل الممكن لعمل ذلك امام حزب العمل هو تقديم مرشح اكثر جاذبية ، يحصد أصوات اولئك المستعدين للاقتراع لصالح موردخاى ولكنهم غير مستعدين لالقاء بطاقات الانتخاب التى تحمل إسم باراك .
ان الرجل الذى يستطيع أن يقود الانقلاب هو "شلومو بن عامى" والذى حظى بثقة كاملة لمائة الف من ناخبى الانتخابات التمهيدية لحزب العمل . أنه صاحب خبرة اكاديمية وديبلوماسية . ولديه مواقف واضحة فى مجالات السلام والاقتصاد ، وقد عبر عنها فى كتابه الرائع "مكان للجميع". إنه إجتماعى، وهو مقبول لدى الاقلية العربية، وهو يحترم التقاليد ، كما أنه لا يثير مشاعر العداء فى اوساط ناخبى الليكود التقليديين . أولئك هم الناخبون الذين سيحسمون الميزان ، والذين سيحددون هل سيكتب علينا أربع سنوات نتنياهو أخرى .
إن باراك يحاول خلق حزب عمل جديد ولكن الناخبين الذين يحتاجهم يرون فيه ممثل المعراخ المكروه . وكذلك فإن قائمة اسرائيل واحدة مع ما فيها من شخصيات مثل دافيد ليفى وحيانى ، لن تجلب له الاصوات الاضافية بالمدى المطلوب. ولو كان باراك يعلم بشكل قاطع أنه سيفشل فى مواجهة نتنياهو لقام بخطوة تغير وجه الأمور، ولكن التأكيد بالنسبة للنتيجة يمكن فقط بعد الانتخابات وفى ذلك الوقت محظور أخذ المخاطرة . وكانوا قد وقعوا فى مشكلة مماثلة بحزب الوسط ولكن كان الحسم سريعا ، أمنون شاحاك أخلى مكانه لإسحاق موردخاى . ويبقى ٨٦ يوما حتى الانتخابات ومازال هناك وقتا كافيا حتى يفحص نظام حزب العمل امكانية التغيير فى القيادة بواسطة الاستطلاعات . فإذا اتضح بالفعل ان بن عامى من الممكن أن يجلب النصر ، يجب عندئذ اعطاؤه الفرصة لقيادة الصراع ضد نتنياهو ، وبعد الانتصار يستطيع باراك أن يساهم بكفاءاته .
واذا ما طالعنا شخص قائلا أن بن عامى ليس لديه خبرة فى معارك السلطة ، فإن مستشارى باراك مدعوون للتطلع ولدراسة نموذج "تونى بلير" حتى يعملوا أن رئيس الوزراء الناجح لبريطانيا يقوم بذلك دون أن يكون رئيس هيئة أركان أو وزير خارجية قبل الانتخابات.

دولتان لشعبين

الملحق الاسبوعى لجريدة هآرتس
١٩ / ٢ / ١٩٩٩
بقلم : أريبه كاسبى

استنتاج واحد بارز من المظاهرة الضخمة يوم الأحد وهى أن المعسكر الدينى الحريدى فى طريقه للخسارة الفادحة
فى إنتخابات عام ١٩٩٦ انتهى على الورق فقط عصر الابتزاز الدينى فى اسرائيل ، فبعد المفدال انتقلت ايضا الغالبية العظمى من الجمهور الحريدى (المتدين جدا) الى الطرف اليمينى للخريطة السياسية . وبذلك فقدت الاحزاب الدينية قوة المساومة السياسية، فالتوجه التام لحزب المفدال (الحزب الدينى القومى) وللحريديم نحو اليمين أدى الى موقف أصبحت فيه لا توجد لحزب العمل أية فرصة أو إحتمال للحصول منهم على دعم ذى مغزى، بل وحتى لحزب الليكود لا توجد مصلحة لبذل الجهد من أجلهم ، وذلك لأنهم بطبيعة الأمر متواجدون فى حوزته .
لقد كان الإقتراع المكثف للحريديم من أجل ايهود أولمرت فى انتخابات بلدية القدس فى عام ١٩٩٣ بمثابة الاشارة الأولى للتغيير الذى مر بهم . ولكن ضعف وتقلب شخصية نتنياهو قامت بالتغطية على تلك الظاهرة ، فإن نتنياهو استسلم وخضع للمتدينين منذ يومه الأول فى الحكم ، على الرغم من أن الأحزاب الدينية لم تكن لديها خيار بديل ولم تكن قوة ابتزاز .
ولكن التأييد الحريدى لليمين لم يعد بعد موضوع لحظة. أنه ليس ممارسة جنسية سريعة مقابل دفع من النوع الذى كنا معتادين عليه فى الماضى. ولكنه ذروة تحالف تاريخى . فالتحالف الدينى مع اليمين ليس تلاعبا مع أريبه درعى ولا من أى زعيم آخر . لقد أصبح جزء جوهريا من وجهة نظر كل الاحزاب الدينية.
فى حزب العمل يفهم الكثيرون أنه لا توجد فرصة عندهم للحصول على أصوات المتدينين . فهى فى مخزن نتنياهو .
وإيهود باراك تفهم أنه لم يعد ممكنا الآن شراء الحريديم بترخيص للبنك ، أو بميزانية للمدارس الدينية، ولكنه مثلما فى مجالات أخرى لم تكن لديه الشجاعة للمضى حتى النهاية . ولذلك فإنه يدير معركة انتخابية غريبة للغاية. فالدينيين بفرعيهم الحريدى والمفدال بمثابة جبهة الشيطان لحزب العمل. ولكن باراك يخشى أن ينادى المولود بإسمه . إنها دعاية انتخابية مع رموز وتلميحات . فحسب نهج باراك ممنوع الاقتراع لنتنياهو لأنه خضع "للمتطرفين" والناخبون يفهمون ماذا ومن يقصد.
وحتى لا يبدو باراك كارها للمتدينين ، فإنه يغازل الحركة الدينية " ميماد" وحركة ميماد تمثل يهودية أخرى من تلك التى اعتدنا عليها ، ولكن أشخاصها هم أقلية ليس لهم ثقل فى المجتمع الدينى . ففى عام ١٩٨٨ إشتركت الحركة فى إنتخابات الكنيست ولكنها لم تنجح فى اجتياز نسبة الاصوات المطلوبة.
إن شراكة باراك لحركة ميماد هو أمر لطيف ، ولكن ينقصه قيمة تصويتية . فالحاخام عميكال كان وزيرا ايضا فى حكومة شيمون بيريز . وقد أفاد بيريز فى الانتخابات وكأنه مسئول الطائفة الحريدية ، أما الحاخام موشيه هيرتش ، فإنه مفيد لعرفات .
وبأسلوب التعمية والغموض ، باراك يخسر مجموعة كبيرة للغاية من الناخبين . فالنضال الواضح والذى لا يقبل الشك ضد المتدينين هو الوسيلة الوحيدة التى بواسطتها يستطيع حزب العمل التغلب على تميز الليكود لدى المهاجرين الروس.

فشلوا فى الاختبار :

لقد كانت مظاهرات بداية الاسبوع بمثابة اختبار التيرم الأول للزعامة العلمانية . ولكن باراك وكذلك موردخاى تهربا من الامتحان . وبالنسبة لموردخاى الذى قبَّل بالفعل ذقن النبى (الحاخام) لم يكن هناك توقعات كثيرة من ورائه . ولكن ايهود باراك فى حاجة للجماعة الدينية للكفارة (الاعلامية). انه لن يتلقى لديهم فى الانتخابات ولا حتى عشر النسبة المئوية ، حتى لو وضع طاقية سوداء (كيباه) فى الثلاثة أشهر القادمة . إن الزعماء الذين ليس لديهم الشجاعة للتعبير بشكل واضح فى ما يتعلق بأحد الموضوعين الاساسيين الذين يمزقان المجتمع الاسرائيلى ، يثيرون الشكوك لدى الناخبين فى قدرتهم على إتخاذ القرارات الصعبة.
إن هناك مواقف حاسمة لا يمكن الوصول اليها بدون نضال ، وذلك ينطبق على علاقات الشعوب، وعلاقات العمل وكذلك فى الصراع الحضارى . وأكثر من مرة بعد انتهاء نزاع يهز الدولة، تجد من يزعم بأنه كان من الممكن الوصول لنفس الاتفاق بدون الحاجة لاضراب . إن هذا خطأ . إن النزاع يتفجر لأن واحد من الاطراف على الأقل لا يقدر المواجهة تقديرا صحيحا حسب قوته. وفى معظم الأحيان فإن الطرفين يخطئان فى تقدير قوتهم. إن المعارك ، الاضرابات والصراعات هى قياس للقوة .
وعلى مدى سنوات طويلة تهرب العلمانيون من المواجهة الميدانية مع المجتمع الدينى . فقد توصلنا لحلول وسط حول موضوع السبت، حول الزواج والطلاق ، حول الدفن والخدمة فى الجيش ، حول تمويل المدارس الدينية والبرامج التعليمية للتعليم الحكومى .

من "عموئيل كانت" هذا ؟

على مدى أعوام كثيرة كان ضعف الطاقة العلمانية هو السلاح الرئيس للمتدينين . ومنذ عام ١٩٧٧ تم تسخير الجهاز التعليمي للمؤسسة الدينية . وقد سئل ذات مرة اليعازر شموئيلي والذى عمل لسنوات طويلة مديرا لوزارة التربية والتعليم ، لماذا لم يمنح القانون للتعليم الحكومى نفس المكانة المستقلة التى يتمتع بها التعليم الحكومى الدينى والتعليم الحريدى (الدينى المتشدد) ، وقد اوضح أن رؤساء الدولة فى الخمسينات لم يتطرق لفكرهم أن وزارة التعليم سيتم وضعها فى أيدى وزير دينى . لقد كانت الأطر المستقلة للتعليم الدينى حينذاك معدة وتستهدف الدفاع عن الأقلية الضعيفة .

إن نظام التعليم الاسرائيلى الغى ومحا جزءاً كبيرا من الثقافة العامة. إن خريج المدرسة الثانوية الاسرائيلى لم يفتح فى حياته القرآن ، ولا العهد الجديد . وليس لديه أى معرفة ولو ضئيلة بديانات الشرق، والأخطر من كل ذلك هو أنه لا يعرف أى شى عن وجود معظم المفكرين الذين شكلوا المجتمع العلمانى المعاصر الذى ينتمى اليه .

إن النص السياسى الوحيد الذى تم تدريسه ذات مرة فى النظام التعليمى كان "مرافعة" لأفلاطون وحتى ذلك النص خارج المناهج منذ عدة سنوات. ان تاريخ العصر الحديث ألغى على مدى أعوام من المناهج التعليمية. وفى معظم المدارس يحظى التلاميذ بثلاث ساعات اسبوعيا لدراسة التاريخ اليهودى والعام . وجزء من المدارس الثانوية تم اغراؤها بمقابل مادى وذلك لإدخال برنامج "تلى" والذى أساسه التخلى عن ساعات التاريخ فى مقابل تعاليم صفحة من الجمارا .

لقد نما لدينا أجيال من المواطنين البالغين والذين لا يفهمون الأساس الخاص بقيم العالم العلمانى ، والذين ينتمون اليه اليوم. فالتلميذ الدينى يعرف اقتباس أقوال رامبام (رب موسى بن ميمون)، أما التلميذ العلمانى فلم يسمع حتى عن "عموئيل كانت" إن ضعف المعرفة العلمانية خلقت نوعا من النفوذ فى المفاهيم لشلة الدراويش الحريدية .

إن العلمانيين يطأطئون رؤوسهم فى مواجهة الدعاية الدينية إنها قيم لغياب الفكر المستقل ، وكراهية الغير ، ومعارضة لمسيرة الديمقراطية ، ولحرية الفرد ، ولحرية الكلام ، ومن أجل استعباد النساء ، ومن اجل استعباد روحانى للزعماء الدينيين ، ومن اجل جهل تحول لنوع من الكيان الروحانى .

رئيس هيئة الاركان الحريدى الأول:

لا توجد فائدة ولا طائل من النقاش الموضوعى مع الاحزاب الدينية . إن النقاش والجدال معهم ليس موضوعيا . فمن ورأى أى مبرر والذى يبدو وكأنه موضوعى ، تختفى وجهة نظر أصلية قوامها القوة والاحتقار الكامل للمجتمع الديمقراطى ، فالعديد من العلمانيين الخانعين سقطوا فى السلة الحريدية خلال النقاش حول مفهوم "كل شئ قابل للحكم" .

إن موقف باراك بأن كل شئ قابل للحكم (التحكيم) ليس إلا وضعا للواقع . فكل موضوع عليه مواجهة وصدام بين أفراد أو بين أفراد ومجتمع وسلطة، هو فى جوهره قابل للتحكيم. ألا يوجد فى النهاية من يحسم النزاع. فعندما لا تحسم المحكمة الأمر فإن شخصا ما آخر يحسمه : السياسيون ، ضباط الجيش أو محكمة العالم السفلى، فالجدال ليس هو : هل كل شئ قابل للتحكيم، بل من سيكون القاضى.

فعندما يقول الحريديم أن "ليس كل شئ قابلا للتحكيم" فهم يقصدون أنه بدلا من أن تحسم المحكمة الامور حسب قوانين الكنيست فإن من سيحكم فى الأمر حاخاماتهم ومن يتولون شئونهم .

وكذلك ايضا الزعم المشكوك فيه ضد "الصفوة القضائية" والمطالبة بتمثيل حريدى فى المحكمة العليا ، والتى حظيت ايضا ببعض المتعاطفين العلمانيين. فالحريديم يحظون بتمثيل فى المحكمة العليا ، مثلما يحظون بممثلين فى هيئة الاركان العامة للجيش ، أو فى طاقم الاساتذة لمعهد فايتسمان . فعندما ينتهى الحريديم من الدراسة فى كليات الحقوق، سيسيطرون على قوانين دولة إسرائيل مثلما يفعل قضاة المحكمة العليا ، وسوف يكون بالطبع ايضا قضاة حريديم فى المحكمة العليا . وحتى ذلك الحين عليهم البحث عن رزق آخر.

أمر تجنيد :

إن المتدينين اعلنوا حربا على "الميثاق الاجتماعى" الخاص بنا. وهو مصطلح هناك شك اذا كان الحاخام عوفاديا يوسف أو مناحم بروش قد سمعا عنه فى حياتهما. إن أيام نتنياهو الأخيرة تسرع من المسيرة التى كانت تحدث من تلقاء نفسها ، فالدولة التى تحت حكمه تتصرف مثل الليكود الذى تحت حكمه : تفكك وحرب الكل فى الكل. إن مظاهرة يوم الأحد تخلق واقعا سياسيا آخر. إن الحريديم لا يسمحون لنا للتهرب من الحرب . إنها حربا حاول معظم العلمانيين منعها على مدى سنوات عديدة . إن ميزان القوى الحالى لا يتيح حل وسط . إن التسامح العلمانى يخلق لدى فرعىّ المجتمع الدينى أوهام قوة لا تتيح التفهم. فلا يوجد حوار بيننا وبينهم وكذلك لن يكون . فنحن نتحدث بلغة أخرى.

فى تلك الحرب سوف يخسر الحريديم لأنهم أقلية وسيظلون كذلك ايضا فى المستقبل . فعلى النقيض من الإنطباع الذى تولد وبرز من المظاهرة الضخمة هذا الاسبوع ، فلا توجد تغييرات جوهرية فى نسبة السكان المتدينين فى اسرائيل على مدى الخمسين عاما منذ قيام الدولة. وأن نمو شاس جاء أساسا على حساب حزب المفدال وانتقال ناخبين اصوليين من حزب الليكود. إن صراعا علنيا وميدانيا أمام المجتمع العلمانى ، ليس له أى فرصة للنجاح.

ويثار الانطباع بأن جزءا من الحريديم يتم تحريكهم بواسطة شهوة الانتحار السياسى. فلدى العديد منهم توجد ضرورة نفسية عميقة فى اداء مهمته الصحية. وأن المقارنة التى

تتكرر وتعود على نفسها مع مأساة النازى وتشبيه العلمانيين بالنازيين تبدو وكأنها تخدم هذه الحاجة. إن توازنا جديدا فى المجتمع الاسرائيلى سوف ينشأ فقط بعد أن يتم التعبير عن علاقات القوى الحقيقية بالتشريع وبالتسويات الحكومية التى تلغى التدخل الدينى فى العالم العلمانى. إن الانتخابات القريبة من المحتمل أن تكون نقطة التحول. ويجب الافتراض بأن المجتمع العلمانى سيكون منتصرا عقلانيا، وهو الأمر الذى يصعب أن تتوقعه من الجانب الدينى. إن الحل الوسط إن جاء، فهو محتمل من خلال موقف قوة علمانى.

ولو كان الحريديم مستعدين لقبول قواعد اللعبة الاساسية للمجتمع الاسرائيلى، لكانوا سيندهشون لاكتشاف أن مسائل عديدة تعتبر موضوعية، مثل مساعدة الضعاف ومساعدة الأسر ذوى الأبناء الكثيرة والذين لا يجدون مأوى، وحق الامتزاج فى المجتمع، فهى مسائل وموضوعات تحصل على تأييد اليسار، وأنه يوجد عدد غير قليل من رجال الدين فى الصحافة والذين سيساندون الصراع ضد العنصرية والتفرقة الحقيقية للحريديم.

هآرتس ٥ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم: نحميا شترسلر

باراك ضد بن عامى

حوار عن الاقتصاد مع ايهود باراك

اليوم، كل من لا يوصف بأنه "سياسى - اجتماعى" يفتقد الفرصة. فمن هو "الاجتماعى"؟ إنه من يعلن أنه سيهتم بالفقراء، وأنه سيعمل على رفع مستوى الطبقات الدنيا ويقلص من فجوات الدخل في الاقتصاد. وإزاء الصراع الدائر بين الليكود والعمل حول الرقعة الاجتماعية، سألت ايهود باراك: هل يرى فى نفسه ليبراليا اقتصاديا أم اشتراكيا، وهل هو من أنصار السوق الحرة أم يؤيد التدخل العميق من جانب الحكومة فى الاقتصاد.

فقد بدأ باراك كلامه بتمييز تاريخى وقال "هناك صيغتين اقتصاديتين تمت تجربتهما فى الغرب فى الجيل الأخير. الأولى هو دولة التكافل التى كانت سائدة فى أوربا، والثانية هي صيغة ميلتون فريرمان ومارجريت تاتشر.

وأنا أقول أن كلتا الصيغتين قد فشلتا. فقد فشلت دولة التكامل لأنها دخلت فى دائرة خارج السيطرة من النفقات من أجل إرضاء نهم الجماهير التى تطالب بالمزيد والمزيد من الخدمات والرفاهية، وبذلك فشلت هذه النظرية. من جانب آخر، فإن النظرية المتطرفة لتنفيذ أفكار ميلتون فريدمان والتاتشرية ،قد فشلت هى ايضا.

س - ولكن تاتشر عالجت الاقتصاد البريطانى الذى كان قبل عهدها بمثابة الطفل الأوربى المريض. فقد جعلت منه اقتصادا ناميا مع انخفاض حاد فى البطالة.

جـ - إننى لا أقول أنه لم يكن لسياسة تاتشر تأثير إصلاحى على الاقتصاد البريطانى، ولا أتجاهل قدرتها على التحكم فى مجالات (التدليل) التى كانت موجودة آنذاك، وفى النقابات العمالية، والدعم الحر جدا. كان يجب ان تظهر فى ذلك التوقيت، ولكن هذه السياسة وصلت الى النهاية لأن الثمن الاجتماعى الداخلى أصبح باهظا جدا، والآن أيضا الثمن الاجتماعى الداخلى في إسرائيل باهظا جدا).

وبالتالى فإن باراك يبحث عن طريق وسط ما بين اقتصاد السوق وبين الاشتراكية. إنه يقول إنه من كبار المؤمنين بالاقتصاد الحر، وهو يؤمن أيضا بالخصخصة والترشيد، ويقول "الخصخصة حيوية .. ليس من شك أن الملاك هم افضل من يديرون المؤسسات الانتاجية. المقصود هو خصخصة كل شئ باستثناء بعض الاحتكارات الطبيعية، مع الاهتمام بمصالح العمال" إنه يريد حكومة صغيرة تستثمر أساسا فى البنية الطبيعية، وفى الأبحاث والتطوير وتعمل على تقليص البيروقراطية.

ولكن يجب على الاقتصاد الحر أن يكون ذا حس اجتماعى، وعلى سبيل المثال يتكلم عن التعليم ويقول: "قرار حكومى بإنفاق شريحة كبيرة من الميزانية فى مجال التعليم، هذا قرار لا يعتبر بالضبط جزءا من اقتصاد السوق الحرة".

س - وهل يريد الليكود تحسين وضع التعليم؟

جـ - إن لى مع الليكود جدل آخر لأن هناك من قدم وعدا عند بيبى، وكل شئ عنده بفضل بيبى، وكله كلام ولا يوجد فعل، إنه يقدم الوعود فقط ولا يفعل شيئا. لقد وعد بالكثير فى مجال التعليم، ولكن لم ينفذ شيئا.

ويطرح باراك مثالا آخر للأداء الاقتصادى للحكومة، فهو يحكى عن زيارته للناصرة، هناك شاهد مصانع نسيج مغلقة وبطالة متزايدة من جانب وبناء فندق ماريوت الناصرة الذى يحتاج الى مئات من العاملين من ذوى الكفاءة الفندقية، من جانب ثان. ويضيف باراك "إننا نعلم منذ عدة سنوات، أنه بحلول عام ٢٠٠٠ سيكون هناك طلب سياحى متزايد فى الناصرة، ونعلم أيضا ان الفرصة أمام صناعة النسيج ضعيفة. لهذا فإن دور الحكومة هو ان تقوم

في الوقت المناسب بعملية مؤلمة بتحويل مهنة عمال النسيج الى عمال سياحة، وهذا مالم يحدث الى الآن ".
س - كيف يمكن تمويل تحسين خدمات التعليم والصحة، إذا كنت لا تريد زيادة عبء الضرائب على المواطنين ؟
ج- الحل يكمن في استئناف التنمية . في مجال الصحة يجب تحصيل رسوم زيارة للطبيب ، مع حد أقصى للطبقات الفقيرة. في مجال التعليم يجب أن يكون التعليم من نصيب الجميع، بدءا من سن الثالثة أو الرابعة، وهذه هي أيضا الطريقة الوحيدة لوقف الميول الى مؤسسات شاس . إنه نوع من السخف أن تضخ ملايين الجنيهات لمؤسسات التعليم التابعة لحركة شاس لتمويل مؤسساتها ، وهكذا يتحول أولياء الأمور الى حريديم بعد أولادهم، وهذا أمر سيئ . يجب أن يكون هناك يوم تعليم طويل وحرية الالتحاق بالجامعات . لقد سبق لرابين أن فعل الكثير من أجل التعليم حيث زاد ميزانيته من ٧ مليارات الى١٤ مليار.
س - ولكن كل ماتقوله هنا حول اقتصاد السوق، والخصخصة والترشيد يتعارض تماما مع منظور شلومو بن عامي الذي احتل المركز الاول في الانتخابات الداخلية.
ج - أنا الذي سأقود وأوجه السياسة . المهم العودة الى التنمية. مع هذا، سيكون جيدا لو ارتفع صوت بن عامي.
هل على ضوء وجهات نظركما المختلفة، يستطيع بن عامي أن يصبح وزير مالية باراك، لو فاز حزب العمل في الانتخابات ؟ يتهرب باراك من إعطاء إجابة واضحة: " إنني لم أعده بمنصب وزير المالية . إن بن عامي هو شخص متعدد المواهب ولديه القدرة على إدارة أي وزارة كبرى".

هل هناك فرق ؟

يديعوت احرونوت
٧ / ٣ / ١٩٩٩
بقلم : يوسي بن اهرون

* ماهو الفرق بين الطريق الذي يعرضه نتنياهو والطريق الذي يعرضه ايهود باراك ؟ فبعد دراسة نتائج سياسة حكومة اليسار وأداء حكومة الليكود اتضح ان هناك فرقاً بالفعل، ولكن في مجال التصريحات.
يحاول زعماء الليكود والعمل اقناعنا بان كل حزب من الحزبين يعرض طريق خاص ومختلف تماما عن الطريق الذي يعرضه الحزب الآخر فيما يتصل بمعالجة عملية السلام .
والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما الفرق الحقيقي بين الحزبين ؟ عن تفحص الامر سنجد أن: العمل والليكود يؤيدان استمرار عملية اوسلو ويؤمنان بضرورة التعاون مع السلطة الفلسطينية، ويؤيدان كذلك المزيد من الانسحاب من مناطق ارض اسرائيل . ومن المعروف ان كل حزب من الحزبين يؤيد بطريقة أو بأخرى اقامة دولة فلسطينية.
ويدعو الليكود والعمل الى استئناف المفاوضات مع سوريا ويوافقان على الحل الاقليمي في هضبة الجولان. وفيما يتصل بلبنان فإن الحزبين يوافقان على اعادة جيش الدفاع الى الحدود الدولية مقابل ترتيبات امنية مناسبة - حتي بدون التوصل الى اتفاق سلام مع لبنان .
وقد اضاف نتنياهو الى حكومته انجازات جديدة وعلي رأسها نجاحه في كبح جماع الارهاب الفلسطيني. ولكن هذه الحكومة تدعي في نفس الوقت ان عرفات هو الذي يعطي الاشارة لعناصر الارهاب الفلسطينية بتصعيد أو تخفيف نشاطها . وإذا كان الامر كذلك فإن مستوى العمليات الارهابية يخدم مصالح ياسر عرفات ومن ثم فان قلة عدد هذه العمليات هي نتيجة لقرار عرفات وليست بمثابة انجاز لحكومة اسرائيل .
وليست هناك خلافات ايديولوجية تفصل بين نتنياهو وباراك وليست هناك مواقف مبدئية فيما يتصل بما يسمى "عملية السلام مع الفلسطينيين ومع سوريا . والشئ الذي يفصل بينهما في حقيقة الامر هو ذلك الخصام الشخصي والرغبة في السلطة . وأما فيما يتعلق بتصريح ايهود باراك بأنه سوف يخرج جيش الدفاع الاسرائيلي من لبنان خلال عام فإن الامر لا يعدو الا ان يكون مناورة انتخابية .
وللاسف الشديد فإن هذا التصريح سوف يجعل موقف سوريا في المفاوضات اكثر تشددا ويرفع ثمن الانسحاب من لبنان . وفي هذه الاثناء سوف يستمر جنودنا في دفع ثمن حماقة الساسة.
وفي نفس الوقت فإن حزب الوسط لم يوضح للجماهير حتى الآن موقفه ولم يحدد الطريق الذي سيسير عليه. ولكن تصريحات زعماء حزب الوسط ، موردخاي وشحاك حتى الآن تشير الى ان موقف هذا الحزب ازاء عملية اوسلو لا يختلف في جوهره عن موقف حزب العمل.
وتجدر الاشارة الى ان العنصر الاساسي الذي تسبب في سقوط حكومة نتنياهو ، هي جبهة ارض اسرائيل في الكنيست ، حيث ان اعضاء هذه الجبهة قد اعطوا ظهورهم للحكومة بعد ان توصلوا الى نتيجة وهي ان اتفاقيات الخليل وواي تعتبر انحرافا شديدا عن السياسة التي عرضها نتنياهو في بداية طريقه كرئيس وزراء . ولولا ذلك لاستطاعت حكومة نتنياهو ان تستمر حتى نهاية ولايتها على الرغم من الهجوم الشخصي والحملات الساخنة التي شنتها حركات اليسار ضدها.
وهذه النقطة تعتبر أهم النقاط على الاطلاق. وسوف يحاول رؤساء حزب العمل خلال المعركة الانتخابية ان يزيلوا اوجه التشابه بينهم فيما يتصل بتنفيذ اتفاق اوسلو. وسوف

يبذلوا قصارى جهدهم من اجل ابراز خلافات ليس لها وجود فى الاساس وسيحولون النقاش الى امور غير جوهرية ، وسيرفض كل منهم الاخر وسيصور كل منهم الآخر على انه يشكل خطراً على الدولة.

ولكن من يحاول ان يقارن نتائج سياسة حكومة اليسار فى سنوات حكمها مع اداء حكومة الليكود فى العامين الأخيرين سوف يكتشف ان الفارق بين الاثنين يكمن فى التصريحات وليس فى مجال التنفيذ والتطبيق .

مواجهة الكراهية

معاريف ٨ / ٣ / ١٩٩٩
بقلم : امنون شومرون

* ان الشعور بالكراهية تجاه نتنياهو قد اصبح عادة لدينا. ولكن يجب على رئيس الوزراء ألا يتجاهل ذلك .
من بين اللافتات السياسية المشهورة للغاية ذلك الذى صممها دافيد ترتكوفر والذى تظهر فيه صورة نتنياهو اسفل صورة اسحاق رابين . وكتب على صورة رابين :"لن ننساك" . وكتب على صورة نتنياهو : "لن نسامحك" . والتفسير المحتمل لهذه اللافتة هو انها تحمل صور. القائل وصورة القتيل .
وهناك لافتة اخرى لنفس الشخص تعرض صورة نتنياهو وبجوارها مباشرة صورة ايجال عامير (قاتل رابين)، ومكتوب اسفل الصورتين "بن - يامين" والتفسير المحتمل لهذه اللافتة هو "ابن القاتل". وتجدر الاشاره الى انه فى مظاهرة اليسار فى اكتوبر ١٩٩٧ تم التلويح بالمنشورات واللافتات الآتية:" يجب ان تذهب فداء لليسار اليهودى ايها المجنون".. " لقد تحدثت عن السلام الأمن وخرجت فى النهاية مصاب بالجنون ".
ان هذه الكراهية التى بدأت مع بداية نظام حكم نتنياهو قد تزايدت كلما كثر ظهوره فى حياتنا العامة. ومنذ اللحظة التى تأكد فيها ان نتنياهو يشكل كارثة بالنسبة للدولة نسبوا اليه كل المعاناة والامراض والحوادث والكوارث التى اصابت الدولة .
ومن المدهش ان الدولة ركزت خمسون عاما من المشاكل التى تتعلق بكيانها ووجودها فى عامين ونصف العام، هى زمن حكم نتنياهو.
لقد خلق نتنياهو المشاكل الاقتصادية ومشاكل الأمن والفروق الاجتماعية والعلاقات المتوترة بين الدينيين والعلمانيين وبين اليهود والعرب. وليس هناك مسئول عن ذلك قبله ولن يكون هناك مسئول عن ذلك بعده ونحن فى حاجة الى بحث شامل يدرس سياسة الكيل بمكيالين فيما يتصل بالحكم على اساليب نتنياهو بالمقارنة الى من سبقوه ، ولكن ها هى نتائج البحث نراها مسبقا امام اعيننا. " ان نتنياهو الرجل والانسان ، وليس رئيس الوزراء هو المرشح لرئاسة الحكومة فى انتخابات مايو ١٩٩٩.
ومن المعروف ان نسبة كبيرة من الجماهير فى اسرائيل تشعر بالكراهية تجاه نتنياهو . وأعتقد ان الجماهير تكره نتنياهو اكثر مما تكره عرفات على الرغم من ان الاخير يعتبر اكبر اعداء اسرائيل طوال الخمسة وثلاثين عاما الماضية. وليس من المبالغة ان ندعى ان نتنياهو هو اكثر المكروهين فى الدولة.
وأقصد الكراهية الحقيقية او ما يقال عنه "المقت الشديد" . لدرجة ان كراهية نتنياهو تحولت الى حقيقة رسمية ومقبولة ومفهومة تماما. فهو يذكر على أنه مقيت ويثير الاشمئزاز ولا يحظى إلا بتأييد متواضع للغاية بين دوائر المثقفين . ونذكر انه عندما كان آسى ريان يتسلم احد الجوائز فى حفل التكريم الذى اقيم له بتمويل من الدولة دعا نتنياهو الى التنحى ، وهنا حظى بعاصفة مدوية من التصفيق.
ان تأثير نتنياهو وقدرته الشخصية ومعدل عمله لم تغفر له ولم تضف له نقاطا جديدة لصالحه. بل ان العكس هو الصحيح حيث ان اعتزازه بنفسه وثقته بنفسه وأناقته قد تسببت فى زيادة مشاعر الاحباط والغيظ منه. ونشير فى هذا الصدد الى ان الدعاية الانتخابية لايهود باراك وإسحاق موردخاى تعتمد اساسا على السؤال القائل: من يملك الاحتمالات للاطاحة بنتنياهو ؟ أو بعبارة أخرى من تشعرون تجاهه بكراهية اكثر .. نحن أم نتنياهو ؟
ان كثرة حديث نتنياهو عن انجازاته السياسية والأمنية الحقيقية لا يعفيه من ضرورة مواجهة هذه الظاهرة ألا وهى ظاهرة الكراهية تجاهه والتى بدأت تؤثر ايضا على قطاعات كبيرة من مؤيديه والذين يشعرون بالحيرة من نتائج استطلاع الرأى التى تعتبر نتنياهو بمثابة فشل، وهم يشعرون بالتخبط : هل يقترعون لصالح رئيس وزراء يكون لزاما عليه ان يصدر قرارات مصيرية فى الوقت الذى يعانى فيه من كراهية ٥٠٪ من الشعب.

٥ إسرائيل / علاقات خارجية

معاريف ١٧ / ٣ / ١٩٩٩

لماذا تتسلح مصر ؟

بقلم : يهوشع بورات

(اسرائيل تدفن رأسها فى الرمال ولا ترصد ذلك الخطر الكامن فى الانفاق المصرى الضخم على الجيش)

فى الأيام الاخيرة انشغل رجال السياسة وأجهزة الاعلام والجمهور بتقرير تساليم وقضية اربيه درعى، واهملوا جميعا التطور الخطير جدا الذى يحدث عبر حدودنا الجنوبية ، فى مصر. فرغم اتفاق السلام مع اسرائيل، تسعى مصر على الدوام وبقوة للتسلح ، وإجراء عملية تحديث لجيشها عن طريق استخدام الاسلحة الامريكية ، وهى سياسة مصحوبة ايضا بتصعيد العداء تجاه اسرائيل .

فى الوقت ذاته تحرص أجهزة الاعلام المصرية، وجهاز التعليم وصفوة المثقفين على تعميق العداء العميق تجاه اسرائيل، وطبيعتها العدوانية وعدم شرعيتها. ولا تترك الدبلوماسية المصرية فرصة حتى تضر علاقات اسرائيل مع أى جهة دولية ممكنة ، وتبذل السلطات المصرية كل جهد ممكن لمنع أية اتصالات سلام حقيقية مع اسرائيل فى مجالات الثقافة والاقتصاد والسياحة .

لماذا تنفق مصر الفقيرة شطراً هاماً من مواردها على التسلح العسكرى الضخم؟ من هم اعداؤها ؟

من الشرق توجد ليبيا ، الفقيرة فى السكان وذات الجيش الصغير، والتى تستطيع مصر التغلب عليها بواسطة كتيبتين وفرقة موسيقية. فى الجنوب توجد السودان، الغارقة على الدوام فى حرب اهلية ، وذات البنية المتخلفة والتى لا تفكر فى المساس بمصر أو بمياه النيل، مصدر الحياة فى مصر . والنتيجة ، مثلما يشير المصريون انفسهم اكثر من مرة فى خطب رسمية ومقالات تحليلية هى ان قوتهم العسكرية موجهة ضد الخطر الكبير الذى يحيق بها من جانب اسرائيل .

وقد عقدت مصر صفقة اسلحة كبيرة مع الولايات المتحدة، ستؤدى الى ازدياد الاسلحة الجوية والمدرعات الى أحجام كبيرة جدا ، سواء فى الكم أو فى الكيف. وهذا لا يثير قلق وزرائنا أو معلقينا . فهم يقولون ان مصر قد وقعت على اتفاق سلام مع اسرائيل ، وهى ليست مصدرا للخطر. ولم يجرؤ واحد منهم على ان يتساءل لماذا تنفق مصر موارد نادرة وباهظة على حملة التسليح ، اذا لم يكن فى نيتها استخدام هذا التسليح. لم يجرؤ واحد منهم على استخلاص النتائج من ذلك الارتباط الخطير ما بين تصعيد العداء فى مجال التعليم والثقافة والدبلوماسية ، وبين تعاظم القوة العسكرية .

طبقا للقانون الامريكى ، يجب على الكونجرس أن يصدق على صفقات الاسلحة من غرار تلك التى وقعتها الادارة مؤخرا مع مصر . فى الماضى تجرأت حكومة اسرائيل واتجهت الى الجمهور الصديق فى الولايات المتحدة والى المتعاطفين معها فى الكونجرس الامريكى، وعملت عن طريقهم من أجل كبح اجراءات مهمة من جانب الادارة . لقد فعلنا ذلك مع قضايا اقل اهمية وخطورة عن صفقة الاسلحة الجديدة. هذه المرة تصمت حكومتنا .

لماذا ؟ هل نحن خائفون لهذه الدرجة من أن نغضب حسنى مبارك وعمرو موسى؟ ألسنا نريد ان نتجاهل اكثر تلك الرسوم الكاركاتورية والمقالات العدائية فى الصحف المصرية؟ هذا ليس بالامر الجميل، ولكن هذه الامور خطيرة بشكل اقل عن سلاح طيران يصل فى تسليحه الى مستوى سلاحنا الجوى، وسلاح مدرعات قادر على تحجيم مدرعاتنا .

هناك مصلحة وجودية عليا وموضوعية فى هذا الشأن على كفة الميزان . اذا لم تسارع حكومة اسرائيل بالعمل فى الكونجرس ، فقد نواجه فى يوم ما مفاجأة غير لطيفة على الاطلاق.

العلاقة بين مونيكا وبيبى

الملحق السياسى لجريدة معاريف
١٠ / ٣ / ١٩٩٩
بقلم : أورى أفنيرى

نتنياهو أطلق يده لمهاجمي كلينتون، وإسرائيل تدفع عن ذلك ثمنا باهظا.

إن مونيكا تملكتنى . فقد توقعت رؤية صائدة رجال خبيثة ماكرة، ومتوسله . ولكنى رأيت شابة مثقفة ، حساسة ، ذات قدرة على الحديث وعلى روح الفكاهة . لقد آمنت لها.

إن القصة نفسها ، كما تبدو من اقوالها عادية للغاية . قصة غرام بين رجل بالغ ، فى مكانة رفيعة ، منعزل فى منزله ، وقلعته ، وقد أسر بحرارة قلب الشابة الصغيرة ، والتى أحبت دون وعى ودراسة. انها شابة لأسرة متمزقة ، وجدت الثقة فى النفس فى حب الرجل ذو المكانة الرفيعة ، والذى منحها الاحساس بأنها جذابة ومثيرة للمشاعر .

قصة غرام صغيرة ، منحت لحظات من السعادة لكليهما ، وتنتهى كالعادة كنهج قصص الغرام من هذا النوع ، حيث تخلف وراءها صداقة أو مرارة . إلا أن السماء قد هبطت عليهم .

إن مونيكا مثل هيلارى ، تؤمن أنه كان هناك تواطؤ (مؤامرة) لليمين المتطرف ، والذى استغلها بصورة بالغة للانتقام من رئيس ليبرالى محبوب شعبيا . وأنا أيضا مؤمن بذلك . وهنا يدخل الموضوع الاسرائيلى .

ليس بالصورة الساذجة التى طرحت فى عدد من وسائل الاعلام العالمية . إن مونيكا ليست الملكة استير، وهى لم ترسل بواسطة موردخاى الصهيونى لكى تؤثر على الرئيس احشو قروش . وكذلك الحال حول تنصت الموساد من أجل الابتزاز، فذلك يبدو لى هراء . فإن تدخلنا فى الموضوع مختلف تماما .

والأمر هو كذلك : إن العناصر اليمينية التى ربطت بين الامور من أجل اسقاط الرئيس بواسطة مونيكا ، هم المحببون لنفس رئيس وزراء اسرائيل، لقد جند اليمين المتطرف ، المسيحى الاصولى من أجل زلزلة الأرض تحت أقدام الرئيس كلينتون ، رأس إتفاقية أوسلو. لقد زار نتنياهو باسلوب تظاهرى ، القيس فولول ، فى زيارة سريعة لدى الخصم قبل أن يلقى بكلينتون . وعلى مدى سنوات اجتهد لكى يحظى نتنياهو بتأييد الجمهوريين اليمينيين ، أعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، أولئك الاشخاص الذين حاولوا شنق كلينتون بحبل مونيكا .

إن كل هؤلاء الاصدقاء أصيبوا الآن بصدمة لاطمة . إنهم منتشرون فى كل مكان . إن اذاعات مونيكا بمثابة المسامير الاخيرة فى نعشهم السياسى، إن غالبية الشعب الأمريكى يحب الآن مونيكا . وأقوالها مازالت تقوى تعاطف نتنيا الشعب مع الرئيس المطارد. إن كلينتون يعرف ويعلم ان نتنياهو أطلق يده لمطاردى كلينتون، فقد اعتمد عليهم نتنياهو عندما قال لكلينتون فى الواقع :" خذ اتفاقية واى وادفعها ، أنت تعلم لأين". فى العامين الباقين لكلينتون ، وفى الأعوام التي ستأتى لمن سيحل مكانه ، من المؤكد تقريبا آل جور ، سوف يكون بنيامين نتنياهو شخصية غير مرغوبة فى البيت الأبيض وربما ايضا فى الكابيتول واذا ما انتخب نتنياهو لمرة ثانية . والعياذ بالله فذلك سيكون كارثة.

ليس نفقا فى القدس هو "صخرة وجودنا" وكذلك ليست قطعة أرض فى رأس العامود . إن علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية هى ضرورة وجودنا . إن الولايات المتحدة تمنحنا سنويا هدية مالية مذهلة . إنها تمنحنا سلاح حيوى ، معلومات أمنية ، ومساعدة مخابراتية . إنها تستعمل حق الفيتو من أجل أن تدافع عنا من حكم الشعوب . إنها الوحيدة التى تصوت معنا فى الأمم المتحدة (باستثناء ميكرونيزيا بالطبع) . انها تمنحنا تأمين نووى وتتجاهل أفعالنا فى هذا المجال .

وكذلك فإن الامر جزء من مجمل العلاقات فعشرات الدول فى العالم أقاموا معنا علاقات ويقيمون معنا أعمال وصفقات لسبب واحد وهو انهم على قناعة بأن إسرائيل هى حليفة أمريكا . فحسب رأيهم فهم يطلبون توصية من إسرائيل من أجل الحصول على مساعدة أمريكية ، والتوجه للكونجرس والدخول للبيت الأبيض . إن هذا الاعتقاد مشترك لدى المعادين للسامية فى روسيا، ولدى المسلمين المتزمتين فى طاجياكستان ولدى الحكام الطاغين فى افريقيا السوداء . إنهم يأتون للقدس من أجل الوصول لواشنطن.

كل ذلك قام نتيناهو بتدميره بسبب خطأ فادح فى فهم شئون امريكا ، البلد الذى تربى فيه . إن عرفات بالذات ، الشخص البعيد عن الواقع الامريكى ، قدر حساباته بصورة صحيحة وتحول هناك لحليف مرغوب فيه . لقد أعلنت الادارة الامريكية هذا الاسبوع أنها أرجأت دفع المليار دولار – المعونة التى وعدت بها لإسرائيل – فى الوقت الذى صدقت فيه على دفع الدعم الذى وعدت به عرفات .

إن الأمريكيين يحبون القصص التى تحوى الأخيار والأشرار . وفى تلك القصة، مونيكا ، كلينتون وهيلارى هم الأخيار . وستار ومؤيدوه اليمينيون ومعهم نتنياهو هم الأشرار.

من سيهاجم الصواريخ؟

هآرتس ١٠/٣/١٩٩٩
بقلم: أمنون بارزيلاى

قبل ما يقرب من ثلاثة أشهر وقف وفد وزارة الدفاع والصناعات العسكرية على أبواب مصنع «تلداين رايان ايرونوتيكال» فى سان دييجو الواقعة فى ولاية كاليفورنيا. والمصنع الذى تمتلكه شركة «آل - جيانى رايان» ويقع بأحد اجمل مناطق الولاية، ينتج لحساب البنتاجون الطائرة بدون طيار - جلوبال هوك. وهى مخصصة لمهام تكتيكية واستراتيجية. وفى مارس ١٩٩٨ قامت الطائرة بأول تجربة تحليق لها. وتعتبر جلوبال هوك، ودارك ستار أو النجم المظلم وهى نموذج آخر لطائرة بدون طيار، قمة التكنولوجيا. وكلتاهما بمثابة قفزة فى مجال تطوير الطائرات بدون طيار من أجل ميدان القتال فى المستقبل.

وكان الغرض من مشروع التطوير أن تستبدل «جلوبال هوك» أو «الخطاف الكروى» بطائرة التجسس القديمة يو - 2. ولكن لدى الأمريكيين اعتبارات أخرى بالنسبة للطائرة بدون طيار، فقد طرأت على ادارة الدفاع ضد الصواريخ الباليستية (BMDO) بالبنتاجون فكرة أن إسرائيل تستخدم جلوبال هوك كطائرة بدون طيار لمهاجمة الصواريخ الباليستية فى مرحلة الدفع أو لمهاجمة منصات الصواريخ حتى قبل اطلاقها. ولذلك وجهت الدعوة إلى الإسرائيليين لزيارة المصنع.

لم يكن ممكنا رفض الدعوة الأمريكية الرسمية. فقد كشف ذلك عن طفرة نوعية فى التعامل الأمريكى مع الفكر الإسرائيلى: مهاجمة الصواريخ وهى مازالت فى منطقة العدو. غير أن الاقتراح تم قبوله فى إسرائيل بمشاعر متداخلة. فمن ناحية، يصعب التعامل مع امكانية الحصول على منتج جرى تطويره كاملا بالخارج ووضع على الرف. ومن ناحية أخرى، لدى وزارة الدفاع الإسرائيلية مصالح خاصة. ومع أن الشراء من على الرف يقلل التكلفة بدرجة كبيرة، فهناك الرغبة فى الحفاظ على استقلالية تطوير انظمة التسلح.

هكذا، وفى اعقاب الدعوة الأمريكية، جرت الزيارة لمصانع تلداين فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٨. وكان على رأس الوفد الإسرائيلى د. أهرون موس، من كبار مسئولى ادارة تطوير الوسائل القتالية والبنية الاساسية بوزارة الدفاع، ويتولى موس ادارة العلاقات مع البنتاجون كما أنه المسئول أيضا عن مشروع IBIS الذى يجرى فى اطاره تطوير الطائرة بدون طيار والتى تعترض الصواريخ فى مرحلة الدفع BPI. وضم الوفد بعض العاملين الكبار من ادارة تطوير الاسلحة القتالية، والصناعات الجوية، وشركة تديران، المشاركين فى المشروع. إلى جانب أفرايم تسوكرمان، مدير مصنع ميلط - منتج الطائرات بدون طيار للصناعات الجوية - الذى شارك فى الزيارة.

*** سيمنار فى قاعدة الاسطول:**

وصل الإسرائيليون إلى مصنع تلداين بعد البقاء ثلاثة أيام فى قاعدة الأسطول الأمريكى فى سان دييجو على شاطئ الخليج. ما يقرب من ٤٠ إسرائيليا جرت دعوتهم إلى سيمنار أعدته ادارة الدفاع ضد الصواريخ الباليستية فى القاعدة البحرية. اجتمع الميجور جون مورتى، المكلف من قبل البنتاجون بمشروع IBIS، مع الإسرائيليين ليستمع منهم إلى عرض شامل حول التقدم الذى تحقق فى تطوير الطائرة بدون طيار الإسرائيلية لمهاجمة الصواريخ الباليستية. كان الاهتمام بهذا المشروع ينصب على ثلاث نقاط: صواريخ هجومية (موآف): نظام التحكم والمراقبة، وتطوير البرنامج ككل. وحسب ما أعلنته مصادر غربية، فقد أطلق على الطائرة بدون طيار تسمية HA - 10 - وهى الحروف الأولى لـ High Altitude - والتى تشير إلى قدرتها على التحليق على ارتفاع عال.

وتجرى عملية التطوير على نار هادئة. ومنذ بدأ التعامل مع الفكرة، قبل أربعة اعوام، تمت مرحلتان بالفعل: الأولى فحص وتحديد القياسات. والثانية تقليل المخاطر وخصص لهاتين المرحلتين، بموافقة الكونجرس، حوالى ٣٦ مليون دولار (الثلثان من هذا المبلغ بتمويل من البنتاجون)، وهى اموال قليلة مقارنة بالاستثمارات التى أنفقت فى تطوير صواريخ «حيتس» أو بعض المنح التى أعطيت لمشروعات أمريكية.

وأورد الإسرائيليون فى تقريرهم أنه فى المرحلة الثانية (الحالية) يتم التدقيق فى الاخطار التقنية وكفاءة تصور الهدف، وكذلك القدرة على مهاجمة الصواريخ فى مرحلة الدفع الباليستى. ويجرى ذلك بواسطة المحاكاة والأنفاق الهوائية فى الصناعات الجوية. وخلاصة ما توصل إليه الإسرائيليون فى تقريرهم: إن علامات الاستفهام التكنولوجية قابلة للحل، وتصوير الهدف يعمل جيدا. وخلال شهرين إلى ثلاثة أشهر ستنتهى المرحلة الثانية أيضا وسيكون من الممكن البدء فى بناء ڤيروس التيفوس. تلك هى المرحلة الثالثة والمعقدة، التى ترتبط أيضا باستثمار ضخم: من ٣٠٠ - ٤٠٠ مليون دولار، وهو السبب وراء التريث الأمريكى لدراسة «جلوبال هوك». وقد ينتهى الأمر، إلى بناء ڤيروس التيفوس للطائرة بدون طيار بالتمويل المالى من دافع الضرائب الأمريكى.

كذلك فإن وزارة الدفاع فى حاجة لمزيد من الوقت، خاصة لبلورة قرار يحدد أهداف الطائرة بدون طيار: هل يستهدف اعتراض الصاروخ الباليستى فى مرحلة الدفع أم منصات الصواريخ قبل الاطلاق. وهناك احتمال آخر تمت دراسته يتمثل فى تزويد الطائرة بدون طيار بصواريخ من أنواع مختلفة، لضرب المنصات وضرب الصواريخ بعد اطلاقها

بوقت قصير.

*** الاقتراح الأمريكي..**

تلوح إدارة البنتاجون بعدة أهداف تكنولوجية لجلوبال هوك حتى تقنع وزارة الدفاع بدعم الطائرة الأمريكية بدون طيار تجاه المهام الاستراتيجية الإسرائيلية. فوقت بقاء الجلوبال هوك في الجو ٤٢ ساعة، والمدى التنفيذي لها حوالي ٢٥ ألف كيلو مترا وسرعة تحليقها ٣٤٣ كيلو مترا في الساعة. وأهم ميزة فيها القدرة على الطيران في ارتفاع ٦٥ ألف قدم (اماحتس 1 - هارون - طائرات بدون طيار استراتيجية بنتها الصناعات الجوية الإسرائيلية فتصل إلى ٣٢ ألف قدم فقط). وتتحقق قدرة تحليقها بفضل امتداد اجنحة تصل إلى ٣٠ مترا. والجلوبال هوك مزودة أيضا بنظام راداري متطور وبكاميرا مهيأة لاستخلاص صور بدرجة فصل حتى ٣, ٠ متر.

صحيح، أن الطائرة بدون طيار تلبى الاحتياجات الاستخبارية، مما يلبى هدف احلالها محل الطائرة يو - 2، ولكنهم في البنتاجون يؤكدون على فخامة الجلوبال هوك، فهي مهيأة لحمل ما يزن طن - وهي ميزة ذات أهمية كبيرة إذا عرفنا أن الطائرة من المفترض أن تحمل صواريخ. والجلوبال هوك مزودة أيضا بمحرك نفاث من انتاج أليسون مركب في المؤخرة، وهي ميزة هامة مقابل الطائرة الإسرائيلية المزودة بمحرك مكابس.

وللوصول إلى مستوى تنفيذي غير مسبوق، وبالاضافة إلى ما فيها من امكانات، تم تجهيز جلوبال هوك بالقدرة على المراوغة والتخفي من الرادارات. وكان المفترض أن الارتفاع الكبير الذي تحلق فيه يعطيها خاصية دفاع طبيعية أمام اجهزة الرادار وصواريخ أرض - جو. لكن الأمر يختلف في منطقة التهديد المباشر. لذلك فلكي تكون فعالة كطائرة بدون طيار تهاجم الصواريخ، تقترح شركة تلداين تزويد جلوبال هوك بوحدة قتالية اليكترونية تتعامل مع أية محاولات لضربها، وتزيد قدرة بقائها في ميدان المعركة.

ذلك ما اقترحه الأمريكيون لاتمام المشروع الذي بدأ قبل حوالي خمس سنوات. ففي منتصف التسعينيات اشتركت الصناعات الجوية الإسرائيلية وتلداين في مناقصة البنتاجون لهذا المشروع، وقد رفض عرض الصناعات الجوية الذي قدمته بشراكة مع شركة تي. آر. في. وفازت تلداين بالمناقصة وبدأت في تطوير جلوبال هوك. والآن تقترح الشركة الأمريكية، بتشجيع من البنتاجون، تشكيل اتحاد مالي من الشركات لبناء الطائرة الإسرائيلية الاعتراضية بدون طيار.

تقوم تلداين بتمويل المشروع، وتتولى هيئة تطوير الوسائل القتالية الصواريخ، وتتولى تلديرون نظام السيطرة والمراقبة. وستكون الصناعات الجوية الإسرائيلية مسئولة عن التجميع وعن بناء الحمولات المطلوبة.

*** مأزق إسرائيلي:**

لقد تسبب القرار بزيارة شركة تلداين، منتجة جلوبال هوك، في ازعاج بعض أعضاء الوفد الإسرائيلي، خاصة رجال الصناعات الجوية. حيث خشوا من أن تفسر هذه الزيارة باعتبارها تلميحا بأن عليهم أن يدلوا بما عندهم. إذ أن الاعتقاد الإسرائيلي أن جلوبال هوك أكبر وأغلى من الاحتياجات الإسرائيلية. وبعد أن اتضح مقدرتها على التحليق في ارتفاعات شاهقة، فإن دور جلوبال هوك، في الواقع سيماثل قمرا صناعيا.

المعروف أن الزيارة إلى مصنع تلداين لم تتكرر، ولا يتوقع ذلك. غير أنه خلال الاسابيع الاخيرة فحسب اتضح أن وراء التفكير الأمريكي - بالربط بين جلوبال هوك ومشروع IBIS الإسرائيلي - تتوارى مشكلة لم يكن الإسرائيليون على علم بها. فسلاح الجو الأمريكي لا يعرف كيف يستغل الطائرات غير المدرجة لمهام محددة. وفي نهاية أكتوبر الماضي نفذ «فيروس تيفوس» الثاني التابع للطائرة بدون طيار الاستراتيجية «النجم المظلم» تجربة تحليق رابعة. ولكن في الشهر الماضي فقط أوقف سلاح الجو الأمريكي تطويرها بواسطة لوكهيد مارتن وبوينج، بحجة مشكلة اعتمادات مالية.

وكشفت المجلة الأمريكية المعنية بشئون الطيران «أفييشان ويك» عن أن مصيراً مشابها ينتظر جلوبال هوك. والشركة على وشك اتمام بناء خمس منها، وليس لدى سلاح الجو الامريكي النية في تخصيص موارد لانتاج منتظم لها. وحتى يجدوا تمويلا مناسبا، فإن الشركة ستضطر إلى وقف خط الانتاج وتسريح العاملين فيه. وحسب ما أوردته المجلة الامريكية الاسبوعية، فإن الشركة الأم آلجيينى تلداين رايان ايرونوتيكال قررت كرد فعل، أن تعرض للبيع انتاجها من جلوبال هوك. ولكن لابد من أن تعلن مسبقا عن اغلاق المشروع.

وفي وزارة الدفاع لا يجدون أية صلة بين الأزمة في الشركة الأمريكية وبين مستقبل مشروع IBIS الإسرائيلي. لكن الحقيقة أن القرار بإنهاء ووقف المشروعين الأمريكيين الطموحين المتصلين بتطوير طائرات بدون طيار لأسباب مالية، سيلحق ضررا ما بالمشروع الإسرائيلي يضعه على مفترق طرق.

وفي ميزانية البنتاجون المقترحة لعام ٢٠٠٠ هناك بند خاص بالاعتماد المالي للمشروع الإسرائيلي. وبينما يخصص البنتاجون للمشروعات العسكرية الأمريكية التي وصلت إلى مراحل تطوير مختلفة مئات الملايين من الدولارات وأحيانا مليارات، فإن المبلغ المقابل للمشروع الإسرائيلي هو صفر. وهنا يكمن التشابه بين مشروع سان دييجو والمشاريع المشتركة لبناء طائرة إسرائيلية بدون طيار.

وهكذا لم يتضح بعد متى سيتخذ القرار بشأن «فيروس التيفوس» (وهي المرحلة الرئيسية والأهم) للطائرة الإسرائيلية بدون طيار. هل سترصد وزارة الدفاع من ميزانيتها المبالغ المطلوبة أم ستنتظر البنتاجون؟

وطالما أن الأمر يعنى ميزانية بمئات الملايين من الدولارات، فالقرار سيكون مرتبطا بعملية طويلة ومعقدة لموافقة الكونجرس. ومن المشكوك فيه أن تتم هذه العملية قبل الانتخابات الإسرائيلية، ولكن لنا أن نفترض بأن الاطقم الفنية الإسرائيلية، على عكس مثيلاتها في الولايات المتحدة، لن يتم تسريحهم انتظارا للميزانية الأمريكية.

الأردن حليف

هآرتس ١/٣/١٩٩٩
بقلم: هيئة التحرير

كـان من المفـتـرض أن تتـرك زيارة رئيس الوزراء ووزير الخارجية للأردن انطباعاً أولياً للملك عبدالله عن العلاقات بين إسرائيل والأردن. وبالفعل فقد تأهب الجانبان فى الوقت المناسب لتقريب القلوب حيث سارع بنيامين نتنياهو بالإعلان عن استـعـداد إسـرائيل لتـأيـيد النظام الجـديد فى الأردن والتعاون معه ومساعدته. وأما الملك عبدالله من جانبه، فقد وصف نفـسـه بأنه أخ لإسرائيل وأنه يرغب فى العـمل مع نتنياهو. والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا المقام هو: من الذى دفع نتنياهو على ضوء العلاقات الخاصة مع الأردن إلى الزج بإسـمـهـا كـمـثـال للدولة التى حاولت إحيـاء الجبـهـة الشرقية؟ إن الاجابة على هذا السؤال عند نتنياهو وحده.
ولو كان تصريح نتنياهو قد جاء على ضوء العلاقة الشخصية العميقة والقوية مع زعماء الأردن لكان من الممكن التقليل من قيمة هذا التصريح. ولكن رئيس وزراء إسرائيل مشهور بشكه فى الزعماء العرب ولديه القدرة على تخريب العلاقات الشخصية مع الزعماء العرب، والمنظور التاريخى لا يخدم إدعاء نتنياهو، وعلى سبيل المثال نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها أيدت العراق إلى أن قامت بغزو الكويت، وإسرائيل نفسها حاولت فى الماضى دراسة إمكانية إقامة علاقات مع العراق. وقد تجاهل نتنياهو، حتى يقوى إدعائه، اتفاقية السلام الموقعة بين إسرائيل والأردن والتى تشمل بنود دفاع متبادلة، وتجاهل أيضا حقيقة أن للأردن مساهمة غير رسمية فى المحور الاستراتيجى القائم بين إسرائيل وتركيا. ومعروف عن نتنياهو قدرته على رسم سيناريوهات كئيبة ولكن جميع الدلائل تشير إلى أن الأردن تعتبر السلام مع إسرائيل قيمة كبيرة للغاية.
وقد بذل نتنياهو والمتحدثون بإسمه جهودا كبيرة حتى يوضحوا وينفوا ويصلحوا الخطأ ويمحوا الانطباع السيئ الذى تركته تصريحات نتنياهو فى المحاضرة التى ألقاها فى جامعة برايلان.
ولكن ليس المهم هنا الدقة التاريخية، على الرغم من أن إهمالها غير مطلوب. ويمكن القول أن تصريحات نتنياهو قد فعلت فعلتها حتى أن رد الفعل الأردنى على المستوى الشعبى قد ترك شرخا كبيراً فى العلاقات. والشئ الغريب والمدهش أن رئيس وزراء إسرائيل بالذات هو الذى أدلى بهذه التصريحات بعد أن عكفت الحكومة فى الأسابيع الماضية على تحليل الموقف فى الأردن لمعرفة أو لتخمين ماهو الخط السياسى الذى ستتخذه الأردن بعد موت الملك حسين، وبعد ذلك يأتى هذا التصريح عديم المسئولية الذى يدل على أزمة عدم ثقة فى التزام الأردن بالعلاقات مع إسرائيل.
لقد أصبحت الأردن فى الفترة الأخيرة دولة معرضة للعزل، حيث تسعى سوريا إلى أن تعيدها إلى ما يسمى «بالدرب العربى» وأما مصر فإنها تحاول طمس الخط الاستقلالى الذى تتبعه الأردن. ومن المؤكد أن ياسر عرفات يرى أن هناك فرصا جديدة فى ظل وجود الملك عبدالله. وكذلك دول الخليج فإنها لا يمكن أن تقدم هدايا دون أن يكون هناك ثمن سياسى لها.
وعلى الرغم من ذلك فإن الأردن ليست فى مفترق الطرق والطريق الذى سلكه الملك حسين هو الأساس الذى سيبنى عليه عبدالله سياسته. وهذه السياسة - وحتى لو كانت مستقرة - فى حاجة إلى تأييد إسرائيل والتى ستثبت للجماهير الأردنية أن الطريق الذى سلكه قادة الأردن فى صالح الجماهير.
ومن الممكن الشعور بالأسف لأن لقاء العمل الأول لرئيس وزراء إسرائيل مع ملك الأردن قد تحول إلى لقاء لاطفاء الحرائق وبدلا من العمل على رعاية العلاقات بين الدولتين فإن نتنياهو سوف يضطر مرة أخرى إلى العمل بكل قوته من أجل أن يسير فى محله وأن يبرر ما قاله وأن يرضى الأردنيين ويحاول تحقيق المصالحة معهم.

المسألة الكردية ضربة قاسمة للحركة السرية

معاريف ١٧/٢/١٩٩٩
بقلم: عوديد جرانوت

قُبيل فجر أمس سجلت نقطة درامية فى تاريخ النضال العنيف للحركة السرية الكردية فى تركيا من أجل الحصول على الاستقلال. فزعيم التنظيم المكروه لدى الأتراك، تم القبض عليه بواسطتهم وكرد للفعل غمر مؤيدوه أوروبا بموجات من الاعتراض واتهموا إسرائيل أيضا بالمسئولية فى القبض عليه.
وعلى مدى أكثر من ٢٠ عاما قاد أوجلان (ومعناه المنتقم) رجاله لآلاف العمليات الارهابية ضد السلطة التركية، والتى من جرائها حسب زعم أنقرة قتل أكثر من ٢٠ ألف شخص.
وعلى مدى كل هذه الفترة اعتمد أوجلان أساسا على المساعدة التى حصل عليها من خارج تركيا. فقد سمحت له دول مثل سوريا، والعراق وإيران بإقامة قواعد لشن العمليات فى أراضيهم وإدارة الهجمات بشكل حرب العصابات من هناك

إلى داخل الأراضي التركية. كما قام الأكراد الاغنياء الذين يعيشون في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بالمساهمة بالأموال وساعدوه على إفراز خلايا سرية كذلك في الغرب.
إلا أن العام السابق كان عاما سيئا على الحركة السرية لأوجلان، والتي تحمل إسم حزب العمال الكردستاني. فقد وعد الايرانيون الأتراك بوقف مساعدتهم للحزب السري. وكذلك تعهد الفرعان الكرديان بالعراق لمسعود برزاني وجلال طالباني بتصفية وجود التنظيم في المنطقة التي تقع تحت سيطرتهم في شمال العراق.. وذلك في أعقاب إتفاق المصالحة الذي تم بينهم في واشنطن.
وكانت الضربة القاسية للغاية قد وقعت على التنظيم في نهاية العام الماضي عندما تراجع السوريون أيضا وفي ظل التهديد العسكري من قبل تركيا، حيث أغلقوا قواعد الحركة السرية الكردية في أراضيهم وطردوا أوجلان إلى الخارج. ومن تلك اللحظة تحول المنتقم إلى حيوان مطارد يبحث عن ملاذ وكانت نهايته معروفة مسبقا.
من ناحية السلطة التركية، فإن القبض على أوجلان هو بمثابة إنجاز غال كبير، ومن ناحية الحركة السرية فإنها بمثابة ضربة قاصمة ولكنها ليست ضربة الموت. فالنضال لم ينته بعد. فتركيا وبعثاتها الدبلوماسية في الخارج في أنحاء العالم ستتحول الآن إلى أهداف لمحاولات عمليات إرهابية صعبة من قبل مؤيدي الحركة السرية، طلبا لإطلاق سراح زعيمهم في المستقبل، وكما يمكننا التخمين، انتقاما لاعدامه المتوقع.
وإسرائيل إذا لم تنجح في إقناعهم بأنه لا يد لها في التورط في قضية القبض على زعيم الحركة السرية الكردية، فإنها من المحتمل أن تصاب بالأضرار أيضا.

نزاع سخيف

ملحق معاريف
١٩٩٩/٢/٢٣
بقلم: شموئيل شنيتسر

هناك كثير من الأمور المشتركة بين الأكراد والإسرائيليين، ولا يوجد سبب واحد لكي يتحاربوا فيما بينهم.
إن الصراع بين اكراد تركيا والإسرائيليين هو من الصراعات السخيفة في التاريخ، والتي تضع هؤلاء ضد أولئك.. قوميتان - حسب أي منطق - يحتاجان بعضهما لبعض. فإذا ما استطاع الأكراد أن يتحرروا من الشك المريض لديهم، والاقتناع بأن إسرائيل لم يكن لها يد في القبض على زعيمهم أوجلان وتسليمه إلى أيدي السلطات التركية، وكذلك لم يكن يهمها أمر الاضرار بالحركة القومية الكردية، ربما تنفتح إمكانية دراسة مسألة: كيف يمكن للقوميتين مساعدة بعضهما البعض؟. إن دولة إسرائيل في حاجة لكل عنصر غير عربي في الشرق الأوسط المليئ بالنزاعات، والذي يمكن أن يتعاون معها ضد الأغراض العربية التي تسود في الشرق العربي. والشعب الكردي يستطيع أن يستغل إلى مدى كبير العلاقات الطيبة التي تتمتع بها دولة إسرائيل مع الدولة العظمى المنتصرة الآن، والوحيدة على وجه الأرض.
إن مشكلة الأكراد هي، أنه بعد مرور أجيال على الصراعات القومية، لم ينجحوا في أن يدفعوا مشكلتهم إلى وعي الأمم الأوروبية الغربية. فالعالم المتحضر يختار له بشكل إستعراضي قليلا الظلم والجور القومي الذي هو ملزم بالمساعدة في تعديله. فالمشكلة الفلسطينية، على سبيل المثال، حظيت بحظ وفير حيث سجلت بحروف مقدسة بجدول الاهتمامات الدولي. وتحولت مشكلة كوسوفا في يوجوسلافيا السابقة إلى مشكلة أمريكا وبريطانيا وحلف شمال الأطلنطي، وذلك بعد أن أذيعت وعرضت صور المواطنين الذين قتلوا بتليفزيونات الشعوب كلها. إن المسألة ليست عدد الضحايا. فلا شك أن عدد قتلى الأكراد أكبر بكثير من عدد شهداء ألبان كوسوفا. وحقيقة، أن مصير أي منشق أعزل في الصين أقرب لقلب الأمريكان من مصير قرى كاملة تم سحقها من على وجه الأرض في شرق تركيا أو في شمال العراق، واقع لا يمكن إنكاره.
إن الحركة القومية التي ترغب في أن تسجل في الجدول العالمي، تحتاج قبل أي شئ إلى علاقات طيبة مع رجال الاعلام الغربيين. وقد تفهم الصهيونيون ذلك جيدا، وقد تلقوا المساعدة بشكل ليس قليل بواسطة صحفيون ورؤساء تحرير في بلاد مختلفة والذين تم تجنيدهم بأيدي رؤساء الحركة الصهيونية. وقد حظى الأكراد قبل سنوات عديدة جدا بنجاح ديبلوماسي هام، وذلك عندما تم الاعتراف بمطالبهم في الحكم الذاتي الاداري في اتفاقية السلام «سيفر» والتي كان من المفروض أن تلخص الحرب العالمية الأولى على الجبهة التركية، حكما ذاتيا إداريا وثقافيا في إطار تركيا العثمانية المهزومة. بيد أن معاهدة سيفر للسلام لم يتم التصديق عليها أبدا، بل إنها في الواقع لم تخرج لحيز التنفيذ.
وكانت معاهدة سلام أخرى متأخرة، أخذت في الاعتبار انتعاش تركيا بعد سقوطها من أيدي البريطانيين، كانت تلك المعاهدة قد محت البند الكردي. ومنذ ذلك الحين لم يتوقف الأكراد عن النضال حول حقوقهم في سلطة ذاتية وحكم ذاتي ثقافي، ولكن كل الدماء التي سُفكت لم تغير ميزان اللامبالاة والاصرار على الدم.
إن المشكلة الكردية ببساطة لم تطرح على جدول إهتمامات الأمم.
إن الأكراد هم شعب، بل وقد فرقهم التاريخ في ثلاث بلاد مجاورة. وإذا ما فكروا خطوتين للأمام وبحثوا عن التقارب لدى اليهود والإسرائيليين بدلاً من إثارة الخصومة معهم بسبب شكوك ليست حقيقية، فربما نستطيع أن نساعدهم في إختراقهم لوعي الأمم، وهي فقط، التي تستطيع أن تساعد ذلك الشعب الشجاع والذكي في الوصول إلى أهدافه.

٦ المسار الفلسطينى

هآرتس ١٤ / ٣ / ١٩٩٩

وضع القدس: عاصمة وحالة نفسية

بقلم: رونى سيناى

هذه الأيام تشق ورقة طريقها عبر قنوات البيروقراطية الأمريكية، وهى تتيح للرئيس كلينتون نقل السفارة الامريكية من تل أبيب الى القدس. والوثيقة التى سيوقع عليها كلينتون الشهر القادم تهدف الى منع تطبيق القانون الذى صدر فى ١٩٩٥ بأغلبية ساحقة فى الكونجرس الأمريكى، والذى يعترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل ، ويؤكد على نقل سفارة الولايات المتحدة اليها فى موعد أقصاه ٣١ مايو ١٩٩٩.

كذلك جاء فى هذا القانون إنه إذا لم تنفذ الادارة الامريكية هذا القانون ، فسوف يتم تقليص ميزانيتها . إلا أنه إزاء الاعتراض الشديد من جانب الادارة ، قدم المشرعون للرئيس اقتراحا ، يتيح له أن يعلن عن عدم تنفيذ القانون لأنه قد يضر المصالح الامريكية فى المنطقة. وعلى الرئيس ان يجدد هذا التصريح كل ستة شهور طالما أنه لا يرغب فى تطبيق القانون .

إن الخلاف الحاد بين الادارة والكونجرس بشأن القدس، والحل الموجود لتخطى هذا الخلاف، يوضحان مقدار الحساسية المفرطة التى تبديها أغلب دول العالم تجاه وضع القدس، والفجوة التى بين مواقفها المعلنة ، وبين أعمالها الفعلية، ووسائل المناورة الابداعية ، وأحيانا الكوميدية التي سلكوها على مر السنين.

هناك بالفعل ثلاث دول فقط فى العالم تعترف رسميا بالقدس كعاصمة اسرائيل وهى : الولايات المتحدة ، والسلفادور وكوستاريكا . والاعتراف الامريكى - كما رأينا - مقيد بسبب موقف الادارة، وكذلك توجد فى القدس سفارتان أجنبيتان فقط، وهناك أكثر من ٨٠ سفارة أخرى موجودة فى تل أبيب وضواحيها . ولكن زمرة الدول التى تعترف بالقدس ، لا تعترف أيضا بسيادة اسرائيل على القدس الشرقية ، وإنما هى تعترف فعليا بالقدس الغربية فقط كعاصمة لاسرائيل ، حتى الكونجرس الأمريكى المتعاطف امتنع عن الاعراب عن موقف يتعلق بسيادة إسرائيل على المدينة الشرقية، وإن كان يمكن الاستنتاج من صيغة القانون، انه يعترف أيضا بشرق المدينة كعاصمة لاسرائيل . فى الفقرة الفرعية (أ) بالبند (٣) بالقانون ، جاء أن "القدس يجب أن تظل مدينة موحدة" ، وفى الفقرة الفرعية (ب) جاء "يجب الاعتراف بالقدس كعاصمة لاسرائيل".

ولكن الموقف الرسمى للولايات المتحدة ، وكذلك دول أوربا هو أن يتم تحديد الوضع النهائى للقدس فى المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين مثلا ، عندما قام الرئيس كلينتون بزيارة اسرائيل عام ١٩٩٤ رفض أن يتجول فى المدينة القديمة ، لأن عمدة المدينة ايهود أولمرت أصر على أن يرافقه ، وهو الأمر الذى يفسر على أنه اعتراف أمريكى بأن اسرائيل لها السيادة على القدس الشرقية أيضا. وفى حل وسط لم يرض أى طرف ، أرسل زوجته هيلارى للقيام بجولة عند حائط المبكى مع أولمرت.

كذلك لا تشترك الولايات المتحدة فى مراسم التوقيع على اتفاقيات دولية ، لو أجريت هذه المراسم فى الوزارات الموجودة فى القدس الشرقية . نفس السلوك يتبعه الاوربيون .

ويقول الدكتور موشى هيرش ، استاذ القانون بالجامعة العبرية، والباحث بمعهد القدس أن سفير المجموعة

الأوروبية فى إسرائيل يرفض المشاركة فى الاجتماعات التى تنظمها الجامعة بفندق هيات الملاصق لفناء الجامعة عند جبل الأنبياء ، وذلك لأن جبل الأنبياء نفسه كان جيبا اسرائيليا حتى عام ١٩٦٧، ولذلك لا يعتبر أرض محتلة، أما المنطقة المقام عليها الفندق فلم تكن تحت السيطرة الاسرائيلية. وكان الحل الذى وجدته الجامعة هو عقد الاجتماع الذى يدعون السفير اليه داخل الحرم الجامعى نفسه.
إن موضوع القدس مشحون جدا من الناحية القانونية والسياسية والحسية والرمزية ، حتى أن دول أوربا تفضل دائما ان تتخذ مواقف مبهمة تجاهه إلا إذا أجبروها على أن تفصح عن ذلك الموقف، مثلما فعل وزير الخارجية ايريل شارون ردا على طلبه ، بألا يشارك ممثلون دبلوماسيون أجانب فى اجتماع التلقين الذى دعاهم إليه فيصل الحسينى فى بيت الشرق بالقدس الشرقية، ورد الاتحاد الأوروبى بشكل مهذب ولكن بتشدد ، بأن القدس هى (كيان منفصل)، ولذلك فإنه ليس من حق إسرائيل فعلا أن تملى على ممثليها ماذا يفعلون فى المدينة .
والموقف الرسمى للدول الأعضاء بالأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧، ومثلما صدق عليه أيضا فى بداية الخمسينات ، هو أن القدس تعتبر كيانا منفردا، يجب أن تحصل على وضع دولى وأن تديرها الأمم المتحدة ، هذا الموقف فى حالة غفوة منذ زمن طويل. حتى الفاتيكان الذى تبنى هذا الموقف من خلال رغبته بحماية الأماكن المسيحية المقدسة ، هجره فى السنوات الاخيرة مقابل أن يؤيد البابا أية تسوية يتوصل إليها الفلسطينيون وإسرائيل ، مع منح ضمانات دولية للوضع الخاص للأماكن المقدسة .
رغم إنه لا توجد دولة واحدة تعترف بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية، وثلاث دول فقط تعترف رسميا بالقدس الغربية كعاصمة لاسرائيل ، إلا أن جميعهم يعترف بغرب القدس كعاصمة مع وقف التنفيذ. وقد ضعفت المقاطعة التى فرضتها جميع دول العالم على القدس الغربية على مر السنين . فى الخمسينيات ، مثلا ، رفض السفراء الأجانب المشاركة فى المراسم التى كانت تتم فى المدينة ، أو تقديم أوراق اعتمادهم للرئيس فى القدس. يحكى ميرون بنبنشى الخبير فى تاريخ القدس إنه فى عام ١٩٥٣ كان السفير الايطالى سيقدم أوراق اعتماده، ولحسن حظه ، أن الرئيس إسحاق بن تسيفى كان يقضى اجازته فى طبرية فى ذلك الوقت .عند ذاك لم يتكاسل الوزير وسافر الى طبرية . فى أعقاب ذلك أعلنت إسرائيل أنها المرة الأخيرة التى ستتسلم فيها أوراق اعتماد لسفير خارج مدينة القدس .
بعدما انتقلت تقريبا جميع الوزارات من تل أبيب الى القدس فى بداية الخمسينات ، نقلت بعض الدول سفاراتها الى هناك مثل هولندا واليونان .
يقول رجل القانون د . شموئيل بركوفيتش أنه من بين ١٣٦ دولة بينها وبين الولايات المتحدة علاقات دبلوماسية ، تعتبر اسرائيل هى الدولة الوحيدة التى لا توجد السفارة الامريكية فى عاصمتها. فى عام ١٩٨٠ ، عندما صدر قانون أساسى بأن القدس هى عاصمة إسرائيل ، قامت الدول القليلة التى كانت لديها سفارات بها بنقلها من المدينة . ومنذ ذلك الحين لم تعد سوى السلفادور وكوستاريكا . أما بوليفيا وباراجواى فقد وصلتا فقط الى حدود منطقة مبسرت تسيون القريبة من القدس، وهو ما قد يورط هذه الدول فى حالة ما إذا تم تنفيذ مشروع ضم منطقة مبسرت تسيون الى الحدود البلدية للمدينة، وقانون القدس - الذى بادرت به جيئولا كوهين - كان ذا قيمة إعلانية فقط لأنه فى عام ١٩٦٧ قامت إسرائيل بضم شرق المدينة، ولكن ما قبل فيه ، أجبر الدول الأجنبية على أن تأخذ موقفا ضده .
إن ضم القدس عام ١٩٦٧ ، وضع أمام المندوبيات الأجنبية مجموعة متنوعة من المشاكل الجديدة فيما يتعلق بموقفها تجاه القدس. لقد كان لكثير من هذه الدول قنصليات فى شرق المدينة، كانوا يمثلونها أمام النظام الأردنى . بعد الحرب رفضوا أن ينقلوا اعتمادهم لاسرائيل ، وهو الأمر الذى خلق تعقيدات غير قليلة. مثلا كان لدى الولايات المتحدة قنصلية فى القدس منذ الربع الأخير من القرن الماضى، بعض مكاتبها فتح فى غرب المدينة فى شارع أرجون ، والبعض فى الشرق. وقد أقام القنصل العام فى مقره الرسمى فى شارع ارجون ، وكان ينتقل عبر بوابة مندلباوم فى طريقه الى مكاتبه بشرق المدينة. وكان قسم منح التأشيرات للاسرائيليين موجودا فى غرب القدس وفى القدس الشرقية القسم القنصلى للأردنيين .
بعد الحرب تقرر أن يعمل القسم القنصلى فى القدس الشرقية ليخدم الاسرائيليين والفلسطينيين ، وعلى التأشيرة الامريكية التى يحصل عليها الاسرائيلى مواطن القدس، يوضع ختم (القدس الغربية) ، أما القسم السياسى فقد استقر فى شارع ارجون . حاليا يقيم موظفو القسم السياسى فى الجزء الشرقى - فى بيت جنينا وشوعفاط ، واتصالاتهم الرسمية مع الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة . أما القنصلية الامريكية فى القدس ، فهى تعتبر بالفعل سفارة أمريكية للضفة والقطاع ، حسبما يقول بنفنستى.
وليس لموظفى القنصلية أية اتصالات رسمية مع وزارة الخارجية الاسرائيلية باستثناء القسم القنصلى الذى يرعى القضايا الادارية ، مثل اللوحات المعدنية الدبلوماسية لسيارات السفارة. وتقوم القنصلية بمخاطبة وزارة الخارجية مباشرة فى واشنطن ، وليس للسفارة فى تل أبيب .
العلاقة الوحيدة للقنصلية الأمريكية مع جهة رسمية فى إسرائيل هى بلدية القدس ، وذلك على غرار علاقة

القنصلية البريطانية، والفرنسية ، والبلجيكية وباقي القنصليات الأجنبية الكائنة في المدينة الشرقية. يقول بنبنشتي إنه في السبعينات أراد عمدة المدينة تيدي كوليك إقامة حفل عيد الاستقلال الرسمي في الحديقة المجاورة لبرج داود . وكان هذا هو الحفل الوحيد الذي اعتاد الممثلون الأجانب في المدينة أن يحضروه لأنهم كانوا يمتنعون عن الاستقبال الرسمي في مقر الرئيس . ولكن في أعقاب قرار كوليك ، أعلن عميد سلك القناصل - وكان آنذاك بنفنستي نائبا للعمدة، أن الفريق الدبلوماسي لن يستطيع حضور حفل الاستقبال لأنه أقيم في منطقة محتلة . ويقول بنبنشتي أخرجت خريطة وأوضحت أن المكان الذي سيقف فيه تيدي كوليك ويستقبل الضيوف كان حتى عام ١٩٦٧ منطقة مهملة ، فقال له عميد القناصل إذا تعهدت بذلك ، فسوف نحضر ، وهذا ما حدث . كذلك رفضت القنصليات الأجنبية في القدس الشرقية في السبعينيات دفع عوائد أبنيتهم للبلدية . وفي النهاية تم التوصل الى حل حيث قاموا بالدفع مقابل خدمات مثل جمع القمامة .

ومازال الى يومنا هذا الحذر مستمرا من جراء خطوات قد تفسر على إنها اعتراف بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية . وتحرص القنصلية الفرنسية الموجودة عند خط التماس بين شرق المدينة وغربها على عدم دعوة إسرائيليين وفلسطينيين لديها في وقت واحد . ولا تقوم أية قنصلية بدعوة مسئولين بالحكومة الاسرائيلية الى حفلات الاستقبال الدبلوماسية التي تقيمها .

وعلى مدار أكثر من مائة عام هيأت القنصليات الموجودة في القدس قواعد سلوك عامة، وطقوس ورموز تتناسب مع التقلبات السياسية في المدينة . يقول بنفنستي "إنها أمور حساسة يجب أن تعامل بصورة دبلوماسية ، وليس بشكل فظ، مثلما فعل وزير الخارجية الحالي".

خطة سرية لبلدية القدس ووزارة للاستيعاب : تحويل المدينة الى هدف وحيد امام استيعاب المهاجرين

■ هآرتس ١٧ / ٣ / ١٩٩٩

في وثيقة مشتركة لوزارة الامن الداخلي وبلدية القدس ، وضعت في بداية شهر يناير ١٩٩٩ على مكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ، وعلى مائدة اللجنة الوزارية لشئون القدس ، تم التأكيد على ان الاغلبية اليهودية في عاصمة اسرائيل تواجه الخطر .

في خطاب ارسله عمدة القدس ايهود اولمرت الى رئيس الوزراء في يناير ١٩٩٩، جاء ان (عدد غير اليهود في القدس يقدر حاليا بنسبة ٣١ - ٣٥٪ ومؤخرا، في اجتماع مشترك لوزراء الصناعة والتجارة والاستيعاب، اتفقنا على أن نوصي امام الحكومة بتحويل القدس الى هدف قومي مفضل (ووحيد) لاستيعاب المهاجرين ، وبخاصة من دول الكومنولث الجديد في خطة خمسية سنوية . وقد اتفقت وزارة الاستيعاب والبلدية على خطة امتيازات خاصة ، في اطار برنامج عام من اجل تحويل القدس الى مكان جذاب امام المهاجرين . وتقدر التكلفة العامة لهذا البرنامج بـ ٢٥٠ مليون شيكل على مر خمس سنوات . ومن أجل تنفيذ البرنامج عام ١٩٩٩ مطلوب ميزانية مقدارها ٣٥ مليون شيكل).

ويؤيد رئيس الوزراء هذا البرنامج مبدئيا .وفي لقاء عقد مؤخرا برئاسته ، شارك فيه اولمرت وكبار المسئولين في وزارة المالية اكد نتنياهو على موقفه الايجابي في هذا الشأن .

في تلك الاثناء تزايدت مطالب بلدية القدس لاستيعاب الهجرة الى ٥٨ مليون شيكل في عام ١٩٩٩. وسوف يحسم نتنياهو موضوع المبلغ الدقيق حتى اجتماع الحكومة الخاص بقضية القدس ، وذلك في منتصف الاسبوع المقبل .

ويبلغ اجمالي المطالب الخاصة للقدس لعام ١٩٩٩ ، ٢٦٣ مليون شيكل، منها ١٣٠ مليون لتطوير البنية التحتية بالقدس الشرقية، ٥٧ مليون كمنحة خاصة و ٥٨ مليون للاستيعاب .



دور "العبرية" فى الثقافة السياسية الإسرائيلية

أمين اسكندر

قامت التوراة بدور الحضانة، ومن ثم المفرخة المستمرة للصهيونية كأيديولوجية لشتات وجماعات وطوائف اليهود المنتشرة فى أرجاء المسكونة بغرض إقامة وطن أرض الميعاد - حسب وعد الله لهم - ولما كان هؤلاء اليهود هم شعب الله المختار - حسبما جاء ذكره فى التوراة - نجدنا أمام حالة تمايز بشر عن بشر، فهم فقط شعب الله المختار من كل المؤمنين فى العالم، وهم شعب الله المختار من كافة الشعوب السامية، لذا فنحن امام ثقافة سياسية ممتدة منذ آلاف السنين تغذيها التوراة حتى الآن، بل تعلم دروسها عبر المدارس الدينية وغير الدينية وفى كافة مؤسسات الدولة الصهيونية حتى الآن. لقد طبعت التوراة شخصية الشعب والمواطن الإسرائيلى على السواء.

فالتوراة كتاب مقدس! ونزل على شعب مقدس! وكل قادة الشعب فى عصور ما قبل الدولة مقدسين! وحروبهم مع أصحاب الأرض الفلسطينية والعربية مقدسة حتى ولو كانت عدواناً!

وقد أكد ذلك د. رشاد الشامى فى كتابه الهام «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية» عندما كتب فى صفحة ١٧١ ما نصه: «هذه النصوص التوراتية التى تغذى الوجدان الإسرائيلى بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية تدرس فى المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بأى معالجة نقدية تذكر.»

لذا لم يكن غريبا أن تكون مذبحة قانا ومن قبلها دير ياسين هما امتداد لمذبحة أريحا على يد يشوع بن نون - بطل التوراة حسب قول بن جوريون.

إذن نحن أمام سلوك ناتج عن نص مقدس وشعب مقدس وسلوك مقدس أيضا! ذلك هو جوهر الثقافة السياسية السائدة لدى التجمع الإسرائيلى على أرض فلسطين.

وحتى تستكمل دائرة القداسة لابد من تناول اللغة العبرية، فهى أيضا لغة مقدسة - حسب الرأى السائد عند اليهود وعند الحركة الصهيونية - ومن هنا كان الحفاظ على الابجدية العبرية فى المعابد والكنس فى فترات طويلة من زمن الشتات عاملاً فاعلاً فى الحفاظ عليها، بل أن كتابة اللهجات واللغات الأخرى - مثلما حدث فى اللاديتو واليديش - بالأبجدية العبرية حافظ عليها كأداة للتواصل والانعتاق والتعبير عن الشخصية اليهودية.

والعبرية لغة من مجموعة (اللغات السامية)، وقد جاءت نظرية اللغات السامية من التسمية التى أطلقها (شلوتسر) على العرب والفينيقيين والعبرانيين ومجمل الشعوب المذكورة فى التوراة على أنها من نسل (سام بن نوح) والقرابة بين اللغات السامية وثيقة جداً، وقد أدرك ذلك كثير من مستشرقى القرن السابع عشر، كما ادركه كثير من العلماء، قبلهم بمئات من السنين، كان من بينهم عالم يهودى (يهودا بن قريش) وهو من الذين عاشوا فى القرن العاشر. وقد أشار هذا العالم لوشائج القرابةالتى تجمع بين اللغات السامية وبين الخصائص اللغوية العديدة المشتركة بين تلك الألسن.

وقد دفعت تلك الخصائص المشتركة بعض العلماء للحديث عن وجود لغة أم فى الأيام القديمة تولدت منها بعد

تفاعلات كثيفة وأزمان مديدة مجموعة اللغات السامية.
وبما أنه من غير الممكن التعرف على اللغة السامية الأم حيث أن الكتابة لم تكن معروفة فى ذلك العهد، درس المستشرقون أقرب اللغات السامية إلى الأصل، كما يذكر د. جواد على فى مؤلفه الموسوعى «المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام».
من ذلك الدرس تم ملاحظة أوجه الشبه الظاهرة بين البالية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والأرامية والعربية والحبشية والنبطية واللهجات العربية الجنوبية، فهى تشترك فى أمور أصلية وأساسية من جوهر اللغة (جذور الأفعال - أصول التصريف - زمن الفعل - أصول المفردات والضمائر والأسماء - تصريف الأفعال..الخ).
ورغم القدم الموغل فى التاريخ الانسانى لتلك اللغات السامية فلابد أن نؤكد على أنه ليس هناك لغة واحدة تستطيع أن تدعى إنها سامية صافية ونقية خالية من فعل الناس على الأرض عبر الأزمان. بل دائما ما كانت تتأثر تلك اللغات بمجموعات لغوية أخرى غير سامية وذلك بسبب اختلاط الشعوب واتصال الألسنة.
والعبرية هى إحدى اللغات السامية المتفرعة من الشجرة الكنعانية التى تعددت فى التعبير عن الجماعات التى هاجرت من أهل الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب.
وقد ورد ذكر كنعان فى رسائل العمارنة التى تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت تطلق على القسم الجنوبى من بلاد الشرق الحاوية لأرض فلسطين والتى استولى عليها تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.
وكنعان هى نفس التسمية التى وردت فى التوراة وذلك نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، ويؤكد (الدكتور كلود شافر) بالاستناد إلى لوحات تل العمارنة، وإلى وثائق (رأس شمر) المكتشفة حديثا ما ذهبت اليه التوراة فى تحديد حدود كنعان «ثبت لنا أن بلاد كنعان بين شواطئ المتوسط الشرقية، وصحراء سورية اتسعت فى الجنوب من فلسطين الجنوبية إلى أوغاريت (رأس الشمرة قرب اللاذقية) وفى الشمال استعمر الكنعانيون سهول دانوفا (أدنة) الخصبة».
ومن المعروف أن أهل كنعان كانوا يتحدثون لغة هى بالتأكيد أقرب إلى اللغة السامية الأم (أى اللغة العربية البائدة) وبعد أن توزعت أرض كنعان بين الكنعانيين والفلسطينيين والعبريين، ظلت اللغة الكنعانية هى السائدة. لذا فمنذ فجر التاريخ المكتوب، أى منذ خمسة آلاف عام، لم تعرف فلسطين حتى عهد الانتداب البريطانى سنة ١٩٢٠، سوى لغات ثلاث: الكنعانية اولا، والآرامية ثانيا (لغة السيد المسيح)، والعربية ثالثا، كما تؤكد د. بيان نويهض الحوت فى كتابها الهام عن «فلسطين: القضية. الشعب. الحضارة».
ومن هنا فإن أعظم عمل قدمه الكنعانيون للحضارة هو اختراعهم الأبجدية الهجائية، ويتفق حول ذلك كثير من الباحثين، وقد نقلها الأراميون فيما بعد إلى آسيا حتى الهند، كما نقلها الفينيقيون إلى أوروبا، وعن ذلك يقول العلامة الألمانى الدكتور مورتكات فى وصف الكنعانيين، حسبما جاء فى ص١١٢ من كتاب «العرب واليهود فى التاريخ» للدكتور أحمد سوسة: «إننا نعلم من خلال الحفريات التى أجريت فى جبيل (بيبلوس القديمة) فى وسط ساحل بلاد الشام، وبالاستناد إلى المراسلات الملكية فى مدينة مارى، ومن موجودات الطبقات السفلى فى تل العطشانة بالقرب من انطاكية أن اناسا عرباً غربيين قد قطنوا بلاد الشام على الأقل منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وأن هؤلاء كانوا على قرابة مع تلك الفئة العربية التى حكمت بلاد ما بين النهرين منذ سلالة «حمورابى» و«أما من ناحية التسمية الخاصة فتطلق على هؤلاء العرب فى بلاد الشام إسم الكنعانيين، ولغتهم يجب أن تكون نفس اللغة التى اقتبسها اولئك اليهود».
بعد هذا الانتشار الكنعانى والعمورى، تدافعت هجرات عربية متعددة، تسمت بالأراميين نسبة إلى أرام بن سام بن نوح، واستقر الأراميون فى منطقة الفرات الأوسط فى أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد اقتبسوا الكثير من العموريين والكنعانيين ومن الحضارات التى جاوروها على مستوى الحياة والحضارة واللغة ومفرداتها.
وقد ساعد الموقع الذى أقام فيه الأراميين، فى توسيع تجارتهم ونشر لغتهم (اللغة الأرامية المولودة من الكنعانية) والتى بقيت دهوراً طوالاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية فى القرون الأولى قبل الميلاد فى بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين، كما كانت الأرامية لغة المسيح واللغة التى كتب بها الانجيل وظلت تلك اللغة حتى الفتح العربى فى القرن السابع بعد الميلادى وهى احدى اللغات السامية وأقربها إلى العبرية، وبمرور الزمن انقسمت الأرامية إلى عدة لهجات يمكن حصرها فى فرعين: الفرع الشرقى فى وادى الفرات حيث سادت اللهجة المندائية والسريانية ولهجة الحضر، أما الفرع الغربى فقد سادت فيه أرامية التوراة والانجيل واللهجات الأرامية فى حماه وتدمر وبلاد النبط. ومن الأرامية تولدت بعد أزمان طويلة اليونانية والبهلوية والأرمنية والعبرية.
ومن هنا فالعبرية هى احدى اللغات السامية من المجموعة الكنعانية، كما يقول د. عبدالوهاب المسيرى فى ص٢٢٦ من موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.
وعمر العبرية كلغة ليس بعميق، حيث إنها لم تظهر كلغة مستقلة إلا حوالى عام ١٤ قبل الميلاد، وأول النصوص

المعروفة بهذه اللغة يرجع تاريخها إلى ١٢٠٠ قبل الميلاد، وقد ظل العبرانيون يتحدثون بها حتى السبى البابلى فى ٨٥٦ قبل الميلاد، ثم أخذت موضعها بعد ذلك فى دوائر الحاخامات وأماكن العبادات والكتب الدينية المقدسة مثل (المشناه - الهالاخاه - المدراش).
هكذا تبلورت العبرية فى القرن الثانى قبل الميلاد، وتميزت كلغة فى القرن الخامس الميلادى، وهكذا نستطيع أن نقسم مسيرة اللغة المواكبة لحياة اليهود إلى ثلاث مراحل رئيسية:
١ - عصر النبى ابراهيم ويرجع تاريخه إلى القرن ١٩ قبل الميلاد، ولغة هذا العصر كانت الأرامية من الأسرة الكنعانية.
٢ - عصر النبى موسى ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة المصرية والكنعانية.
٣ - عصر اليهود ويرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولغة هذا العصر السائدة الأرامية والعبرية. وعن ذلك يقول جودت السعد فى كتابه «أوهام التاريخ اليهودى»: «أول الكتابات التى يمكن نسبتها لليهود هى المخطوطات على المسكوكات اليهودية من ١٣٥ قبل الميلاد إلى ١٣٢ - ١٣٥ ميلادى فى وقت كانت فيه اللغة العبرية تنمو».
كما يؤكد الباحث الإسرائيلى «موشيه داڤيد كاسوطو» أن اللغة العبرية ليست سوى لهجة انفصلت عن «الجذع الكنعانى.. وهذه الفرضية لا يمكن دحضها».
ولما كانت الارامية هى بمثابة الأب عن الجد الكنعانى، كان من الطبيعى أن تنقل العبرية عبر الكتاب اليهود الأوائل الأحرف الأرامية البالغة (٢٢) حرفاً والتى اعتبروها الأحرف العبرية، كما نقلوا طريقة كتابتها من اليمين إلى الشمال مثلما كانت تكتب الأرامية.
وهكذا نستطيع أن نوجز تطور مسيرة الخط العبرى عبر ثلاث مراحل:
أ - الخط المربع (الأرامى) وهو الذى استخدم فى الطباعة القديمة.
ب - الخط الربانى المستخدم من قبل رجال الدين فى العصور الوسطى.
جـ - الخط الطباعى المتصل والمتأثر بالخط البولندى والألمانى والمختلط باللهجات التى سادت السفارديم والاشكيناز، وهو الشكل المستخدم الآن للخط العبرى.
وما يهمنا أن نؤكد عليه من تتبع مسيرة تلك اللغة التى انبثقت من لغة سبقتها، وتفاعلت مع لغات عاصرتها وأحاطت بها، إن اللغة العبرية قد إستمدت بناءاً على ذلك نحو ثلث مفرداتها من اللغة العربية الحديثة والثلث الثانى من الأرامية (اللغة العربية القديمة)، والثلث الأخير مفردات أوروبية حديثة من الانجليزية والألمانية والفرنسية والروسية (حسبما عاش اليهود فى الشتات).
ويهمنا أيضا أن نؤكد على اختلاط العبرية بلهجات ولغات أخرى فى مناطق جغرافية متعددة، فنجد السفارديم الذين عاش أسلافهم فى أسبانيا فى القرون الوسطى، وبعدما تم طردهم منها عام ١٤٩٢ أقاموا فى فرنسا وهولندا وانجلترا واليونان وتركيا وما وراء البحار (أمريكا واستراليا) وكانت لغتهم هى لغة الـ «لادينو» وهى لغة اسبانيا فى القرون الوسطى ممزوجة بعبارات عبرية ومكتوبة بأحرف عبرية (أرامية الأصل).
أما الاشكيناز الذين عاش أسلافهم فى ألمانيا فى العصور الوسطى وكانوا يتكلمون لغة اليديش وهى لغة ألمانية قديمة تحتوى على بعض التعبيرات العبرية وتكتب بأحرف عبرية، وظلوا يتكلمونها حتى نهاية القرن التاسع عشر. بالاضافة إلى ذلك كان هناك يهود الأندلس الذين تحدثوا بالعربية اليهودية، أى العربية المطعمة بالعبرية.
إذن لم تكن العبرية لغة اليهود إلا فترة وجيزة من تاريخ العبرانيين فى فلسطين، أما بالنسبة للأقليات اليهودية فى أرجاء المسكونة فقد كانت عاداتها اللغوية تختلف باختلاف الزمان والمكان إلا إنها حافظت فى معظمها على الابجدية العبرية وعلى العبرية فى المعابد وبين رجال الدين.
ومن هنا أخذت العبرية سمات القداسة التى أعطتها قوة تأثير هائلة فى الجمهور اليهودى مثل التوراة - تقريبا - فهى اللغة السامية التى صاحبت اليهود على أرض فلسطين قبل السبى البابلى، وهى اللغة التى عاشت معهم فى الشتات عبر الصلوات والكتابات، وهى اللغة التى طعمت بها لهجات ولغات أخرى عاش اليهود ناطقين بها فى مناطق كثيرة مثل اللادينو واليديشية، وهى اللغة التى كتب بها بعض مبدعى يهود الشتات أدبهم مثل الأديب اليهودى الروسى تشرنحوفسكى، كما كانت هى اللغة التى كتبت بها بعض الكتب الدينية المقدسة مثل المشناه والهالاخاه والمدراش. ومن هنا حافظ يهود الجيتو على قداسة الابجدية العبرية - فى اعتقادهم - ورغم عدم حديثهم بها إلا أنهم أصروا على كتابة اليديشية بالابجدية العبرية، كما انهم منعوا أطفالهم من الدراسة فى مدارس الأغيار (الجوييم) لأن التصور الذى كان سائدا بينهم أن اليهودى الذى ينظر إلى أبجدية غير العبرية تحرق عيونه يوم القيامة (حسب ما جاء تحت لفظة عبرية فى موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية للدكتور عبدالوهاب المسيرى).
وعندما حاول المفكر الصهيونى (بن يهودا) رائد إحياء اللغة العبرية الحديثة، وصاحب القاموس العبرى القديم والحديث، التأكيد على الطابع القومى للعبرية قوبلت تلك

المحاولات من بعض المتدينين اليهود باستهجان ومقاومة لاعتقادهم بأن العبرية لغة مقدسة لابد أن تكون بعيدة عن رجل الشارع واستعمالاته الحياتية إلا أن يهودا كان يرى أن العبرية لغة مقدسة لذلك فهى القادرة على تجميع الشتات والتعبير عن الشخصية القومية لليهود. لذا فهى اللغة القومية.

وقد أعيد بعث اللغة العبرية فى الحديث على يد مفكرى حركة الاستنارة «الهسكالاه». كما أدركها رائدها الروحى موسى مندلسون بإعتبارها حركة إحياء ثقافى يهودى فى القلب منها إحياء اللغة العبرية باعتبارها لغة التراث اليهودى الأصلى. لذلك أصدر مجلة لنشر الثقافة العالمية بالعبرية، وفى عام ١٨٥٦ ظهرت أول جريدة بالعبرية، وفى عام ١٨٥٨ حتى عام ١٩٢٣ عمل اليعازر بن يهودا من أجل تخليص العبرية من الشوائب، وهو القائل «بأن إحياء اللغة لا يتم إلا بعد إحياء الأمة» وهو القائل أيضا «لو لم أكن مؤمنا بخلاص الشعب اليهودى لاعتبرت اللغة عائقا لا فائدة لها» وأخيرا يجمل رأيه فى الآتى «حياة إسرائيل فى روحها، وهذه الروح موجودة فقط فى التوراة، ولا يمكن التعبير عن هذه التوراة إلا بلغة الناس نفسها، لذا إذا تخلينا عن لغتنا يعنى إننا تخلينا عن روحنا - وبالتالى حكم علينا بالموت».

إذن نحن أمام مواقف متعددة ومتنوعة إلا أنها تصب كلها فى إعطاء كل الأهمية للغة العبرية، فهناك من رآها لغة مقدسة لابد من حفظها فى أماكن وكتب العبادة، وهناك من رآها لغة مقدسة لابد من تطعيم لغة الحياة بها عن طريق استخدام الأبجدية، وهناك من رأى إنها لغة مقدسة فلابد أن تكون رباط الشعب اليهودى واللغة القومية له. الكل حافظ على دور لهذه اللغة، وقد استمدت تلك اللغة من قداستها المرغوبة سندا قويا فى استمرارها والحفاظ عليها والتعبير عن طريقها عن اليهود ومشروعهم الصهيونى، لذا كان طبيعيا أن يكون بن جوريون من دعاة بعث اللغة العبرية وإهمال اليديشية، وأن تعمل «دولة إسرائيل» منذ تأسيسها على تسييد منهج لتدريس اللغة العبرية على الأجيال الجديدة منذ التحاقهم بالتعليم الابتدائى وما قبله، كما عملت على تسييد برنامج مزمن لتدريس اللغة بالنسبة لليهود الصهاينة القادمين من بلاد العالم المختلفة ليستوطنوا فلسطين. من هنا كانت اللغة بمثابة الرباط القومى فى بناء الدولة، كما كانت بمثابة الرباط المقدس فيما قبل الدولة.

لذا فقد لعبت التوراة دورا محوريا فى بعث وإحياء الحركة الصهيونية الاستيطانية على أرض فلسطين، وذلك عبر توظيفها فى التعبير عن الهوية اليهودية، وعبر توظيفها فى التعبير عن جوانبها العنصرية. وقد جاء كل ذلك متضافرا مع مرحلة ما بعد العصر الصناعى والرأسمالية فى طورها الاستعمارى الباحثة عن اسواق جديدة، لذا كانت التوراة هى الحضانة الطبيعية للصهيونية والعنصرية، كما كانت اللغة العبرية هى بمثابة الرباط المقدس - حسب اعتقاد اليهود - لهذه الدعوة ولهذا الشعب.

وقد ساعدت عوامل أخرى كثيرة فى الحفاظ على ذلك الفاعل المحورى ذى الأبعاد المتكاملة (التوراة) كان منها الجيتو اليهودى الذى حافظ على كل الموروث اليهودى عبر الأزمان والعصور.

من هنا ظل الدين اليهودى لفترة طويلة منذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى بمثابة العامل الرئيسى فى توجيه الحياة اليهودية لدرجة أن المؤرخ اليهودى (إسحق بير) يقول فى هذا الشأن: بالرغم من انه كان للدين فى تاريخ اليونان والرومان، وفى تاريخ أوروبا فى القرون الوسطى تأثير حاسم، فإنك لتجد لدى هذه الأمم، مع ذلك فصولا فى السياسة والأدب لا دخل للدين فيها. أما عندنا فإنك لا تكاد تجد مثل هذين الميدانين فى الزمن القديم إلى عشية عصر التنوير».

من هنا كانت التوراة فاعلا ذا أبعاد متعددة، وكانت العبرية بصورة ما لغة مقدسة والحفاظ عليها حفاظ على هوية وموروث مقدس.

وقد ساهمت تلك العوامل (التوراة - الصهيونية - العنصرية - العبرية..الخ) فى تشكيل الثقافة السياسية السائدة فى التجمع الصهيونى على أرض فلسطين، كما ساهمت فى تشكيل الصور النمطية السائدة عن الآخر. ويكفى أن نعلم إن الحروب التى تشنها (إسرائيل) على الدول العربية هى - وفق «الهالاخاه» (الشريعة النظرية) المحفوظة بالعبرية - حروب مقدسة للدفاع عن الشعب المقاتل من أجل حريته!!

والسلام طبقا للشريعة عند الربى يعقوب اريئيل «هو نبوءة آخر الأيام، ومعناه اعتراف العالم «بالوحدانية المطلقة للرب الواحد.. واعتراف سكان البلاد الذين يقيمون فيها من غير اليهود، بالقدس عاصمة روحانية لهم ومصدرا لوحيهم الأخلاقى، وحيث أن هذا اليوم ليس قائما فى مجال المستقبل الواقعى والنبوءة السياسية، وليس إلا جزءاً من أيام المسيح نفسها، فإن فكرة السلام مع إسرائيل والعرب مرفوضة تماما».

هكذا سارت المفاهيم الموروثة سريان الدماء فى شرايين الحياة الحديثة لليهود، وهكذا تشكلت الثقافة السياسية السائدة الآن فى التجمع الصهيونى.

الدولــة الإسـرائيــليـة والفـــجـوة الطـــائفيـة

رؤيـة

باهر شوقى

تبـدو إسـرائيل فى العـديد من الكتـابات والتـحليـلات السوسيولوجية كنموذج يحتذى على صعيدى الاستيعاب والدمج المجتمعيين، فهى أرض الفرص المتكافئة ودولة كل مواطنيها بغض النظر عن الطابع التوليفى والفوالق الاثنية التى تسم تركيبتها السكانية (الأشكناز أو اليهود ذوى الأصول الغربية ـ السفارديم أو اليهود ذوى الأصول الشرقية ـ الصابرا أو اليهود المولودين فى إسرائيل ـ عرب ١٩٤٨) ورغم الأزمات والتوترات الاجتماعية التى شهدتها الدولة فى العقود الأولى من نشأتها، وعلى رأسها حركة الفهود السود ١٩٦٩، إلا أنه غالبا ما يتم تجاوزها باعتبارها ذكريات كئيبة لمخاض عسير، وفى هذا السياق غالبا ما يتم التأكيد على تجسير الفجوة الاجتماعية بين التكوينات الاثنية والطائفية المكونة للمجتمع الإسرائيلى، خاصة بين الأشكناز والسفارديم، وعلى الرغم من الهيمنة النسبية لهذه الرؤية إلا أن ذلك لا يعنى الانتفاء الكامل لأية رؤى بديلة حيث توجد العديد من الاطروحات المضادة التى تنتقد خرافة بوتقة الصهر الإسرائيلية فاضحة اختزال مفاهيم الديمقراطية والمواطنة وقصرها على فئات وطوائف دون غيرها مما يؤسس لما يطلق عليه عدد من المحللين «ديمقراطية عرقية»، وهو الأمر الذى يؤدى بدوره لزيادة الاحتقان الاجتماعى وبلورة مفاهيم من قبيل «إسرائيل الثانية» بكل ما تعنيه من تمايز وانشطار اثنى وطبقى.

وعلى الرغم من التباين الحاد الذى تعكسه هذه الرؤى، إلا أن أزمتها مجتمعة تكمن فى إغفالها للسياق الموضوعى الناظم لتغيرات المجتمع الإسرائيلى، سواء تلك المتعلقة برأب الصدوع الاجتماعية والاقتصادية بين التشكيلات الاثنية والطبقية خلال الحقبة الوسيطة من نشأة الدولة، أو انبعاث تلك الصدوع مجددا منذ أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينات، فالنمو الاقتصادى ونموذج دولة الرفاه الذى اعتمدته دولة إسرائيل منذ بداية نشأتها قد ساهم بالفعل فى خلق آليات مؤسسية للتقريب بين الفئات والطوائف اليهودية، إلا أن ذلك لم يؤد مطلقا لخلق ما يمكن تسميته بوحدة عضوية فوق عرقية للمجتمع الإسرائيلى، حيث ظلت الانقسامات العرقية/ الطبقية تمثل صدعا أساسيا فى بنيته، وهى الوضعية التى تفاقمت بشكل حاد مع ما شهدته التوازنات الحرجة للمعادلة الاثنية/ الطبقية من تغيرات نوعية مع تدفق موجات الهجرة الأخيرة.

تغيرات الموزاييك الإسرائيلى:

كمجتمع مهاجرين يعد المشهد الإسرائيلى فسيفساء إثنية فعلية، حيث تتعدد الأصول العرقية والطائفية التى تنتظم تحت مفهوم المواطنة الإسرائيلية، وبشكل أولى يمكن تقسيم مواطنى إسرائيل إلى جماعتين قوميتين، أغلبية يهودية (٨١,٤٪ وفقا لاحصاءات ١٩٩٣)، وأقلية عربية فلسطينية (١٨,٦٪ عند ضم سكان القدس العربية وهضبة الجولان، ونحو ١٥,٤٪ عند استثنائهم)، وتحت هذا التصنيف العام تنقسم كل جماعة قومية إلى جماعات أثنية فرعية، حيث ينقسم اليهود لجماعات عديدة طبقا لبلدان المهجر «الدياسبورا» وإن كانوا يعودون للانتظام مجددا تحت التصنيفات الثلاثة الرئيسية، اشكناز ـ سفارديم ـ صابرا والذين يمثلون على التوالى ٣٩,٩٪، ٣٦,٣٪، ٢٣,٨٪ من إجمالى السكان اليهود، وفى المقابل ينقسم العرب إلى ثلاث جماعات دينية (مسلمون وهم الأغلبية ويمثلون نحو ١٤,١٪ من إجمالى السكان ـ مسيحيون ويمثلون نحو ٢,٨٪ ـ دروز وآخرون وهم حوالى ١,٧٪)، وقد مرت المعادلة الاثنية بعدد من المراحل اتسمت أولاها ـ والتى استمرت من نشأة الدولة ١٩٤٨ إلى أوائل الستينيات ـ بغلبة العنصر الاشكنازى من حيث العدد، حيث كانت النسبة بينهم وبين السفارديم ٥٢,١٪ ـ ٤٧,٩٪، أما الثانية فقد استمرت من أوائل السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات وشهدت انقلاب المعادلة الطائفية، حيث تقلصت نسبة اليهود الغربيين لصالح اليهود الشرقيين فأصبحت النسبة بين الطرفين ٤٤,٢٪ مقابل ٤٧,٤٪ وذلك فى عام ١٩٧٢، وقد انعكس ذلك بشكل ايجابى ـ ولو نسبيا ـ على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لليهود الشرقيين، إلا أن هذه الوضعية قد تعرضت بدورها لمراجعة جذرية من أواخر الثمانينيات وحتى الآن، حيث شهدت هذه الفترة موجات هائلة من الهجرة، شكل يهود الجمهوريات السوفيتية السابقة الشطر الأعظم منها الأمر الذى أثر بشكل عضوى على

تركيبة المجتمع الإسرائيلي - فعليا على المستوى العرقي، وضمنيا على المستوى الطبقي - حيث بلغ إجمالي هؤلاء المهاجرين نحو ٧٦٩ ألف مهاجر - طبقا لآخر تقديرات عام ١٩٩٨ - نحو ٨٥٪ منهم على الأقل يهود غربيون «اشكناز»، وهو ما انعكس في تزايد حجم الاشكناز مقابل السفارديم (٣٩,٩٪ مقابل ٣٦,٣٪، بينما مثل الصابرا نحو ٢٣,٨٪) الأمر الذي يعني قلب المعادلة العرقية رأسا على عقب لصالح الاشكناز وبنسب ترجع إلى العهود الأولى من نشأة الدولة اليهودية، وإذا ما أضفنا إلى ذلك ارتفاع المكون التعليمي/ الفني/ المهاري لهؤلاء المهاجرين - ٤١٪ من مهاجري الموجة الأخيرة من ذوي الدرجات العلمية والجامعيين، ٣٤٪ من العمال المهنيين والتقنيين مقارنة بنحو ٩٪، ١٧٪ على التوالي بين السكان اليهود في إسرائيل فإن ذلك سوف يعني بداهة استئثار هؤلاء المهاجرين بنسب متعاظمة من الوظائف سواء المستجدة أو القائمة بالفعل، وهو ما سيكون في الأغلب على حساب السفارديم الذين يمثلون النسبة الأعلى من العاملين والمهنيين في المستويات الوسيطة والدنيا من الهيكل الوظيفي سواء في القطاع الحكومي أو الخاص.

كل ذلك فضلا عن الأقلية العربية والتي تقع في أسفل السلم الاجتماعي (من حيث حصتها من التعليم - الوظائف - الخدمات - الدعم) مقارنة بالاشكناز والسفارديم، فهذه الأقلية التي تمثل نحو ١٩٪ من سكان إسرائيل هي الأكثر عرضة لدفع كل من فاتورة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها الدولة الإسرائيلية حاليا، إضافة إلى التكلفة الاجتماعية لاستيعاب المهاجرين الجدد، وهو الأمر الذي سيتجسد عمليا في ارتفاع معدلات البطالة فيما بينهم مقارنة بالتكوينات العرقية الأخرى.

تبدو التكهنات السالفة للوهلة الأولى وليدة قراءة متعسفة للتشكيلة الاجتماعية الإسرائيلية، خاصة إذا ما راعينا مؤشرات التنمية البشرية والتي تصنف المواطن الإسرائيلي في مصاف مواطني الرأسماليات الغربية المتقدمة (من حيث متوسط الدخل السنوي - مستويات التعليم - الرعاية الصحية - الضمانات الاجتماعية وغيرها)، إلا أن ذلك لا يعدو الوجه البراق للعملة والذي يخفي في طياته تمييزا مؤسسيا ضد العديد من الفئات والطوائف العرقية، حيث يختلط الاثني بالطبقي ليؤبد الوضعية الدونية لكل من السفارديم والعرب مقارنة بالاشكناز، وعلى الرغم من الندرة النسبية لبيان توزيع الدخل/ الدعم/ الخدمات على المتواليات الاثنية إلا أن الدراسات والاحصاءات القليلة المتوافرة تكفي لبلورة صورة شبه مكتملة عن التمايز الطائفي في الدولة الإسرائيلية.

الدولة الإسرائيلية: التكريس المؤسسي للتمايز:

يمثل الانتماء معيارا للفرز والاستقطاب المجتمعيين داخل الهرم الطبقي الإسرائيلي، حيث يشكل الغربيون «الاشكناز» غالبية البرجوازية المحلية، فضلا عن الشرائح العليا والوسطى من الطبقة الوسطى، بينما وفي المقابل يشكل الشرقيون «السفارديم» غالبية الطبقة العاملة، حيث تشير إحصاءات الجهاز المركزي الإسرائيلي لعام ١٩٩٥ أن حوالي ٤٤٪ من أبناء الجيل الأول من المهاجرين الاشكناز ينتمون لشريحة ذوي الياقات البيضاء مقابل قرابة ٢٠,٦٪ من السفارديم والوضعية ذاتها تتكرر وإن كانت بشكل أكثر حدة فيما يتعلق بالجيل الثاني حيث ينتمي نحو ٥٠٪ من أشكناز الجيل الثاني إلى شريحة ذوي الياقات البيضاء مقابل ٥٪ فقط من السفارديم، كما أن نحو ٢٨٪ فقط من الاشكناز يعملون في مجال الخدمات مقابل حوالي ٥٤٪ من السفارديم، ويعكس التشريح السوسيولوجي للمجتمع الإسرائيلي المعاناة التاريخية لكل من السفارديم والعرب فيما يتعلق بحصتهم من فرص العمل، والدخل، والخدمات وغيرها، الأمر الذي يعزز الانطباع بأن الفجوة الاثنية لا تتضاءل بل يتم مأسستها ونقلها إلى الأجيال التالية، وهو الأمر الذي يتأكد عبر مطالعة البنية التشغيلية اليهودية ومقارنتها بالانتماء الاثني، فوفقا للاحصاءات الإسرائيلية الرسمية لعام ١٩٩٣ يمكن تقسيم المجتمع الإسرائيلي للفئات التالية:

(أ) الاشكناز أو اليهود الذين ولدوا لآباء أوروبيين/ أمريكيين، ويسيطرون على الدرجات العليا في السلم الوظيفي، حيث يمثلون نحو ٤٠,٢٪ من إجمالي المهن العلمية والفنية والأكاديمية، كما أن مستوى تعليمهم عموما أعلى من بقية التكوينات العرقية الأخرى (٥١,٩٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر) ونتيجة لذلك فإن متوسطات دخولهم أعلى بكثير من متوسطات دخول الشرائح الأخرى، حيث تراوح حوالي ٧٨٢١ شيكلاً شهريا.

(ب) المهاجرون من الاشكناز، ويأتون بعد الشريحة الأولى من حيث الموقع الوظيفي (٣٠,٧٪ منهم يشغلون وظائف علمية وفنية وأكاديمية) كذلك من حيث مستوى التعليم ٤٢,٧٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر) ومن البديهي أن ذلك ينعكس بدوره على دخولهم وبالتالي على أوضاعهم الاجتماعية والمعيشية.

(جـ) يهود الصابرا أو اليهود الذين ولدوا هم وآبائهم في إسرائيل، وهؤلاء تتراوح أوضاعهم المهنية والمعيشية بين الشرائح العليا الغربية والشرائح الدنيا الشرقية (٢٨,٣٪ منهم يشغلون وظائف علمية وفنية وأكاديمية) كما أن نحو ٣٢,٦٪ منهم قد انهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر، وهو ما ينعكس بطبيعة الحال على متوسط الدخل الشهري لهذه الشريحة والذي يبلغ حوالي ٦٤٢٦ شيكلاً.

(د) السفارديم أو اليهود الشرقيون وهم أدنى في أوضاعهم الاجتماعية مقارنة بالفئات السابقة، حيث يمثل العمال - المهرة وغير المهرة - النسبة الأكبر من أبناء هذه الطائفة (٢٨,٨٪ من إجمالي مواقعها الوظيفية وذلك مقابل نحو ١٨,٧٪ في المهن الفنية والأكاديمية) كذلك فإن مستوى تعليمهم أدنى (٢١٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر)، الأمر الذي ينعكس على أوضاعهم العيشية حيث تتراوح متوسطات دخولهم حوالي ٥٥٠٨ شيكلات شهريا.

(هـ) المهاجرون الشرقيون، ويمثلون أدنى الطوائف العرقية اليهودية، سواء فيما يتعلق بالتوزيع المهني (٢٩,٦٪ عمال مهرة وغير مهرة، مقابل نحو ١٤,٩٪ مهن علمية وفنية

وأكاديمية) أو من حيث مستوى التعليم (٨ , ٤٥٪ أنهوا أقل من ٤ , ٩٪ سنة دراسية) وبداهة فإن ذلك ينعكس سلبا على دخولهم وأوضاعهم المعيشية.

(و) العرب، ويأتون من حيث التصنيف الاجتماعى فى قاعدة السلم الطبقى للمجتمع الإسرائيلى، سواء من حيث التوزيع المهنى (٥ , ٥٤٪ عمال مهرة وغير مهرة مقابل حوالى ٥ , ١٢٪ فى المهن الفنية والأكاديمية) أو من حيث مستوى التعليم (١ , ١١٪ فقط أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر) وهو الأمر الذى ينسحب على أوضاعهم المعيشية حيث لا تزيد متوسطات دخولهم عن ٣٩٣٨ شيكلاً شهريا.

تظهر المعاملات السابقة عمق الفجوة الاجتماعية التى تسم المجتمع الإسرائيلى، وهو الأمر الذى يثبت خطأ التحليلات التى تؤبن الانقسام الاثنى/ الطبقى باعتباره كابوسا تاريخيا وظرفيا تم تجاوزه، فالأوضاع الآنية تثبت بجلاء استمرار التمايز الاجتماعى على قاعدة الانتماء العرقى، بل إن الأخطر من ذلك يكمن فيما يمكن أن نطلق عليه مأسسة التمايزات أو إعادة إنتاجها بشكل هيكلى داخل بنية المجتمع ذاته، فالتباينات الفاصلة بين الطوائف والعرقيات المختلفة المكونة للمجتمع الإسرائيلى سواء تلك المتعلقة بالمستوى التعليمى أو بالقدرات الفنية والمهارية، تلك الاختلافات التى كان يمكن تفسيرها مع بدايات الدولة باختلاف دول المهجر وتباين الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للمهاجرين، فضلا عن الاختلاف فى ظروف الهجرة ذاتها وبالتالى قدرة الدولة على الاستيعاب والتى كانت تخلق إلى حد ما معايير موضوعية للتمييز، تلك الاعتبارات ذاتها قد تحولت إلى مجرد منظومة تبريرية لتسويغ الوضع القائم، فبدلا من القضاء على أو حتى تقليص هذه الفجوة الاجتماعية (عبر زيادة مخصصات التعليم، الخدمات، حصص التوظيف للفئات الأدنى اجتماعيا) يشهد المجتمع الإسرائيلى عملية مؤسسة لإعادة انتاج هذه التمايزات حيث يتم نقلها للأجيال التالية سواء من اليهود أو العرب، فانطباق معاملى الطبقة/ الطائفة يخلق ميكانزما لتكريس الوضعية الدونية للسفارديم والعرب فيما يتعلق بتأهيلهم العلمى والفنى وتلك الوضعية بدورها توفر الآليات اللازمة موضوعيا لاستبعادهم وتهميشهم مهنيا واجتماعيا، فبعد مرور خمسة عقود على نشأة الدولة مازال التمثيل الطائفى لليهود فى المراحل التعليمية المختلفة يعكس الملامح الكئيبة للتمييز والازاحة المجتمعية، حيث تبلغ نسبة حملة الشهادات الجامعية فى أوساط الإسرائيليين المنحدرين من أصول اشكنازية ضعف نسبتهم فى أوساط المنحدرين من أصول آسيوية ونحو ثلاثة أضعاف ونصف مقارنة بالمنحدرين من شمال أفريقيا، ولا يبدو أن هذا التباين الهائل فى سبيله للتضاؤل، فعلى سبيل المثال يشكل اليهود الشرقيون حوالى ٣ , ٢٦٪ من مجمل الطلبة الدراسين بالجامعة فى مرحلة الليسانس وذلك على الرغم من كونهم يمثلون نحو ٥٧٪ من مجمل الشباب الإسرائيلى فى المرحلة السنية بين ٢٥ - ٢٩ عاما، كما أن نسبتهم محدودة للغاية فيما يمكن أن نطلق عليه كليات القمة (الكليات العملية ذات المستقبل المهنى المضمون)، حيث لا تتعدى نسبة اليهود الشرقيين فى كليات الهندسة ٢٣٪ من إجمالى الطلبة، كما أنها لا تتعدى ١ , ٢٠٪ فى كليات الطب، وحوالى ٥ , ١٩٪ فى كليات الحقوق، وفى المقابل فإن نسبتهم تقدر بنحو ٨ , ٣١٪ فى كليات الآداب، و٤ , ٢٨٪ فى كليات العلوم الاجتماعية، وبطبيعة الحال فإن الوضع ذاته يتكرر على مستوى الدراسات العليا حيث لا تزيد نسبة السفارديم الذين يدرسون للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراة عن ٣ , ٢٢٪، ٥ , ١٤٪ على التوالى، والوضع ذاته بالطبع يتكرر وبشكل أكثر حدة بالنسبة لعرب ٤٨، الأمر الذى يؤثر بدوره على القدرات التنافسية للطوائف الثلاث داخل سوق العمل والذى يمكن رصد ملامحه فى تباين معدلات البطالة فيما بينهم، فوفقا لأرقام عام ١٩٩٥ كانت نسب البطالة بين الاشكناز، السفارديم، العرب ٦ , ٣٪، ٨ , ٨٪، ١٩٪ على التوالى، وإذا ما أضفنا إلى ذلك التمييز الذى يواجهه اليهود الشرقيون والعرب بخصوص أنماط معينة من الوظائف والمهن الفنية لاتضح لنا حجم التأثير الذى يمارسه البعد الطائفى فى الواقع الاجتماعى الإسرائيلى، فهناك العديد من المؤسسات التى لا يشكل السفارديم والعرب فيها سوى أقلية ضئيلة، ومثال ذلك الهيئة القضائية، حيث يمثل الاشكناز حوالى ٧٦٪ من إجمالى الهيئة القضائية مقابل ١٧٪ للسفارديم، ٦٪ للعرب، وذلك فضلا عن شركة الكهرباء التى يبلغ عدد عمالها ١٣ ألف شخص ليس من بينهم عربى واحد. توضح المعاملات السابقة حجم التناقضات التى غدت ملمحا عضويا فى بنية المجتمع الإسرائيلى، بيد أنه من الضرورى مراعاة أن تاريخية ومؤسسية هذه التباينات لا يعنى القبول المجتمعى بها فإحتدام التمايزات الطبقية وتطابقها مع الانقسامات العرقية والطائفية تخلق الأسس الموضوعية للتناحر السياسى، الأمر الذى بدأ يتجلى فعليا فى الآونة الأخيرة والتى شهدت تصاعدا فى حجم الاحتجاجات والتذمرات الجماهيرية والعمالية، وفى الحقيقة فإن هذه الوضعية مرشحة للتفاقم فى ظل التغيرات التى يمر بها المجتمع الإسرائيلى، خاصة تلك المتعلقة بإعادة هيكلة القطاع الانتاجى، مع ما يعنيه ذلك من تغير البنية التشغيلية، والتقلص المتزايد فى القدرة الاستيعابية للقطاعات الانتاجية (سواء التابعة للحكومة أو الهستدروت)، حيث تشير الأرقام المتوافرة فعليا إلى الانخفاض المتتالى لنسبة العمال المهرة وغير المهرة من إجمالى العاملين من ٢ , ٣٥٪عام ١٩٥٥ إلى ٩ , ٢٣٪ عام ١٩٩٣، وانخفاض نسبة العاملين بالزراعة من ٤ , ١٤٪ إلى حوالى ١ , ٣٪ على التوالى، ونظرا لتركز كل من السفارديم والعرب فى هذه القطاعات، فإن هذه الفئات هى التى ستعانى من الآثار السلبية لسياسات التحول الاقتصادى.

من ناحية أخرى فإن التدفق المستمر للهجرة الاشكنازية والتميز النوعى لهؤلاء المهاجرين (علميا/ مهاريا) سيشكل ضغطا هائلا على فرص ومجالات العمل المتاحة، سينتهى فى الأغلب باستبعاد شرائح متنامية من السفارديم والعرب بما يمثله ذلك من تدهور فى شروط وجودهم المجتمعية، وهو الأمر الذى سيفاقم بدوره من حدة الأزمة بشقيها الاجتماعى والسياسى.

رؤية

معضلة تعليم الفلسطينيين فى إسرائيل

عبد القادر ياسين

قررت قيادات عربية فى إسرائيل فى ٢٦ أغسطس الماضى، إعلان اضراب انذارى فى المدارس العربية فى إسرائيل احتجاجا على ما تعانيه هذه المدارس من سياسات الحكومة الإسرائيلية. وتحدد يوم ٧ سبتمبر ١٩٩٨، للبدد بالاضراب، وهو اليوم الذى تقرر أن تنظر فيه المحكمة العليا الإسرائيلية فى الالتماس الذى قدمته «لجنة متابعة قضايا التعليم فى الوسط العربى»، و«لجنة المتابعة العليا لرؤساء السلطات المحلية العربية»، ضد رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، لأن حكومته لم تأخذ فى اعتبارها احتياجات التعليم فى الوسط العربى، مما دفع العضو العربى فى اللجنة الوزارية، المختصة بتطوير التعليم فى إسرائيل، إلى الاستقالة. خاصة بعد أن ظلت الخطة الخمسية لتطوير التعليم العربى - (زهاء ٤٢٠ ألف دولار) - حبرا على ورق على مدى خمس سنوات متصلة.

وقد تشكلت القيادات العربية هنا من طاقم ضم اللجنتين السابق الاشارة اليهما، اضافة إلى «الاتحاد القطرى للجان أولياء الأمور»، وأعضاء كنيست عرب»، و«اتحاد لجان الطلاب الجامعيين العرب»، وتربويين عرب. وحضرت هذه القيادات لمظاهرة طلابية، فى القدس، بعد اسبوع واحد من انتهاء الاضراب.

على أن اللجنة المنظمة بكّرت موعد بدء الاضراب إلى سبتمبر الماضى، بعد أن أعلن المعلمون فى إسرائيل، فى ذلك اليوم اضراباً مفتوحاً عن العمل بمجرد انهيار محادثاتهم مع الحكومة الإسرائيلية، بسبب امتناع وزير المالية الإسرائيلى، ياكوف نئمان عن توقيع اتفاق جديد يقضى برفع اجور المعلمين. وانتهى الاضراب صباح يوم ٩/٨ بعد الاستجابة لمطلب رفع الاجور.

التعليم والوطن:

يأتى التعليم، بعد الأرض، فى مقدمة دعائم صمود الأقلية العربية المضطهدة فى إسرائيل، ودرعا للحفاظ على الهوية القومية لهذه الأقلية.

غنى عن القول بأن التعليم قضية سياسية بالدرجة الأولى. وليس هذا من قبيل المبالغة، أو للضرورة التحريضية ضد عدو الأمة. فتلك هى وزارة المعارف الإسرائيلية نفسها تشارك فى اصدار «الموسوعة التربوية» الإسرائيلية، التى تؤكد بأن «التربية هى محصلة النظام السياسى من جهة، وعامل مشارك فى خلق هذا النظام، من جهة أخرى».

فى إسرائيل ثمة ما يربو قليلا على المليون عربى فلسطينى، يرزحون تحت نير الحكم الصهيونى المباشر، فوق الأرض التى اغتصبتها الصهيونية، خلال الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (٤٧ - ١٩٤٨). وينخرط قرابة ثلث فلسطينيى ٤٨ فى التعليم: تلاميذ فى رياض الأطفال، والمدارس الابتدائية، والاعدادية والثانوية، والمعاهد العليا والجامعات.

أحوال متردية:

تعبر أوضاع التعليم فى الوسط العربى هنا عن كارثة، فى أكثر من مجال. فعلى مستوى غرف التدريس - على سبيل المثال، اكتفت السلطات الإسرائيلية ببناء ٤٦ غرفة، فيما بين عامى ١٩٨٠ و١٩٨٤، حين كان الوسط العربى يحتاج إلى ٣٠٠ غرفة، سنويا، لسد التزايد السكانى الطبيعى فى الوسط العربى. وفى سنة ١٩٨٤، وحدها كان الوسط العربى فى أمس الحاجة إلى ١٥٠٠ غرفة تدريس، بما يوازى قرابة ٤٠ فى المائة من مجموع غرف التدريس التى كان الوسط العربى يمتلكها، آنذاك. مما يعنى أن الطلاب العرب فى إسرائيل يتلقون تعليمهم فى شروط غير إنسانية، وفى قطيعة تامة مع الاحتياجات الأساسية للعملية التعليمية.

أما فى مجال المكتبات العامة، ففى السنة نفسها كانت

١٥١ قرية ومدينة عربية في إسرائيل تمتلك ١٣ مكتبة هزيلة، تشارك وزارة المعارف الإسرائيلية بما لا يتعدى ١٠ في المئة من تكاليفها المتواضعة.
إن ثمة اضطهادا ملحوظا للسلطات المحلية العربية في إسرائيل، حتى أن ٤١ سلطة محلية عربية، من بين خمسين تقبع في أسفل سلم توزيع الميزانيات. مما ينعكس سلباً، على جهاز التعليم العربي، وعلى الطلاب ومستواهم التعليمي. في السياق نفسه، هناك حرمان للمناطق العربية من مزايا مناطق التطوير.
إذا ما انتقلنا إلى الشبيبة (تحت سن ١٨ سنة)، فإننا نلاحظ بأنهم يشكلون زهاء ٧٠ في المئة من مجموع فلسطينيي ٤٨. أي أن المعالين يفوق عددهم كثيرا عن المعيلين، علما بأن متوسط عدد أفراد الأسرة العربية الواحدة (٨ أفراد)، بينما نحو ٩٠ في المئة من نساء الوسط العربي لا يعملن.
كما أن هناك قرابة ٦٠ في المئة من فلسطينيي ٤٨ يقيمون في الريف، ونسبة غير قليلة منهم لا تعمل في أماكن سكناها، بحيث لا يعود هؤلاء إلى قراهم، الا يوما واحدا في الاسبوع، مما يكسبهم قسطا من ثقافة العدو، المتعارضة مع ثقافتهم القومية، ويفقد بعضهم هويته، ويهمِّش بعضاً آخر منهم، بما يفسح المجال للانحرافات السلوكية.
وفي المقابل يقيم قرابة ٧٠ ألف عربي في المدن المختلطة، مع مستوطنين يهود (حيفا، عكا، اللد، الرملة، ويافا)، حيث يرزح العرب تحت نير حياة اقتصادية، واجتماعية بالغة القسوة، يسودها التمييز الشامل ضدهم.
ومن ناحية أخرى، يقاسي البدو من الترحيل القسري المتكرر، والحرمان الشديد من الخدمات، بينما يتمرد شبابهم على الأسرة والقبيلة، بمجرد التحاق هذا الشباب بعمل ما في المدينة، ويحقق استقلاله الاقتصادي، مع هشاشة وعيه الاجتماعي، والوطني. وهنا الطامة الكبرى.
إن الشبيبة العربية ضحية اهمال الحكومة الإسرائيلية المتعمد لكيفية قضاء هذه الشبيبة أوقات الفراغ، وتطوير المواهب الواعدة من بينها. وتساهم وزارة المعارف الإسرائيلية بـ ٤٠ في المئة فقط، من ميزانيات بيوت الشبيبة العربية، تاركة للمجالس المحلية العربية أمر تغطية الـ ٦٠ في المئة المتبقية. وفي الوقت ذاته تتميز بيوت الشبيبة اليهودية عن نظيرتها العربية في تعزيز تمويل الأولى من «شركة المراكز الثقافية» و«مشروع ترميم الاحياء»، وغيرهما من المؤسسات الصهيونية، ناهيك عن دعم وزارة المعارف. مما حصر أمر الاهتمام بالشبيبة والرياضة العربيتين في ٩ مجالس عربية محلية لا غير.
لقد أسهمت الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية المتردية لفلسطينيي ٤٨، بالقسط الرئيسي في جنوح الأحداث والشبيبة العرب. فالمعروف أن الأطفال يولدون، وينمون، في ثلاث بيئات رئيسية: المنزل، والمدرسة، والمحيط.
إن قيادة المجتمع (الدولة) غير العادلة، والمتحيزة ضد العرب، قد استمرأت حل مشاكل مستوطنيها اليهود على حساب المواطنين العرب، بما في ذلك مجال الخدمات الأساسية. حيث تحرم السلطات المحلية العربية من الموارد التي تمكنها من تقديم بديل لهذه الخدمات.
هذا كله دفع منحنى ظاهرة جنوح الأحداث العرب إلى الأعلى. فحتى عام ١٩٨٠ كان الجانحون منهم لا يمثلون سوى ٢١ في المئة من مجموع الأحداث الجانحين في إسرائيل. وهذه نسبة معقولة لأقلية مضطهدة، تمثل قرابة ١٧ في المئة من مجموع سكان البلاد. على أن تلك النسبة ارتفعت، سنة ١٩٨٤، إلى ٤٧ في المئة، لتتجاوز سنة ١٩٨٧ النصف بقليل، توزعت إلى اعتداءات جسدية (قرابة النصف)، سرقة وسطو (٤٠٪)، وتبقى ١٠٪ للمخدرات، اتجاراً وتعاطياً.

رياض الأطفال وتعليم الكبار:

في رياض الأطفال لا ينخرط سوى أقل قليلاً من ١٠ في المئة من الأطفال العرب، مقابل ٩٨ في المئة من الأطفال اليهود، الذين تستقبلهم غرف عصرية، ووسائل تربية وترفيه متطورة. بل إن الكثير من الحضانات العربية مهددة بالإغلاق مما أدى إلى دفع قضية التعليم العربي في إسرائيل خطوات واسعة إلى الخلف، فتأخر التحاق الطالب العربي، سنتين أكثر من نظيره اليهودي، مع ما ترتب على هذا الاجحاف من مضاعفات.
وفي الوقت الذي تقرر فيه وزارة المعارف الإسرائيلية بأن لكل طفل ١.٥ متر، من مساحة الروضة، فإن خُمس مجموع الرياض العربية هناك يفتقر إلى هذا الشرط مما زاد في تنفير الطفل العربي من التعليم ككل.
وإذا ما مددنا البصر إلى أوضاع التعليم المهني، نجده يضم قرابة ١٥ في المئة من طلاب المدارس الثانوية العربية، مقابل ما بين ٥٥ - ٦٠ في المئة في الوسط اليهودي. وقد أسهم ضعف التعليم المهني في تواضع مستوى التصنيع في الوسط العربي، بل إن لذلك الضعف دورا غير قليل في تحول القرية العربية هناك من وحدة منتجة إلى وحدة مستهلكة.
بلغة الأرقام، ثمة عشرون مدرسة مهنية في الوسط العربي، متواضعة الامكانات، يدرس فيها زهاء ١٠ في المئة من مجموع الطلبة العرب، يتلقون مبادئ ٦ مهن بسيطة، مقابل ٢١ مهنة راقية يتلقى مبادئها الطلبة اليهود. مع ملاحظة أن معظم التعليم المهني يدرَّس في المدارس العربية العادية، وليست المتخصصة، على النحو الذي يتم في الوسط اليهودي.
كما يتجلى التحيز المكشوف ضد العرب، من خلال حصة الطالب العربي في إسرائيل، التي لا تزيد عن ٧٥ شيكلا

إسـرائيليـا (نحـو ٢٠ دولاراً) فى السنة، من «برنامج الرفاه»، مقابل ٦٣٢٨ شيكلاً لنظيره اليـهودى، بفارق قدره خمسين ضعفا، لحساب الثانى.

فى مـجـال تعليم الكبـار، أقـامت وزارة المعـارف - إبان السبعينيات - مراكز فى ٣٥ قرية عربية. على أن تلك الوزارة عـمدت - فى أول مـوجـة تقليص للمـصـروفـات (١٩٨١) إلى اغلاق تلك المراكز، لتخلى الوسط العربى منها تماما.

ننتقل إلى إدارة التعليم التى تكاد توصد أبوابها فى وجه المثقفين والاكاديميـين العرب، رغم توارى «الاسباب الأمنية» التى طالما انتصبت فى وجوه العرب، بمجرد تجرؤ أى منهم على طلب وظيفة فى أى من الوزارات الأخرى، خاصة الخارجية والدفاع. ومن بين ٩٥٠ وظيفة ادارة وتفتيش فى وزارة المعارف الإسرائيلية ثمة ٤٠ فقط فى القسم العربى، تستوعب ٣٤ عربيا، تجمعوا فى أسفل السلم الوظيفى.

التعيم الابتدائى:

فى البداية، طُبق على العرب ما طبق على اليـهود فى مجال مناهج التعليم الابتدائى، «على أساس قيم وثقافة إسرائيل». إلى أن قاربت السـبعـينيـات على الانتـهـاء، حيث تشكلت لجنة لتخطيط التعليم فى إسرائيل، لعقد الثمانينيات، ترأسها اليعاد بيليد. وانبثقت عن هذه اللجنة لجنة أخرى، ترأسها الجنرال نتنياهو بيليد، اختصت بالتخطيط للتعليم فى الوسط العربى. وانتهت اللجنة الأخيرة إلى اقتراح تعديل يقضى بأن تقوم التربية فى الوسط العربى «على قيم الحضارة العربية، وعلى التطلع إلى السلام بين إسرائيل وجاراتها.. وعلى الاخلاص لدولة إسرائيل»! هكذا لاتزال مضامين التعليم غريبة عن هوية الطالب العربى فى إسرائيل، وطرق التدريس التقليدية.

إن المتأمل فى التعليم لدى الوسطين العربى واليـهودى، يلاحظ الفجوة الواسعة لحساب الثانى، الأمر الذى لم تستطع لجنتا التعليم اليهودى والعربى، المشار اليهما إلا أن تؤكده. حيث تجلت الفجوة فى المناهج، ونوعية مواد التدريس، واهتـراء نسخ الكتب المتداولة بين الطلاب العرب وضعف أهلية المدرسين، وتدنى مستوى الأبنية والخدمات هناك.

إن ذلك ينجم عن الضـعف الواضح فى الميـزانيـات، والكوادر المتخصصة فى الوسط العربى. فمن بين ٢٣ منسقا للمناهج، خصص ٥ فقط، للوسط العربى، مما حرم المدارس العربية من تحديث طرق التعليم، ومناهجه. فضلا عن اكتظاظ مناهج الطلاب العرب بمواضيعها (حيث ضرورة تعلم لغة اضافية).

هذا فضلا عن اهمال تأهيل المدرس العربى، وتجاهل ضرورة ربطه بالمستجدات فى عالم التربية. مما ترك آثاره السلبية على مردود التعليم العربى، خاصة على النتائج المتدنية للامتحانات، حتى أن معدل العلامات فى الرياضيات للصفين الرابع والثامن للسنة الدراسية الأخيرة (١٩٩٧ - ١٩٩٨)، لم يتجاوز الـ ٥٤.٥ فى المئة، وفى اللغة العربية (اللغة الأم) بالكاد ٥٣ فى المئة. مما دفع الوسط العربى إلى ايلاء اهتمام ملحوظ بالمدارس. وقد قطعت الجهود الذاتية العربية شوطا غير قصير فى هذا الصدد، حتى أصبح خريجو دور المعلمين يشكلون زهاء نصف مجموع مدرسى المدارس الابتدائية العربية.

ولعل ما له دلالة بالغة أنه - حتى أواسط الثمانينيات - كان ثلث الطلاب العرب يتسربون من المدارس الابتدائية، وقفزت هذه النسبة اليوم إلى قرابة ٤٥ فى المئة من مجموع أبناء الجيل نفسه. وتشكل هذه النسبة زهاء ٧٥ فى المئة فى المتسربين فى كل دولة إسرائيل. بينما نصف مجموع تلاميذ هذه المرحلة من العرب لا يفهمون ما يقرأون.

التعليم الثانوى:

لعل من نافلة القول بأن حصة المدرسة لا تزيد عن ١٥ فى المئة من التكوين الفكرى والوجدانى للانسان، وبقية الـ ٨٥ فى المئة للأسرة، والشارع، والنادى، والعمل، ووسائط الاعلام، والكتب. وبرغم أهمية كل مراحل التعليم، فإن المرحلة الثانوية أكثرها أهمية، بسبب مرور طلابها بمرحلة المراهقة، بما تتضمنه من حس مرهف، وتوتر ملحوظ. يضاف اليه عند فلسطينيى ٤٨ الاعباء الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية التى يرزحون تحتها.

معروف بأنه عند قيام إسرائيل (١٩٤٨)، لم يكن فى أيدى العرب سوى مدرسة ثانوية واحدة، بأقل من مئة طالب، وزهاء عشرين مدرسا. وفى أوائل الثمانينيات، غدا العرب يمتلكون ٧٥ مدرسة ثانوية، بينها ٣٥ مدرسة إما مهنية، أو تتضمن أقساما مهنية، فضلا عن مدرستين زراعيتين، بما يربو على الثلاثين ألف طالب، وقرابة ١٦٠٠ مدرس. وفى ارتباط حميم بهذا الاتساع للقطاع الثانوى تزايدت مشاكل هذا التعليم أيضا، والتى تركزت فى مجال الخدمات التى جمدت اعتبارا من مطلع سنة ١٩٨٠، بينما تراجعت المدة المخصصة للغة العربية إلى ثلثى المدة القديمة، فهبطت الحصص المخصصة لها من ٦ حصص إلى ٤ اسبوعيا، مما لا يكفى لتعليم الطلاب لغتهم القومية تحت وطأة ظروف قاسية، خاصة وأن التعليم العالى فى إسرائيل لا يتعامل مع هذه اللغة.

من جهة أخرى، اضطرت نسبة كبيرة من المدارس العربية إلى حشد الطلاب فى الصفوف، بما يصل إلى أكثر من ٤٠ طالبا فى الفصل الواحد، تلافيا للعجز.

من جهة ثالثة، ثمة تجاهل للمناهج التى تتعرض للبعد القومى فى دراسة الأدب، والتاريخ العربيين، فضلا عن اسقاط الدولة الشعراء والكُتاب الفلسطينيين من هذه المناهج.

لهذا كله تعلّم المدارس العربية فى إسرائيل دون أن تربى، حيث لا تعوّد الطالب على ممارسة حقوقه وواجباته. أما هذا التقصير فيعود، أساسا إلى قلة الامكانات المتاحة، وضعف تأهيل المدرس.
فى المحصلة، النهائية لا تتجاوز نسبة الحاصلين على شهادة الثانوية العامة فى الوسط العربى الـ ٢٢ فى المئة، وتتراجع إلى أقل قليلا من ١٠ فى المئة بين بدو النقب فى الجنوب.

التعليم الخاص:

بالتوازى مع تزايد الضغوط الاجتماعية والنفسية على العرب فى إسرائيل، تزايدت التمايزات فى صفوف التلاميذ العرب، فى شتى المجالات، الاجتماعية والسياسية، والنفسية، والسلوكية. بيد أن هذه التمايزات لم تجد الأطر التى تستوعبها. حيث أن ثمة ما بين ١٠ ـ ٢٠ فى المئة من الطلاب العرب فى حاجة ماسة إلى تعليم خاص، أو مساعدة، مما أسهم فى رفع نسبة تسرب التلاميذ العرب من مدارسهم على النحو المبين سلفاً. ناهيك عن تواضع نسبة المفتشين والمرشدين، والمدرسات، والمهنيين، والمراكز النفسية، والميزانيات.
أخيرا دخل «قانون التعليم الخاص» حيز التنفيذ، بدءا من العام الدراسى الحالى (١٩٩٨ ـ ١٩٩٩)، بينما الطلاب العرب محرومون من الأطر التى تمثلهم.

التعليم العالى:

لعل من فضول القول إن مصير التعليم العالى إنما يتقرر فى مراحل التعليم التى تسبقه. فكيف يصل إلى الجامعة طلاب لا يستوعب نصفهم ما يقرأونه؟!
فى الانتساب إلى الكليات والمعاهد العليا المختلفة، تسامح الحكومة اليهودى الشرقى (السيفارديم) بـ ١٥ فى المئة من الدرجات المطلوبة، فيما لا يعامل الطالب العربى بالمثل، وهو ابن الثقافة المغايرة. ناهيك عن الارتباك الذى يستبد بالطالب العربى، عند الانتساب إلى معهد عال أو كلية، فإلى أيها ينتسب؟ بعد أن أوصدت أبواب العمل فى وجه العرب هناك، مما جعل نسبة الطلاب العرب الجامعيين تتراوح ما بين ٥ و٧ فى المئة فقط من مجموع الطلاب الجامعيين فى إسرائيل، وخُمس الطلاب العرب هنا من الفتيات. أى أن لكل ٢٥ ألف مواطن عربى ١٠٠ طالب جامعى، بينما تقفز هذه النسبة إلى ستة أضعافها للفلسطينيين خارج إسرائيل، حيث تبلغ ١ : ٤٠.

تواضع الرد:

لقد أدى ضعف القدرات الاقتصادية العربية فى إسرائيل إلى استعصاء الرد باقامة مدارس أهلية. وإن استحدثت تسع عشرة سلطة عربية أقساما للمعارف فيها. على أن ضعف الامكانات جعل من مدير قسم المعارف يقوم بأعمال خمس وحدات فى آن واحد (تربية، ثقافة، شبيبة، رياضة، ورياض أطفال). وثمة رقم بالغ الدلالة فى هذا الصدد، إذ بينما وصل مجموع كوادر أقسام المعارف فى الوسط العربى إلى ٢٣,٥ وظيفة سنة ١٩٨٦، فإن عددهم فى مستوطنة كريات آتا اليهودية، وحدها (٣٥ ألف نسمة)، وصل إلى ٢٣ وظيفة.
ومع كل الاستعصاءات، فإن النخبة العربية هناك لم ترفع راية الاستسلام، بل بذلت قصارى جهدها كى تتخطى حاجز غياب الامكانات المادية. لقد قبلت «اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية» التحدى. ففى سنة ١٩٨٣، بدأ تسعة عشر مجلسا محليا عربيا فى الاسهام بتطوير امور التعليم المحلى على النحو المشار اليه سلفاً. قبل أن ينتقل الاهتمام بالتعليم العربى من المستوى المحلى إلى المستوى القطرى، حيث عمدت اللجنة القطرية إلى عقد «مؤتمر التعليم العربى الثانى» فى شفاعمرو، فى ١٣/٥/١٩٨٤، بعد أن كانت عقدت المؤتمر الأول فى الناصرة فى ١٧/٥/١٩٨٠.
حضر مؤتمر شفاعمرو ما يربو على ٢٥٠٠ شخص، من رؤساء وأعضاء المجالس المحلية العربية، والنواب، والمحاضرين والاخصائيين الاجتماعيين، والنظار، والمدرسين، وأعضاء لجان أولياء امور الطلبة، وغيرهم من المهتمين بقضية التعليم العربى هناك.
جاء المؤتمر ليؤكد، مجددا، مدى قدرة فلسطينيى ٤٨ على تنظيم أنفسهم فى مواجهة قضية مصيرية، عدا ما أكده انعقاد هذا المؤتمر من اهتمامهم بقضية التعليم، على نحو خاص.
لقد دشن مؤتمر شفاعمرو، مرحلة نوعية فى مجال التعليم العربى فى إسرائيل، حيث يعانى العرب من التمييز، امتدادا للتمييز ضدهم فى المجالات الأخرى، مما جعلهم فى معركة حقيقة.
وأخيراً، فما دام أمر تحرير فلسطين مرجأ، لم يحتل ـ بعد ـ موقعه على جدول أعمالنا، فلا أقل من أن يمد موسرونا العرب ـ فلسطينيون وغير فلسطينيين ـ يد العون المادى إلى أشقائهم فى الكيان الصهيونى، ليتغلبوا على بعض مشاكلهم الأكثر الحاحا، والتى استمرأت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة المماطلة فى أمر تخفيف درجة معاناتهم.

رؤية

عمليات حزب الله
وأبعاد المأزق الإسرائيلى فى الجنوب اللبنانى

أحمد إبراهيم محمود

فاقمت العمليات الفدائية التى قامت بها جماعات المقاومة اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الجنوب اللبنانى فى شهر مارس الماضى من حدة المأزق الإسرائيلى فى المسألة اللبنانية .ويتمثل جوهر هذا المأزق فى أن إسرائيل خسرت معركتها الممتدة مع المقاومة اللبنانية، وأصبح استمرار احتلال الجنوب اللبنانى مكلفا للغاية بالنسبة لإسرائيل على كافة الأصعدة، فى حين أن الحكومة الإسرائيلية لا تمتلك أى خيار حقيقى للتعامل مع هذا المأزق، سياسيا وعسكريا، فهى لا تستطيع من ناحية الوصول إلى ترتيبات أمنية أو سياسية على المسار اللبنانى، بعيدا عن المسار السورى، بسبب إصرار لبنان على مبدأ وحدة المسار اللبنانى والسورى فى عملية التسوية مع إسرائيل، بالإضافة إلى أن لبنان يرفض الطروحات الإسرائيلية لتسوية مسألة الجنوب، ويصر على التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ ، ومن ناحية ثانية، فإن إسرائيل لا تستطيع الإقدام على أى عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد لبنان، بفعل التكاليف السياسية والعسكرية الفادحة التى يمكن أن تتكبدها إسرائيل فى مثل هذه العمليات .ومن ناحية أخرى، فإن إسرائيل لا تستطيع بدورها الانسحاب من جانب واحد من الجنوب اللبنانى، لأن ذلك يعتبر - من وجهة نظر قطاعات واسعة من الساسة والمحللين الإسرائيليين - مكلفا وخطيرا على المدى الطويل بالنسبة لأمن إسرائيل، لأنه يضع شمال إسرائيل تحت رحمة أى هجمات عسكرية يشنها حزب الله أو أية جماعات مسلحة أخرى .وبالتالى، فقد أدت العمليات الفدائية الناجحة لحزب الله ضد القوات الإسرائيلية فى الجنوب اللبنانى إلى اشاعة درجة عالية من الارتباك والاضطراب فى الأوساط السياسية والعسكرية والشعبية فى إسرائيل، وتمثل النجاح الأبرز للمقاومة اللبنانية فى مقتل الجنرال ايريز جيرشتاين مسئول الارتباط الإسرائيلى فى الجنوب اللبنانى .وقد أدت هذه التطورات إلى خلق وضع يكاد يكون جديدا، حيث اصبح واضحا ومؤكدا أن بقاء القوات الإسرائيلية فى الجنوب اللبنانى مكلفا وخطيرا للغاية بالنسبة لإسرائيل، وبصورة قد تزيد كثيرا عن الفوائد المتحققة لإسرائيل من وراء البقاء عسكريا فى المنطقة الأمنية فى الجنوب اللبنانى.

خصائص الصراع المسلح فى الجنوب اللبنانى :

يعتبر الصراع المسلح فى الجنوب اللبنانى من بقايا وموروثات الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، فقد تعرضت القوات الاسرائيلية فى تلك الحرب لدرجة عالية من الاستنزاف العسكرى الحاد فى لبنان .وعلى الرغم من ان اسرائيل قامت فى عهد حكومة الوحدة الوطنية (الليكودية - العمالية) عام ١٩٨٥ ، بسحب قواتها من لبنان، الا ان هذا الانسحاب لم يكن كاملا، حيث حرصت اسرائيل على خلق شريط أمنى بحيث يكون منطقة امنية فاصلة لحماية شمال اسرائيل من أية عمليات عسكرية تقوم بها المقاومة اللبنانية او اى جماعات فدائية فلسطينية تفلح فى التسلل الى مناطق الجنوب اللبنانى. وقد اهتمت اسرائيل باقامة هيكل عسكرى وأمنى متكامل فى منطقة الجنوب اللبنانى، حيث قامت بنشر اعداد ضخمة من قواتها البرية، كما اهتمت بإنشاء ما يعرف بـ (جيش لبنان الجنوبى) العميل فى منطقة الجنوب اللبنانى، من اجل مساعدة قوات الاحتلال الاسرائيلى فى اداء مهامها العسكرية فى تلك المنطقة.

وقد نجحت اسرائيل فى اشاعة الاعتقاد بأن وجودها العسكرى فى الجنوب اللبنانى يرتبط بالاعتبارات العسكرية - الأمنية فقط، وبالذات من اجل حماية المستعمرات الاسرائيلية فى منطقة الجليل الأعلى .وظلت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة تؤكد دوما على انها مستعدة للانسحاب من تلك المنطقة فى اطار ترتيبات امنية مع

الحكومة المركزية فى لبنان من اجل منع اى عمليات مسلحة ضد شمال اسرائيل تنطلق من تلك المنطقة .ولكن هذا الطرح الاسرائيلى يخفى ورائه العديد من الاهداف السياسية والاقتصادية الأخرى، ابرزها ان الاحتلال الاسرائيلى للجنوب اللبنانى يندرج فى اطار المطامع الاسرائيلية فى مياه نهر الليطانى فى جنوب لبنان، والذى تسرق اسرائيل كميات ضخمة من مياهه لاستخدامها فى مختلف مشروعاتها فى شمال اسرائيل .أضف الى ذلك، ان الاحتلال الاسرائيلى للجنوب اللبنانى، ومن قبله الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، يندرج فى اطار المخططات الاسرائيلية التقليدية الرامية الى "بلقنة "منطقة الشرق الاوسط، وخلق كيانات طائفية فى المنطقة، بما يخلق شرعية للاساس الدينى - التوراتى الذى تقوم عليه اسرائيل، علاوة على ما يؤدى اليه ذلك بالضرورة من إضعاف الدول العربية فى مواجهة اسرائيل، وهو ما يوفر لاسرائيل قدرة اكبر على التحكم فى حركة التفاعلات الاقليمية فى منطقة الشرق الاوسط عموما.

وفى مواجهة هذا الاحتلال الاسرائيلى، نشطت جماعات المقاومة اللبنانية، وبالذات حزب الله، فى تنفيذ عملياتها الفدائية ضد القوات الاسرائيلية، وضد عناصر جيش لبنان الجنوبى العميل .وقد بدأت المقاومة اللبنانية للاحتلال الاسرائيلى منذ اواخر الثمانينات، ولكنها كانت تتخذ وقتذاك شكلا اقل تنظيما ومهارة فى تنفيذ العمليات الفدائية، حيث كان يتم الاعتماد بدرجة اكبر على تكتيك الموجات البشرية، وهو ما كلف المقاومة اللبنانية اعدادا كبيرة من الضحايا وقتذاك. ثم خضعت عناصر حزب الله بعد ذلك لعملية تدريب وإعادة هيكلة واسعة، شارك فيها خبراء عسكريون من الحرس الثورى الايرانى .وقد شهد عام ١٩٩١ بدايات التحول فى الاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية، حيث حققت منذ ذلك الحين تقدما سريعا فى كافة مجالات التنظيم والتخطيط وجمع المعلومات الاستخبارية وتنفيذ العمليات الفدائية .ويلتزم حزب الله بسياسة الفصل بين العمل السياسى والعمل العسكرى، فالقيادة السياسية تمنح حرية العمل الكاملة للقادة العسكريين الميدانيين فى تنفيذ عملياتهم، وغالبا ما تكون العناصر الفدائية من خارج الشريط الأمنى المحتل، وتذهب لتنفيذ العمليات داخل المنطقة الامنية، ثم تعود الى قواعدها فى مناطق اخرى، وذلك حتى لا تقع فى قبضة قوات الاحتلال الاسرائيلية او جيش لبنان الجنوبى العميل.

وترتكز الاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية على مبدأ الاستنزاف من اجل الحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر بقوات الاحتلال الاسرائيلى .وتقوم استراتيجية الاستنزاف فى الاساس على استخدام اسلوب الضربات السريعة والخاطفة ضد العدو، فى حالة تمتع هذا العدو بتفوق عسكرى كبير، استنادا الى ان هذا الاسلوب يمنع الخصم من استخدام تفوقه الكمى والنوعى .ولذلك، تركز هذه الاستراتيجية على محاولة استنزاف قدرات الخصم عن طريق انزال خسائر بشرية ومادية بها، بشكل مطرد ومستمر على مدى زمنى طويل نسبيا بهدف خلق تأثيرات تراكمية لديها، بما ينهك الخصم ماديا وبشريا، ويقوض معنوياته، ويدفعه فى النهاية الى الانسحاب والتجاوب مع اهداف الطرف المهاجم .وفى ظل هذه الاستراتيجية، ظلت عمليات المقاومة اللبنانية تزداد بصورة مستمرة، حتى اصبحت جبهة الجنوب اللبنانى هى الجبهة العربية - الاسرائيلية الاكثر اشتعالا .وتكبدت القوات الاسرائيلية خسائر كبيرة، وصل معدلها الى حوالى ٣٠ قتيلا اسرائيليا فى المتوسط العام خلال السنة الواحدة طيلة الفترة ما بين ١٩٩٢ - ١٩٩٦، ووصلت الخسائر الاسرائيلية الى اعلى معدل لها عام ١٩٩٧، حيث قتل حوالى ١٣٤ جنديا اسرائيليا فى الجنوب اللبنانى فى ذلك العام، وكان هذا العدد الكبير نسبيا من القتلى الاسرائيليين فى ذلك العام عائدا الى وقوع حادثة عسكرية اسرائيلية وفشل عملية خاصة، بالاضافة الى استمرار المواجهات الحادة مع عناصر المقاومة اللبنانية .

وقد اعتادت اسرائيل عموما على الرد على هجمات المقاومة اللبنانية من خلال القصف الجوى والمدفعى، او تنفيذ العمليات الخاصة ضد قيادات حزب الله .وفى بعض الفترات، لجأت الحكومات الاسرائيلية الى درجة اعلى من التصعيد العسكرى، ووصل هذا التصعيد الى ذروته فى ابريل ١٩٩٦، مع تنفيذ القوات الاسرائيلية لما عرف بـ (عملية عناقيد الغضب)، فى اواخر عهد الحكومة العمالية برئاسة شيمون بيريز .وقد فشلت هذه العملية فى وقف هجمات المقاومة اللبنانية، بل انها تسببت على العكس فى حدوث ادانة دولية واسعة للسلوك الاسرائيلى، وبالذات عقب وقوع مذبحة قانا .وقد انتهت هذه العملية بالتوقيع على ما عرف بـ (تفاهم ابريل / نيسان)، إلا ان جميع الاطراف تبنت تفسيرات مختلفة لهذا التفاهم .فالجانبان اللبنانى والسورى نظرا الى التفاهم بوصفه يقتصر فقط على الزام المقاومة اللبنانية بعدم اطلاق الصواريخ على شمال اسرائيل، مع الزام اسرائيل بالمثل بعدم الحاق الأذى بالمدنيين فى عملياتها العسكرية ضد المقاومة، كما يؤكد التفسير اللبنانى - السورى على ان التفاهم لا يمنع المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلى، بالاضافة الى انه لا يلغى ما قبله من القرارات الدولية ذات الصلة، وبالذات قرار مجلس الامن رقم (٤٢٥) . أما على الجانب الاسرائيلى، فقد جرى النظر الى تفاهم ابريل على انه يوفر الأمن للقوات الاسرائيلية فى الجنوب اللبنانى، ويلغى القرارات الدولية ذات الصلة، علاوة على محاولة استغلال هذا التفاهم فى السيطرة والتأثير على القرارات السورية واللبنانية.

وخلال الشهور القليلة الماضية، ازدادت كثافة العمليات الفدائية التى تقوم بها المقاومة اللبنانية ضد القوات الاسرائيلية فى الجنوب اللبنانى .والواقع ان هذا التكثيف يبدو عائدا الى العديد من الاعتبارات، بعضها يعتبر امتدادا للاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية، بينما يعود بعضها الآخر الى دوافع سياسية محضة .فمن الواضح ان الحكومتين السورية واللبنانية تدعمان بالضرورة التصعيد

الذى قام به حزب الله خلال الفترة الماضية، بل وربما كان السوريون هم الذين اعطوا الضوء الاخضر لهذا التصعيد. وهناك العديد من الاعتبارات التى تدعو الى الاعتقاد بأن هذا التصعيد يندرج فى اطار استراتيجية سياسية سورية - لبنانية تقوم على محاولة احراج الحكومة الاسرائيلية برئاسة بنيامين نتانياهو فى فترة ما قبل الانتخابات، من اجل اضعاف موقفه الانتخابى والاقلال من فرصه فى الفوز مجددا بمنصب رئيس الحكومة الاسرائيلية .ويبدو ان المسئولين السوريين واللبنانيين تخلوا عن الاعتقاد بأن الليكود والعمل شىء واحد، واصبحوا يتبنون قناعة بان اى حكومة اخرى، سواء برئاسة اسحق مردخاى او ايهود باراك، سوف تكون افضل بكثير من حكومة نتانياهو الحالية فى اسرائيل. ولذلك، فإن تكثيف العمليات الفدائية اللبنانية فى فترة ما قبل الانتخابات الاسرائيلية يهدف على ما يبدو الى اضعاف الموقف الانتخابى لبنيامين نتانياهو، مما قد يقلل من فرصه فى الفوز فى الانتخابات القادمة.

عناصر المأزق الاسرائيلى :

كشفت العمليات العسكرية الاخيرة التى قامت بها المقاومة اللبنانية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى فى الجنوب اللبنانى عن حجم الارتباك فى السياسة الاسرائيلية تجاه لبنان، حيث اصيب المسئولون الاسرائيليون بحالة من الشلل والتشوش، حيث كانوا يتخذون موقفا، ثم يتراجعون عنه فى اليوم التالى، وصدرت عن معظم المسئولين والقادة الحزبيين فى اسرائيل تصريحات متناقضة للغاية فى الشأن اللبنانى، كان من ابرزها قيام كل من بنيامين نتنياهو وايهود باراك بالاعلان عن النية لسحب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبنانى فى حالة الفوز فى الانتخابات، وذلك من اجل امتصاص ردود الفعل الحادة فى اوساط الرأى العام الاسرائيلى تجاه الخسائر المتزايدة للقوات الاسرائيلية فى الجنوب اللبنانى.

ويتبدى ارتباك السياسة الاسرائيلية ازاء المسألة اللبنانية فى العجز عن الوصول الى اجماع وطنى بشأن كيفية التعامل مع المسألة اللبنانية، فهناك صراع ضارى بين التيارات السياسية الاسرائيلية، بل وداخل الحكومة الاسرائيلية، وداخل كل حزب سياسى على حدة .فالاسرائيليون يجدون ان من غير الممكن ان يستمر الوضع الحالى، والبديل لذلك يتمثل اما فى الوصول الى ترتيبات سياسية او امنية مع لبنان من اجل سحب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبنانى، او انسحاب القوات الاسرائيلية من جانب واحد من لبنان .ولكل بديل من هذين البديلين مزاياه وعيوبه من وجهة النظر الاسرائيلية. فعلى الرغم من ان اسرائيل تستطيع ان تحصل على الأمن فى حالة وصولها الى ترتيبات سياسية - امنية مع لبنان، تنسحب على اثرها القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبنانى، الا ان الوصول الى هذه الترتيبات يعتبر مستحيلا، دون الوصول الى تسوية متزامنة على المسار السورى - الاسرائيلى، بحكم الارتباط الوثيق بين هذين المسارين .وفى الوقت نفسه، فإن خيار التصعيد العسكرى واسع النطاق يبدو مكلفا للغاية بالنسبة للحكومة الاسرائيلية، حيث تدعو بعض التيارات السياسية الاسرائيلية الى تبنى خيار المواجهة العسكرية الشاملة ضد لبنان .وقد قامت هيئة الاركان الاسرائيلية بالفعل باعداد خطط الحرب الشاملة ضد لبنان منذ عدة سنوات، وهى تقوم على التدمير الجسيم للبنية التحتية فى لبنان عموما، وفى بيروت خصوصا، والتركيز على ضرب محطات المياه والكهرباء والكبارى، مع امكانية تصعيد العمليات العسكرية الاسرائيلية وصولا الى درجة القصف الجوى والمدفعى الشامل، ولكن يظل من المستبعد فى التخطيط الاسرائيلى ان يصل التصعيد العسكرى الى درجة الدخول فى مواجهات برية مباشرة مع المقاومة اللبنانية. ومع ذلك، فان نتنياهو يخشى من توريط نفسه فى مواجهة عسكرية خاسرة فى الجنوب اللبنانى، مما قد يقوض شعبيته ويضعف فرص اعادة انتخابه فى الانتخابات القادمة فى شهر مايو القادم، على نحو ما كان قد حدث مع رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز الذى قام قبل انتخابات ١٩٩٦ بشن اعتداء واسع على لبنان، مما تسبب فى سقوطه فى الانتخابات.

وحتى على مستوى التعامل الميدانى اليومى، فإن القوات الاسرائيلية تبدو عاجزة عن ايقاف العمليات الفدائية للمقاومة اللبنانية بالوسائل العسكرية، لأن حزب الله يتمتع بتفوق كبير فى مجالات الاستخبارات والمعرفة بالطبيعة الجغرافية لمناطق الجنوب اللبنانى .وقد اقتصرت ردود افعال المسئولين الاسرائيليين على اعطاء حرية التصرف للقادة الميدانيين فى مواجهة العمليات التى يخوضونها ضد المقاومة اللبنانية، بالاضافة الى ابتكار وسائل وتكتيكات قتالية جديدة لتقليل الخسائر فى صفوف القوات الاسرائيلية.

والواقع، ان جانبا كبيرا من التعامل الاسرائيلى فى المسألة اللبنانية ينصب على تناول الموقف السورى من التصعيد العسكرى فى الجنوب اللبنانى، حيث يدرك الاسرائيليون تماما ان سوريا تلعب دورا حيويا فى التطورات السياسية والعسكرية الجارية فى لبنان عموما، وفى الجنوب اللبنانى خصوصا، ويرون ان مفتاح وقف الهجمات الفدائية لحزب الله موجود لدى سوريا .ولذلك، فقد سادت درجة عالية من التشدد تجاه سوريا فى الخطاب السياسى الاسرائيلى خلال الفترة القصيرة الماضية، حيث يرى تيار هام فى الاوساط الحكومية الاسرائيلية ان من الضرورى ان تدرك سوريا انها تخاطر بذلك بالصدام العسكرى مع اسرائيل، بما ينطوى عليه هذا التلميح من امكانية تسخين الموقف العسكرى بين سوريا واسرائيل، كما يعتقد العديد من السياسيين والمحللين الاسرائيليين ان الازمة السورية - التركية، وما انتهت اليه من خروج الزعيم الكردى عبد الله اوجلان من سوريا فى ظل التهديدات العسكرية التركية لسوريا، تعنى ان سياسة حافة الهاوية يمكن ان تحقق نتائج ايجابية فى حالة اتباع اسرائيل لها ضد سوريا من اجل وقف عمليات حزب الله فى الجنوب

اللبناني.
ويتعزز هذا الموقف من خلال حقيقة ان نتنياهو يتعامل مع مسألة الجنوب اللبناني من منظور المصلحة الانتخابية، بمعنى انه يمكن ان يقدم على تنفيذ كل ما من شأنه تعزيز فرصه في النجاح في المعركة الانتخابية القادمة .ويميل نتنياهو الى اتباع سياسة استنزافية في مواجهة حزب الله، تستهدف ضرب وتصفية قياداته الرئيسية وقواعده العسكرية، مع امكانية تطوير هذه السياسة الى درجة المواجهة العسكرية الواسعة المباشرة مع حزب الله، اذ وجد نتانياهو ان هذه المواجهة ضرورية، وأنها سوف تعزز فرصه في الانتخابات القادمة، كما لا تستبعد سياسة نتنياهو الوصول الى حافة الهاوية مع سوريا ذاتها .ومع ذلك، فإن هذه السياسة ربما تكون مكلفة للغاية بالنسبة لاسرائيل، حيث انه اذا أقدمت اسرائيل على أية اجراءات عسكرية مضادة لسوريا في لبنان، فانها تغامر بذلك بإمكانية اقدام سوريا على سلسلة من ردود الافعال العنيفة ضد اسرائيل، مثل قيام وسائل الدفاع الجوى السورية بالتصدى للمقاتلات الاسرائيلية التى تحلق فوق الاراضى اللبنانية، او زيادة الدعم لحركتى حماس والجهاد الفلسطينيتين، او تعميق التعاون العسكرى مع ايران، وربما العراق ايضا، بالاضافة الى امكانية ان تقدم سوريا على محاولة تخريب عملية التسوية بين اسرائيل وكل من الاردن والفلسطينيين .وبالتالى، فإن مثل هذا التصعيد ربما يكون مكلفا وموجعا للغاية بالنسبة لاسرائيل، وبالذات في ظل الحساسية الاسرائيلية الكبيرة لمقتل او اسر جنودها، وأيضا فى ظل اشتعال حدة الحملات الانتخابية الاسرائيلية.

اشكاليات التسوية على المسار اللبنانى :

شهدت عملية التسوية على المسار اللبنانى حالة من الجمود، فيما يمثل انعكاسا للجمود الذى اصاب عملية التسوية على المسار السورى .وعلى الرغم من ان الحكومة الاسرائيلية ابدت رغبة واضحة فى الانسحاب من منطقة الشريط الحدودى المحتل فى الجنوب اللبنانى، تحت تأثير عمليات المقاومة اللبنانية، إلا ان الحكومة اللبنانية رفضت الطرح الاسرائيلى لاعتبارات عديدة، يأتى فى مقدمتها ان لبنان يرفض الشروط الاسرائيلية الخاصة بالترتيبات الامنية التى ترى اسرائيل انه يتعين على الحكومة اللبنانية تنفيذها من اجل ضمان الأمن فى مناطق الحدود الاسرائيلية فى فترة ما بعد الانسحاب الاسرائيلى من الجنوب اللبنانى .ويقوم الموقف اللبنانى هنا على ان الجيش اللبنانى لن يتحول الى اداة لضمان أمن اسرائيل، وان لبنان سوف يلتزم فقط باتفاقية الهدنة العربية - الاسرائيلية المبرمة عام ١٩٤٨، بينما ترى الحكومة اللبنانية ان من المتعين على اسرائيل ان تلتزم التزاما كاملا بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، الذى يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الجنوب اللبنانى فورا وبدون شروط .ومن ناحية اخرى، فإن الجانب اللبنانى يرفض احداث اى تقدم فى المسار اللبنانى بصورة مستقلة عن المسار السورى، ايمانا من الحكومة اللبنانية بوحدة المسار السورى واللبنانى فى عملية التسوية مع اسرائيل.

ولذلك، تسعى اسرائيل الى ممارسة ضغوط سياسية على كل من سوريا ولبنان من اجل الضغط على حزب الله لوقف او تقليل العمليات الفدائية التى يقوم بها ضد القوات الاسرائيلية فى الجنوب اللبنانى، كما تسعى اسرائيل الى تعديل تفاهم ابريل، لأنها ترى انه يقيد حركة القوات الاسرائيلية فى الجنوب اللبنانى، ويضعها فى موقف معقد امام المقاومة اللبنانية، علما بأن اسرائيل هى التى قامت مرارا وتكرار بانتهاك هذا التفاهم، وكان اخر وأبرز هذه الانتهاكات قيامها باحتلال بلدة (ارنون) اللبنانية، وضمها الى منطقة الشريط الحدودى، إلا ان الطلاب اللبنانيين قاموا بمظاهرة سلمية فى تلك البلدة، وفككوا الاسلاك الشائكة التى اقامتها قوات الاحتلال الاسرائيلى، وأعادوا الوضع الى ما كان عليه في السابق، وهو ما اضطر الحكومة الاسرائيلية الى التسليم بالأمر الواقع، والتراجع عن هذه الخطوة.
وعلى الرغم من الانتهاكات الاسرائيلية المتوالية لتفاهم ابريل، إلا انها وجهت اتهامات عديدة للحكومة اللبنانية وحزب الله بانتهاك الاتفاق، وطلبت من الادارة الامريكية التدخل من اجل تعديل هذا التفاهم، إلا ان الحكومتين اللبنانية والسورية رفضتا الاستجابة لهذا الموقف. والواقع ان الموقف الاسرائيلى لم يكن مهتما بالالتزام بتفاهم ابريل، ولكنها تسعى فقط الى تقييد الاطراف الأخرى، وتسعى الى الاستفادة من اى تعديل فى اطلاق يدها فى ضرب المدنيين اللبنانيين وتدمير البنية الاساسية فى لبنان، بحجة ملاحقة المقاومة اللبنانية .وفى المقابل، فإن الموقف اللبنانى يقوم على رفض تعديل تفاهم ابريل بشأن الجنوب اللبنانى، بالاضافة الى رفض الشروط الاسرائيلية الخاصة بضرورة الوصول الى ترتيبات امنية فى الجنوب اللبنانى، فى مقابل تنفيذ القرار رقم ٤٢٥، كما ترفض الحكومة اللبنانية الالتزام بهدنة فى الجنوب اللبنانى الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية، وتتمسك بوحدة المسار اللبنانى - السورى فى عملية التسوية مع اسرائيل.
وبالتالى، يبدو واضحا ان الحكومة الاسرائيلية تواجه مأزقا بالغ الحدة فى الجنوب اللبنانى، ويعتبر هذا المأزق فى جوهره نتاجا لسياسة غطرسة القوة الاسرائيلية، والتى تخلق احيانا اوهاما بشأن القوة الذاتية لدى المسئولين الاسرائيليين .فقد احتلت القوات الاسرائيلية الجنوب اللبنانى بهدف ضمان أمن شمال اسرائيل، فى ظل اعتقاد الاسرائيليين بأن تفوقهم العسكرى يكفل لهم تحقيق هذا الهدف بسهولة، ولكن وجدت القوات الاسرائيلية نفسها متورطة فى صراع مسلح لا يفيدها فيه كثيرا تفوقها العددى والنوعى، فهى حرب عصابات او حرب ثورية تقوم على الكر والفر، وليست حربا نظامية تقليدية .وسوف يظل المأزق الاسرائيلى مستمرا طالما ظلت الحكومات الاسرائيلية مصرة على مواصلة سياسة غطرسة القوة، ورفضها الخضوع لقرارات الشرعية الدولية بشأن المسألة اللبنانية، وكذا بشأن تسوية قضايا الصراع العربى - الاسرائيلى.



مختارات اسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- **التقرير الاستراتيجى العربى:** تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- **كراسات استراتيجية:** سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- **الكتب والكتيبات:** أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- **«ملف الاهرام الاستراتيجى»**، شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥
- **«مختارات إسرائيلية»**، شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام بكورنيش النيل